مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية

علمية محكمة فصلية

صنعاء العدد (٤٧) ٢٠٢٢م رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء ١٠-٢١/١٩٩٣م

الرقم الدولي: ISSN – 2219-2239

هيئة تحرير مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
رئيس هئية التحرير
أ.م.د. عبدالملك محمد عيسى
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مدير التحرير
أ.د. محمود أحمد قاسم الشعبي
أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية
نائب مدير التحرير
أ.م.د. حسين أحمد الورد
استاذ اللغة الفرنسية المشارك
سكرتارية التحرير والتصميم والإشراف
أ. اروى يحيى الخطابي
المراجع اللغوي
أ.م.د. أحمد صالح غازي

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالرحمن عبدالله عبد ربه
أستاذ اللغة الانجليزية

أ.د. إبراهيم محمد الصلوي
أستاذ اللغات السامية

أ.د. علي سيف سعيد
أستاذ الآثار الإسلامية

أ.د. عبدالله علي الفضلي
أستاذ المكتبات وعلم المعلومات

أ.د. محمد احمد مياس
أستاذ الجغرافيا والجيوانفرماتك

أ.م.د. إبراهيم أحمد المطاع
أستاذ الآثار الإسلامية المشارك

أ.م.د أمة الملك إسماعيل الثور
أستاذ التاريخ الحديث
والمعاصرالمشارك

أ.م.د سكينة أحمد هاشم
أستاذ الخدمة الاجتماعية المشارك

أ.م.د. عبدالله يحيى الحوثي
أستاذ البلاغة المشارك

أ.م.د. احمد احمد العرامي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
المشارك

الافـتـتـاحـيـة

على نهجنا المعتاد تسير خطواتنا بثقة تامة تعتمد على مانرغبه –للمجلة في كل أعدادها –من حصافة منهجية ودقتة علمية تحافظ على مستوها المعهود منذ نشأتها قبل حوالي خمسين عاماً .

فهذا هو العدد السابع والأربعون وقد اتخذ لنفسه منهج سالفيه من الأعداد، فحافظاً على ماتميزت به المجلة من سمعة طيبة وصيت متميز، حرصنا على عدم التنازل عنه وحافظنا على خصائصه التي عرفها عنها وفيها القارئ منذ أول عدد وحتى اليوم، وعلى طريقة إخراج الدوريات والمجلات المتخصصه المحكّمة حرصنا في هذا العدد على اتباع ضوابط وتعليمات تتصف بها المجلة منذ أن رأت النور العلمي الكبير بكل ماتقظي به مناهج البحث العلمي وطرق النشر الاكاديمي المتعارف علية في العالم في مؤسساته البحثية والعلمية دون أي اشتناء صغر أم كبر. وهنا نقف لنشير إلى أن هذا العدد يضم العديد من البحوث والدراسات المحكّمة المخصصة لأغراض الترقيات إلى درجة أستاذ مشارك ودرجة أستاذ، يضاف إلى ذلك استكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، وبذلك فإن العدد يحتوي على بحوث ودراسات في مختلف العلوم الإنسانية من باحثين أكاديميين في جامعات يمنية وعربية من مثل جامعات صنعاء، وعدن، وعمران، والحديدة،والكويت، وقد تمت الإشارة الى ذلك في هامش الصفحة الأولى تحت اسم كل باحث، وهي كلها بلا شك جامعات لها مكانتها المرموقة بين كبار المؤسسات العلمية، وقد بلغ عدد البحوث التي سيضمها هذا العدد ثمانية بحوث(٨) تم التأكد من سلامتها العلمية والمنهجية في محتوى كل بحث بما في ذلك خلو كل بحث من القرصنة الإلكترونية وعدم انتهاك الحقوق الفكرية لأي باحث آخر، كما حرصنا على التأكد من سلامة الأمانة العلمية واستيفائها عن طريق تحكيم كل البحوث بشكل سري.

ولم نغفل أهمية التأكد من صلاحية كل بحث منهجياً وفنياً بما في ذلك المراجعة اللغوية مع مراعاة أهمية طبيق ضوابط النشر الجديده وتعليمتها، وقبل أن ننهي هذا المفتتح نود أن ننبه إلى إن كل عمل بحثي ورد في هذا العدد يتحمل مسئولية ما تضمنه من أراء وأفكار من قام بإعداده وإنجازه علمياً وموضوعياً ومنهجياً ومحتواً، وبالقدر نفسه نشير إلى أن كل ما تضمنته هذه الأبحاث من وجهات نظر لا تمثل سوى أراء اصحابها ومن ثم فلم ولن تتحمل المجلة أية مسئولية قد تترتب عليها نتائج تلك الوجهات والأراء. وفي الختام فإنا نبرأ إلى الله من إدعاء الكمال وحسبنا من السوار ماحاط بالمعصم ومن القلادة ما طوق العنق وعلى الله التوكل ومنه العون والتوفيق والسداد.

والله الموفق،،،

مدير التحرير
أ.د. محمود احمد قاسم الشعبي

رئيس هئية التحرير
أ.م.د/ عبدالملك محمد عيسى

فائمة المحتويات

م	الموضوع	المؤلف	صفحة
١	أثر اختلاف الدقة المكانية لنماذج الارتفاعات الرقمية وآليات معالجتها على الخصائص المورفومترية لأحواض التصريف – نموذج حوض وادي الأهجر	د.عبدالمجيد احمد مداغش	٦
٢	مبدأ السيادة الشعبية وثورات الربيع العربي	د. عبدالرحمن أحمد حسين المختار	٤٧
٣	تغاير القراءات المتواترة بين (كان) التامة والناقصة	د.محمد فلاح إسماعيل مندكار	١٢٦
٤	التحقيق في خلاف العلماء في وقت ذكر حديث"اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك"	د.جاسمية محمد شمس الدين	١٤٢
٥	عودة إلى نقش (**GOAM 314**) دراسة في دلالاته اللغوية والدينية والاجتماعية	أ.هديل يوسف الصلوي	١٦٨
٦	الهُوية الإيمانية ودور اليمنيين في الحفاظ عليها	أ. أحمد محمد عبده مطهر	١٨٣
٧	دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالأطفال في المجتمع اليمني	أ.خالد زيد الشامي	٢٢٧
٨	الخلافة والملك في فكر الإمام الشافعيﷺ (حقيقتها–وحكمها–وأنواع القضاء)	أ.طاهر ناجي عبد الله سفيان	٢٤٧

أثر اختلاف الدقة المكانية لنماذج الارتفاعات الرقمية وآليات معالجتها على الخصائص المورفومترية لأحواض التصريف – نموذج حوض وادي الأهجر

د/عبد المجيد احمد مداغش*

الملخص:

ساعدت تكنولوجيا معالجة المرئيات الفضائية في الآونة الأخيرة على تنفيذ الدراسات المورفومترية بالاعتماد على نماذج الارتفاعات الرقمية بشكل أساسي، وقد أدى تعدد أنواعها ودقتها واختلاف آليات معالجتها إلى اختلاف النتائج المشتقة منها، وهدف البحث إلى استخلاص و مقارنة أهم الخصائص المورفومترية لحوض وادي الأهجر من ثلاثة نماذج ارتفاعات رقمية مختلفة الدقة وبآليات معالجة متعددة والمقارنة بين النتائج المستخلصة للوصول للنماذج وآليات المعالجة الأكثر دقة وموثوقية، واستنتجت الدراسة تأثر الخصائص المورفومترية باختلاف دقة النموذج بدرجات متفاوتة، وكان أكثرها تأثراً هي خصائص شبكة التصريف وقيمة الوعورة ومعدل النسيج الحوضي وطول المحيط، بينما سجلت بقية الخصائص المساحية والشكلية والتضاريسية تباينات طفيفة، وكان لاختلاف قيم العتبة داخل النموذج الواحد تأثيراً شديداً على خصائص شبكة التصريف وقيمة الوعورة ومعدل النسيج الحوضي بدرجة تفوق أحياناً تأثير اختلاف دقة النموذج المستخدم، بينما يختفي تأثير قيم العتبة نهائياً على باقي الخصائص، وخلصت الدراسة إلى جدوى تنفيذ الدراسات المورفومترية للحوض باستخدام نموذج وقيمة عتبة ALOS 12.5m – T 100 وإذا لم يكن متاحاً فنموذج ASTER 30m – T 70.

الكلمات المفتاحية: نموذج الارتفاع الرقمي – الخصائص المورفومترية – دقة النموذج – العتبة.

* – استاذ مساعد قسم الجغرافيا كلية التربية والعلوم التطبيقية والآداب جامعة عمران.
drmodaghesh@gmail.com

Abstract:

Recently, Digital Satellite processing Technology an important effects in the implementation of morphometric studies has become mainly dependent on digital elevation models, and the multiplicity of their types, resolution and different treatment mechanisms led to different results derived from them. The aim of the research is to extract the most important morphometric characteristics of the Wadi Al-Hajar Basin from three digital elevation models of different accuracy and multiple treatment mechanisms and to compare the results obtained to reach the models and the most accurate and reliable treatment mechanisms. The study concluded that the morphometric characteristics were affected by the different resolution of the model to varying degrees, and the most affected were the characteristics of the drainage network, the roughness number, texture ratio and perimeter, while the rest of the areal characteristics, shape and relief recorded slight discrepancies. The difference in the threshold values within the same DEM had a severe impact on the characteristics of the drainage network, the roughness number and texture ratio to a degree that sometimes exceeded the effect of the difference in resolution of the DEM used, while the impact of the threshold values completely disappears on the rest of the characteristics, and the study concluded the feasibility of implementing morphometric studies for the basin using a DEM and threshold value ALOS 12.5m - T 100 and if not available then the ASTER 30m - T 70 model.

Keywords: Digital elevation model (DEM) - Morphometric characteristics - Resolution - Threshold.

المقدمة:

تعد دراسة الأحواض المائية واحدة من أهم الدراسات الجيومورفولوجية كونها تشكل وحدة جيومورفولوجية أساسية ينتمي لأحدها مختلف أشكال السطح في أي مكان على سطح الأرض، وتعتمد على طرق التحليل المورفومتري في دراسة الخصائص الجيومورفولوجية والجيولوجية والهيدرولوجية للأحواض المائية والدراسات المناخية وإدارة الموارد المائية، والتنبؤ بسلوك الفيضانات[1]، وتقييم مخاطر الانهيارات الأرضية، وغيرها من الدراسات التي تتطلب تحليلات كمية للتضاريس[2].

وتعتمد وسائل التحليل المورفومتري على البيانات التي يتم رصدها من الحقل والخرائط والصور الجوية والمرئيات الفضائية، إلا أن نماذج الارتفاعات الرقمية DEM أصبحت من أهم مصادر البيانات للدراسات المورفومترية؛ بسبب توفرها وتنوعها وسهولة الحصول عليها، وحجم البيانات التي يمكن اشتقاقها، مثل: شبكات الأودية والانحدارات واتجاهاتها والارتفاعات وغيرها من المعلومات التي يمكن معالجتها ونمذجتها وتكوين رؤية شاملة عن وضع الحوض وإمكانياته، بما يسهم في دعم اتخاذ القرار، وتوجيه نظم الإدارة نحو تحقيق التنمية المستدامة.

وقد أدى تطور مصادر بيانات الارتفاعات الرقمية وبرامج الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية إلى تطور الدراسات المورفومترية وتحسين كفاءتها، حيث تعتمد دقة الدراسات المورفومترية على مدى

1- Rana V.K & Suryanarayana T.M.V (2021) "Estimation of flood influencing characteristics of atershed and their impact on flooding in data-scarce region", Annals of GIS,Vol 27(4),p1.

2 - Polidori L & El Hage M (2020) "Digital Elevation Model Quality Assessment Methods: A Critical Review", Remote Sens, Vol 12(21),p2.

دقة حجم الخلية (Pixel) الذي يميز الدقة المكانية (Spatial Resolution) لنماذج الارتفاعات الرقمية، وعلى وسائل معالجتها، وقد أدى توفر الكم الكبير من نماذج الارتفاعات الرقمية إلى ضرورة المقارنة بينها والتحقق من دقتها[٣]، وإن تنوع مصادر النماذج واختلاف دقتها المكانية يُوجِد تبايناً واختلافاً في مقدار التفاصيل التي يمكن الحصول عليها، حتى لو استخدمت وسائل المعالجة ذاتها[٤]، كما أن تغير أسلوب معالجة هذه النماذج قد يؤدي إلى تغير النتائج حتى على مستوى النموذج الواحد، لذلك برزت في الآونة الأخيرة عدة دراسات قامت بمقارنة الخصائص المورفومترية لأحواض مائية مشتقة من نماذج ارتفاعات رقمية مختلفة الدقة، معظمها ذات دقة مكانية ٣٠م و ٩٠م مثل دراسة (Niyazi et el,2019)[٥] الذي قام بدراسة مقارنة لحوض مائي غرب السعودية باستخدام أربعة نماذج ارتفاعات رقمية ذات دقة ٩٠م و ٣٠م، ودراسة (Kasi et al,2020)[٦] لحوض مائي جنوب الهند قارنت الدراسة نتائج ثلاثة نماذج ارتفاعات رقمية ذات دقة ٩٠م و ٣٠م وخريطة طبوغرافية ١:٢٥٠٠٠، ودراسة (Li et al,2017)[٧] لمقارنة الاختلافات في الارتفاعات والمنحدرات لحوض مائي شرق الصين باستخدام خمسة نماذج ارتفاعات رقمية ذات دقة ٣٠م –

3 - Kasi V, Pinninti R, Landa SR, Rathinasamy M, Sangamreddi C, Kuppili RR & Radha PRD (2020) " Comparison of different digital elevation models for drainage morphometric parameters: a case study from South India'', Arab J Geosci, Vol 13(19),p1.

٤ – جابر، أحمد عبد الستار (٢٠٢٠) "دقة التمييز المكاني لنموذج الارتفاع الرقمي وانعكاساتها على القياسات المورفومترية– حوض بندوية دراسة حالة"، حوليات آداب عين شمس، مجلد ٤٨، عدد إبريل – يونية، ص٣٢٨.

5 - Niyazi B, Zaidi S & Masoud M (2019) ''Comparative Study of Different Types of Digital Elevation Models on the Basis of Drainage Morphometric Parameters (Case Study of Wadi Fatimah Basin, KSA)'', Earth Sys Environ,Vol 3, pp. 1- 12.

6 - Kasi et al (2020), previous reference.

7 - Li X, Zhang Y, Jin X, He Q & Zhang X (2017) ''Comparison of digital elevation models and relevant derived attributes'', J. of Appl. Remote Sens.Vol 11(4), pp1-23.

٩٠م – ٢٥٠م – ٥٠٠م – ١٠٠٠م، ودراسة (Moura et al,2021)[٨] للتوصيف الجيومورفولوجي لخمسة أحواض مائية صغيرة في البرازيل بمقارنة ثلاث مرئيات بدقة ٣٠م – ٩٠م ونموذج ارتفاع رقمي مشتق من بيانات محطة توتال استيشن، ودراسة (جابر،٢٠٢٠)[٩] لحوض مائي شمال العراق قام بمقارنة نموذجين للارتفاعات الرقمية بدقة ٣٠م – ٩٠م، بالإضافة لبعض الدراسات التي استخدمت المقارنة بين نماذج الارتفاعات الرقمية مع نماذج أخرى تم إنشاؤها عبر نقاط تحكم أرضية مثل دراسة: (Gudowicz & Paluszkiewicz,2021)[١٠] لأحواض مائية صغيرة شمال غرب بولندا، وبعض الدراسات التي قامت بالمقارنة بين نموذج ارتفاع رقمي مع خرائط طبوغرافية ١:٥٠٠٠٠ مثل دراسة: (Abdul Qadir et al,2020)[١١] لحوض مائي شمال الهند.

ومعظم الدراسات السابقة لم توضح آليات اشتقاق ومعالجة البيانات لاسيما شبكات الأودية من نماذج الارتفاعات الرقمية، وبالتالي صعوبة عمل مقارنة مع نتائجها، كون أخطاء شبكة التصريف يمكن أن تنتج بسبب أخطاء في نموذج الارتفاع الرقمي نفسه، أو من خوارزمية (آلية) الاشتقاق، بل إن خوارزمية الاشتقاق القوية يمكن أن تعوض أخطاء نموذج الارتفاع الرقمي [١٢]. وهذه الدراسة ستوضح دقة

8 - Moura M, Beskow S, Terra F, Mello C, Cunha Z & Cassalho F (2021) "Influence of different relief information sources on the geomorphological characterization of small watersheds", An. Acad. Bras. Cienc, Vol 93(3),pp 1–18.

٩ – جابر، أحمد عبد الستار (٢٠٢٠)، مرجع سابق.

10 - (Gudowicz J & Paluszkiewicz R (2021) "MAT: GIS-Based Morphometry Assessment Tools for Concave Landforms", Remote Sens, Vol 13(14), pp1-28.

11 - Abdul Qadir, Yasir M, Abir I, Akhtar N & San L (2020) "Quantitative Morphometric Analysis Using Remote Sensing and GIS Techniques for Mandakini River Basin", IOP Conf. Ser.: Earth Environ. Sci.,Vol 540(1),pp1-10.

12 - Polidori L & El Hage M (2020), previous reference,p19.

نماذج الارتفاعات الرقمية، وقيم العتبات التي يمكن الاعتماد عليها في الدراسات المورفومترية لأحواض الأودية في بيئات متشابهة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

أدى توفر المصادر المتعددة لنماذج الارتفاعات الرقمية ذات الدقة المختلفة وسهولة ومجانية الحصول عليها إلى توجه الكثير من الباحثين في مجال الدراسات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية لاشتقاق بيانات شبكات التصريف والخصائص المورفومترية من هذه النماذج، إلا أن غموض آليات معالجة تلك النماذج في الكثير من الدراسات السابقة أضاف صعوبة في التحقق من دقة النتائج المستخلصة، بالإضافة لندرة الدراسات التي استخدمت نماذج ارتفاعات رقمية عالية الدقة ومقارنتها مع نماذج أخرى شائعة الاستخدام، لذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما مدى اختلاف النتائج المستخلصة من نماذج ارتفاعات رقمية مختلفة الدقة؟
- هل تختلف النتائج المستخلصة باختلاف آليات المعالجة لنفس نموذج الارتفاع الرقمي؟
- ما هي الآلية الأنسب لمعالجة نموذج الارتفاع الرقمي للوصل لنتائج أقرب إلى الصحة؟

أهمية الدراسة وأهدافها:

إن تنوع نماذج الارتفاعات الرقمية واختلاف دقتها واختلاف آليات معالجتها أدى لاختلاف النتائج المستخلصة منها، وبالتالي أصبح من الضرورة التدقيق في النتائج من خلال دراسة حوض مائي محدد: (حوض وادي الأهجر)، كنموذج للأحواض المائية لتحقيق الأهداف الآتية:

- اشتقاق شبكة التصريف المائي لحوض وادي الأهجر وأهم خصائصه المورفومترية باستخدام ثلاثة نماذج ارتفاعات رقمية ذات دقة وضوح مكانية: ٩٠م – ٣٠م – ١٢,٥م، واستخدام آليات معالجة متعددة لكل نموذج على حدة.
- مقارنة وتدقيق النتائج المستخلصة لنماذج الارتفاعات الرقمية المستخدمة وآليات معالجتها للوصول للنتائج الأكثر دقة وموثوقية.

موقع منطقة الدراسة وأهم خصائصها:

يقع حوض وادي الأهجر غرب الجمهورية اليمنية ضمن إقليم المرتفعات الغربية بين دائرتي عرض: (00 // 17 / 15°) و(40 // 34 / 15°) شمالاً، وخطي طول (04 // 46 / 43°) و(23 // 57 / 43°) شرقاً، ويتوزع إداريا بين محافظة المحويت في جزئه الشمالي ومحافظة صنعاء في جزئه الجنوبي، ويبلغ متوسط مساحة الحوض: ٣٣٢،٣ كم^{٢}، تتراوح ارتفاعات الحوض من ٣٥٢٨م فوق مستوى سطح البحر على السفح الغربي لجبل النبي شعيب أقصى جنوب الحوض إلى ارتفاع ١٢٥٨م عند مصب وادي الأهجر غرب الحوض (شكل١)، ويعد الحوض أحد الروافد الرئيسة لحوض وادي سردود الذي يصب في البحر الأحمر.

شكل (١) موقع حوض وادي الأهجر

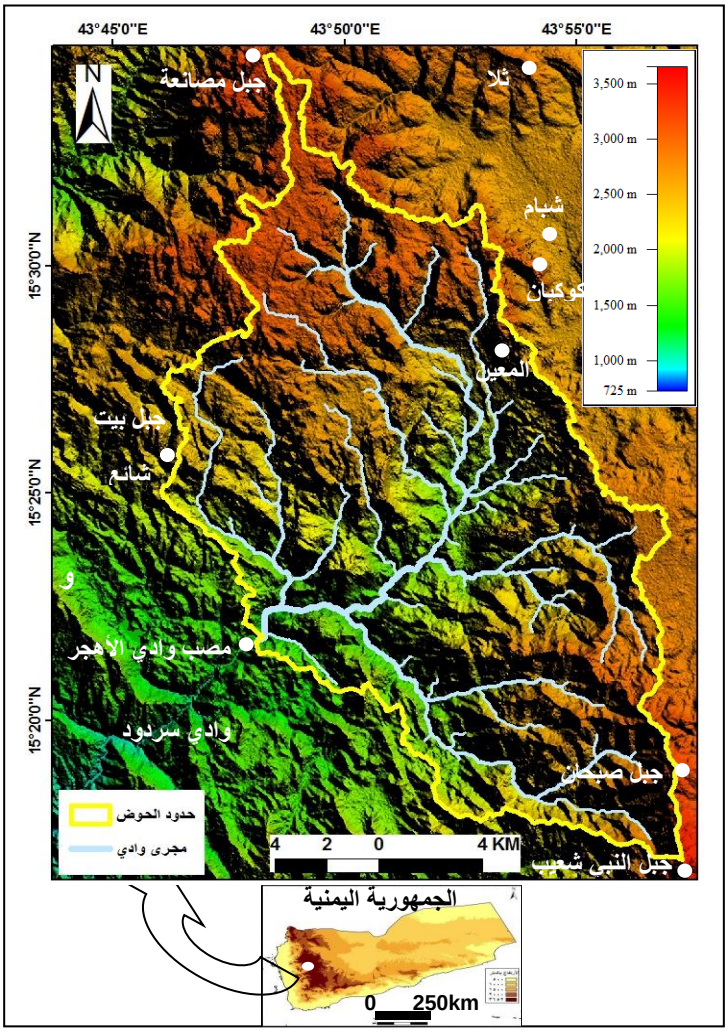

المصدر: تصنيف ALOS-12.5m باستخدام برنامج Global Mapper 22

ويتكون الحوض من صخور تمثل الزمن الجيولوجي منذ ما قبل الكامبري حتى الزمن الرباعي الحديث، تبدأ بصخور القاعدة القديمة أورثونيس ومجماتيت غرب وجنوب غرب الحوض بنسبة ٨,٦% من مساحة الحوض، وتسيطر صخور الزمن الثاني على ثلثي الحوض، ممثلة بمجموعة عمران الجيرية تكوين

الأهجر(لايمستون متعاقب مع مارل ودولوميت ورمل) بنسبة ٢٤,٦% وسط وجنوب غرب الحوض، وصخور العصر الكريتاسي ممثلة، بمجموعة الطويلة الرملية المنتشرة شمال وغرب الحوض بنسبة ٤٤,٨%، وصخور الزمن الثالث المكونة من بازلت وأجنمبرايت وترسبات رماد بركاني تتركز جنوب وجنوب شرق الحوض بنسبة ١٦,٣%، ونسبة ضئيلة من البازلت الرباعي وبعض الترسبات الهوائية شرق الحوض (شكل٢).

وقد تأثر الحوض بمجموعة صدوع اعتيادية بلغ عددها ٢٦ صدعاً رئيساً بطول ١١٤,٤كم، يعتقد تأثرها بتكون أخدود البحر الأحمر بشكل رئيس، حيث مثلت اتجاهات الصدوع شمال غرب – جنوب شرق ٦٤,٨% من جميع الصدوع، وفيما يتعلق بالمعدل السنوي لهطول الأمطار فقد بلغ حوالي ٣١٩,٥مم، تتوزع خلال موسمين رئيسين، الأول في أشهر مارس-إبريل-مايو بنسبة ٣٥% من كمية الأمطار، والموسم الثاني خلال أشهر يونيو-يوليو-أغسطس بنسبة ٤٩,٦% *، وبخصوص درجات الحرارة فقد بلغ متوسط درجات الحرارة العظمى ٢٦,٨م° والصغرى ٦,٥م° بمعدل ١٦,٦م° **، وسبب تدنى متوسط درجات الحرارة الصغرى هو ارتفاع محطة ثلا البالغ ٢٧٨٠م فوق مستوى سطح البحر كونها المحطة المتاحة والأقرب للحوض.

* – تم الحصول على بيانات الأمطار المتاحة من محطات شبام – المعين – يوسف، الهيئة العامة للموارد المائية،٢٠١٣،بيانات غير منشورة.

** – تم الحصول على بيانات درجات الحرارة المتاحة من محطات ثلا – شبام، الهيئة العامة للموارد المائية، ٢٠١٣، بيانات غير منشورة.

شكل(٢) الخريطة الجيولوجية لحوض وادي الأهجر

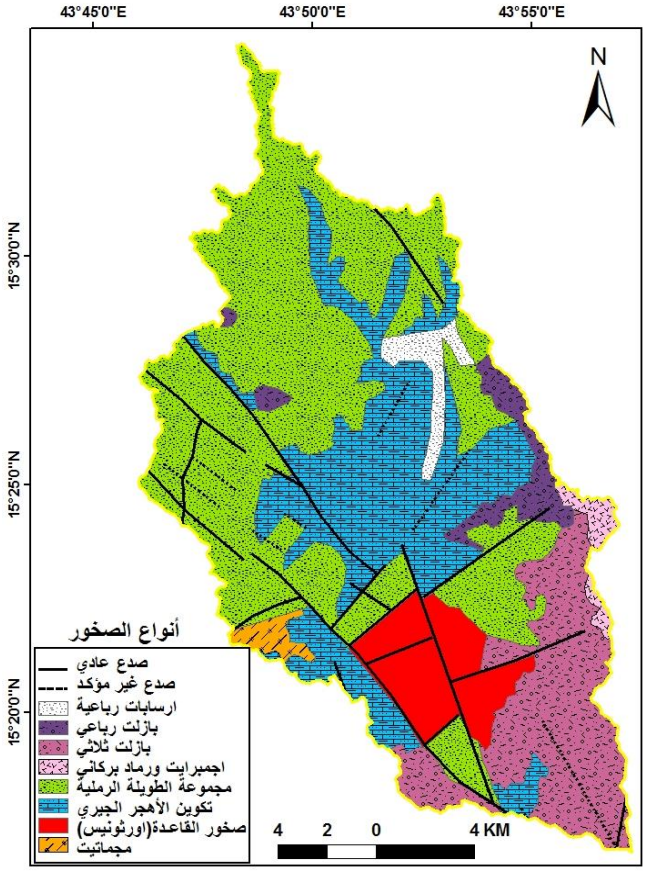

المصدر: الخريطة الجيولوجية لوحة صنعاء SHEET 15G مقياس ١:٢٥٠٠٠٠

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي المقارن في تحليل نماذج الارتفاعات الرقمية مختلفة الدقة لاستخراج شبكة التصريف المائي لحوض وادي الأهجر، ومقارنة النتائج مع بعض الدراسات السابقة في الجزئيات التي استخدمت نماذج ارتفاعات رقمية نوع SRTM- 90m وASTER- 30m، نفذت في مناطق متعددة من العالم ، كون الباحث لم يعثر على دراسات مقارنة باستخدام نموذجALOS-12.5 m،وكذلك المنهج التجريبي الكمي في تطبيق معالجات متعددة لحساسية البيانات في النماذج المستخدمة، ومقارنة نتائج الخصائص المورفومترية المستخلصة لكل نموذج وكل وسيلة معالجة على حدة للوصول للنتائج الأكثر دقة وموثوقية.

مصادر البيانات:

لتنفيذ هذه الدراسة تم استخدام ثلاثة نماذج ارتفاعات رقمية لاستخلاص أودية الحوض وخصائصه المورفومترية، ومرئيتين فضائيتين وخرائط طبوغرافية لفحص مدى الدقة للمكانية للأودية ،كما يلي:

- نموذج ارتفاع رقمي بدرجة وضوح مكانية ٩٠م نوع (SRTM- 90 m resolution)، سيتم اختصاره في متن البحث بالرمز (S90m).
- نموذج ارتفاع رقمي بدرجة وضوح مكانية ٣٠م نوع (ASTER- 30 m resolution)، رمزه (A30m).
- نموذج ارتفاع رقمي بدرجة وضوح مكانية ١٢,٥م نوع (ALOS PALSAR-12.5 m resolution)، رمزه (A12.5m).
- مرئية فضائية بدرجة وضوح مكانية ٠,٢٨م نوع WORLDVIEW، التقطت عام ٢٠١٧، رمزها (W-0.28m).
- مرئية فضائية بدرجة وضوح مكانية ٣٠م نوع LANDSAT_8، التقطت عام ٢٠٢٠.
- خرائط طبوغرافية مقياس 50000:1، لوحتا 1543 B4 – 1543 D2.
- خريطة جيولوجية مقياس 250000:1، لوحة صنعاء SHEET 15G .

آلية معالجة البيانات:

تم الاستعانة بتقنيات الاستشعار عن بعد لمعالجة وتحسين المرئيات الفضائية باستخدام برنامج15 ERDAS IMAGIN، واستخدام نظم المعلومات الجغرافية، وأهم برامجها ArcMap.10.8.1، من خلال صندوق أدواته الرئيسية Arc Toolbox، وسلسلة أدواته الفرعية؛ لمعالجة نماذج الارتفاعات الرقمية، واشتقاق شبكة الأودية، واستخلاص الخصائص المورفومترية للحوض، وفقاً للإجراءات الآتية:

١- تحويل الإحداثيات Reproject Raster:

تم تحويل نماذج الارتفاعات الرقمية من نظام الإحداثيات الجغرافية (GCS) إلى نظام الإحداثيات المترية (UTM) لإجراء أدق للقياسات المترية، ثم استقطاع حدود الحوض التقريبية لتسهيل إجراء التحليلات اللاحقة.

٢- معالجة القيم الشاذة Fills sinks:

تقوم هذه المعالجة بملء سطح النموذج لإزالة البيانات الشاذة المرتفعة أو المنخفضة غير الحقيقية، وملئ الخلايا التي لا تحتوي على بيانات.

٣- تحديد اتجاهات الجريان Flow Direction:

تقوم بتحديد اتجاهات ومسارات المياه من كل خلية إلى واحدة من الخلايا الثمان المجاورة لها، وتسمى بطريقة الاتجاهات الثمانية D8 [١٣].

= 13 - Tarboton D (1997) "A new method for the determination of flow directions and

٤- تحديد مناطق التجمعات المائية Flow Accumulation:

تعد هذه العملية من أهم عمليات استخلاص شبكات الأودية، وتعتمد قيمها على تحديد قيمة عتبة الجريان المائي Threshold، التي تعرف على أنها: عدد الخلايا التي تشير إلى المكان الذي يجب أن يبدأ فيه الجريان المائي، ويؤدي اختلاف قيم العتبة إلى اختلاف أعداد وأطوال ورتب الأودية في الحوض [١٤]، وكلما زادت قيم العتبة قلت أعداد وأطوال ورتب الأودية، والعكس صحيح، ولا توجد طريقة محددة لاختيار قيمة العتبة، بل تعتمد على تجربة عدة قيم؛ حسب تضرس منطقة الدراسة، ودقة نموذج الارتفاع الرقمي، وفي هذه الدراسة تم تحديد قيم العتبة التي سيشار لها لاحقاً بالرمز (T)، حسب دقة نموذج الارتفاع الرقمي، كما يلي:

- SRTM- 90 m تم تحديد قيم T (٥٠٠ – ٢٥٠ – ١٠٠ – ٧٠ – ٥٠ – ١٠).
- ASTER- 30 m تم تحديد قيم T (٥٠٠ – ٢٥٠ – ١٠٠ – ٧٠).
- ALOS PALSAR-12.5 m تم تحديد قيم T (٥٠٠ – ٢٥٠ – ١٠٠).

وبهذا يتم استنباط ثلاث عشرة شبكة لأودية حوض وادي الأهجر بأعداد وأطوال ورتب مختلفة.

٥- ربط الأودية Stream Link:

تهدف إلى ربط الروافد لجميع الأودية؛ من خلال تعيين نقاط التقاطع والاتصال بين الروافد، وتحديد قيمة خاصة لكل نقطة.

upslope areas in grid digital elevation models", Water Resour. Res, Vol 33(2),p309.

14 - Ozulu I & Gokgoz T (2018) "Examining the Stream Threshold Approaches Used in Hydrologic Analysis", ISPRS Int. J. Geo-Inf, Vol 7(6),p2.

٦- استخراج رتب الأودية Stream Order:

يتم تحديد رتب جميع الأودية، والرتبة الأعلى التي وصل لها الحوض؛ باستخدام طريقة استريلر[١٥] .

٧- تحويل الأودية من صيغة Raster إلى صيغة Vector:

جميع الخطوات السابقة كانت في صيغة شبكية Raster، ولتتمكن من إجراء التحليلات المورفومترية لا بد من تحويلها إلى صيغة خطية Vector .

٨- استقطاع حدود الحوض Watershed:

وهي المرحلة الأخيرة في اشتقاق شبكة التصريف، حيث يتم استقطاع حدود الحوض بدقة، وبناء عليه يتم استقطاع شبكة الأودية داخل حدود الحوض فقط، شكل (٣)، (٤)، (٥).

٩-اشتقاق أهم الخصائص المورفومترية للحوض:

تم حساب الخصائص المورفومترية وفقا للقوانين الموضحة في الجدول (١)، ونتائجها في الجدول (٢) والجدول (٣).

١٠-إنشاء سبعين نقطة مراقبة على مرئية W-0.28m في الجزء الأوسط والأدنى من الحوض، وسط مجاري الأودية الرئيسة، التي تظهر في جميع النماذج؛ للتحقق من دقة تطابق مواقع الأودية المستخرجة من نماذج الارتفاعات الرقمية مع هذه المرئية عالية الدقة شكل (٦)، وللتعرف على نسب الإزاحة إن وجدت؛ للتوصل لنموذج الارتفاع الرقمي الأدق والأوثق في نتائجه، حيث إن مثل هذه المرئيات عالية

15 - Strahler A.N (1957) " Quantitative analysis of watershed geomorphology ", Trans, Amer, Geophys Union, Vol.38, No6,p914.

الدقة من المرجعيات المهمة لمعايرة دقة تمثيل هذه النتائج المشتقة من نماذج الارتفاعات الرقمية[١٦] .

١١-تتبع عينات عشوائية من أودية الرتب الأولى، ومطابقتها مع انحناءات خطوط الكنتور على خرائط طبوغرافية مقياس ١:٥٠٠٠٠؛ للتأكد من حقيقة وصحة مواقع هذه الأودية، حيث استخدمت عدة دراسات خرائط طبوغرافية بذات المقياس لمعايرة النتائج المستخرجة من نماذج ارتفاعات رقمية مختلفة الدقة[١٧].

16 -Niyazi et al,2019, previous reference,p8.

17 - Niyazi et al,2019, Ibid, p10. and Das S, Patel P & Sengupta S (2016) "Evaluation of different digital elevation models for analyzing drainage morphometric parameters in a mountainous terrain: a case study of the Supin–Upper Tons Basin, Indian Himalayas", SpringerPlus, Vol 5(1),p17.

شكل (٣) أودية النموذج SRTM–90m حسب قيمة العتبة (T)

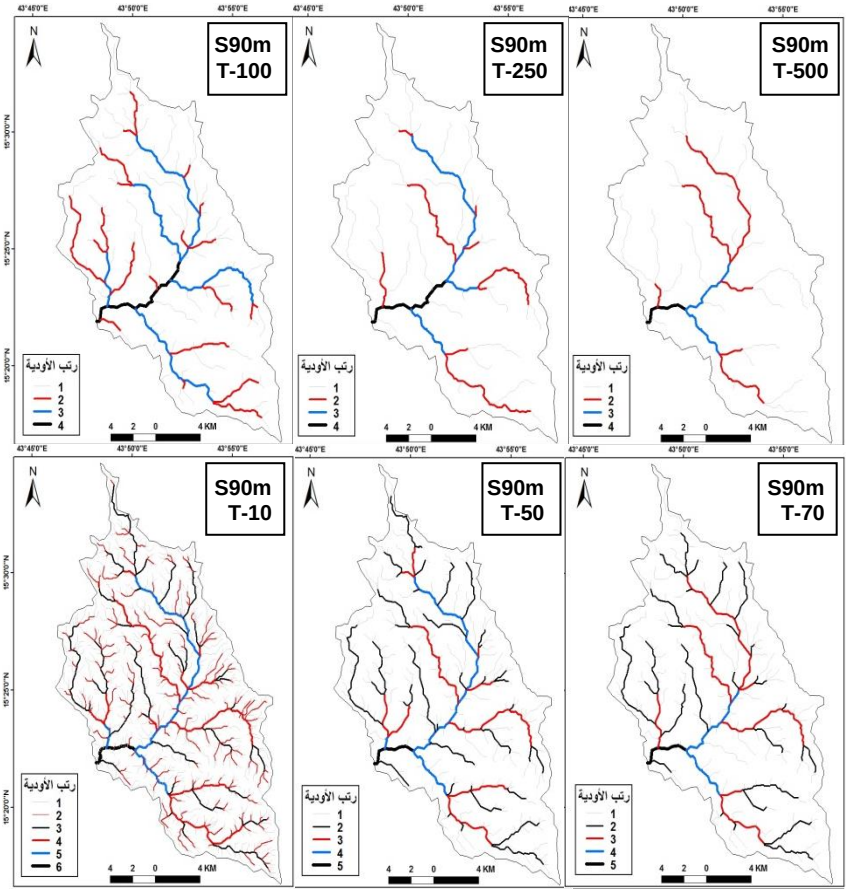

المصدر: معالجة نموذج S90m باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

شكل (٤) أودية النموذج ASTER–30m حسب قيمة العتبة (T)

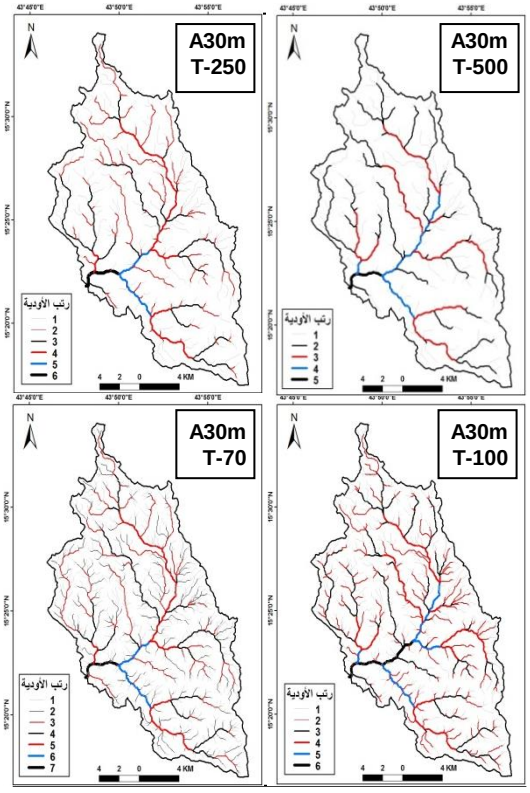

المصدر: معالجة نموذج A30m باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

شكل (٥) أودية النموذج ALOS–12.5m حسب قيمة العتبة (T)

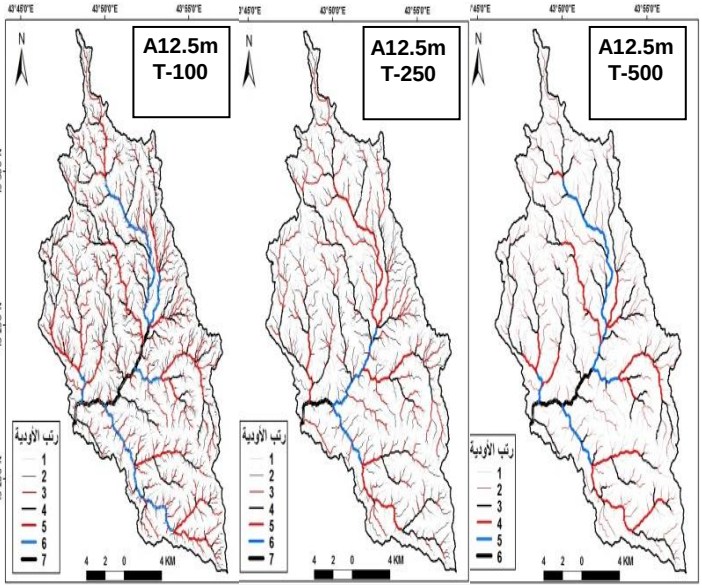

المصدر: معالجة نموذج A12.5m باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

جدول(١) الخصائص المورفومترية المستخدمة

الخصائص المورفومترية	طريقة الاشتقاق	المرجع
خصائـــص شبكـــة التصريـــف		
Stream orders رتب الأودية	طريقة استريلر	Strahler,1957,p914
Stream numbers أعداد الأودية	وات التحليل المكاني	ArcMap.10.8.1
Stream length أطوال الأودية (كم)	أدوات التحليل المكاني	ArcMap.10.8.1
Drainag density كثافة التصريف (كم/كم^2)	كثافة التصريف= أطوال الأودية / مساحة الحوض	Horton,1932,p357
معدل نسب التشعب Mean bifurcation ra tio	متوسط نسب التشعب لجميع الرت ب	Horton,1932,p356
الخصائـــص المساحيـــة والخطيـــة		
Basin area مساحة الحوض (كم^2)	أدوات التحليل المكاني	ArcMap.10.8.1
Basin perimete محيط الحوض (كم)	أدوات التحليل المكاني	ArcMap.10.8.1
Basin length طول الحوض (كم)	المسافة بين المصب وأبعد نقطة على محيط الحو ض	Gregory & Walling,1973,p50
Basin width عرض الحوض (كم)	أقصى عرض للحوض يكون عمودياً على خط طول الحوض	جودة وآخرون، ١٩٩١، ص٣٢٩
الخصائـــص الشكليـــة		
معامل الاستدارة Circularity ratio	مساحة الحوض/مساحة دائرة يساوي محيطها محيط الحو ض	Verstappen, 1983,p68
معامل الاستطالة Elongation ratio	قطر دائرة مساحتها تساوي مساحة الحوض/طول الحوض	Verstappen, 1983,p69
معامل الشكل Form factor	مساحة الحوض / مربع طول الحوض	Horton,1932,p351
معامل الاندماج Compactness ratio	محيط الحوض / (٢ * (مساحة الحوض * π)$^{1/2}$)	Horton,1932,p351
الخصائـــص التضاريسيـــة		
التضرس Relief	أعلى ارتفاع في الحوض – أدنى ارتفاع في الحوض	Verstappen, 1983,p69
معدل التضرس Relief ratio	التضرس / طول الحوض	Verstappen, 1983,p69
قيمة الوعورة Ruggedness number	(التضرس *كثافة التصريف) / ٠،١٠٠	Strahler,1958,p289
معدل النسيج الحوض Texture ratio	عدد الأودية / محيط الحوض	Strahler,1957,p916
التكامل الهبسومتري Hypsometric Integral	مساحة الحوض / التضرس	جودة وآخرون، ١٩٩١، ص٧٣٢

جدول(2) خصائص شبكة التصريف حسب نوع ودقة النموذج وحسب قيمة العتبة (T)

النموذج / الخصائص	SRTM 90m T-500	SRTM 90m T-250	SRTM 90m T-100	SRTM 90m T-70	SRTM 90m T-50	SRTM 90m T-10	ASTER 30m T-500	ASTER 30m T-250	ASTER 30m T-100	ASTER 30m T-70	ALOS 12.5m T-500	ALOS 12.5m T-250	ALOS 12.5m T-100
مجموع الأودية	32	49	137	186	241	1196	226	435	1105	1655	1353	2783	7694
أطوالها (كم)	131.8	172.1	261.5	301.5	347.9	760.4	326.5	433.9	656.9	785.9	768.2	1060.5	1772.7
عدد رتبة-1	23	35	110	147	187	950	177	328	865	1302	1059	2170	6071
أطوالها (كم)	78.7	100.4	137.3	145.7	168.3	422.4	158.8	208.3	323.2	396.6	383.3	533.2	954.7
عدد رتبة-2	6	10	21	29	40	191	36	81	187	271	228	475	1271
أطوالها (كم)	37.2	38.8	63.2	90.9	102.1	155.4	94.4	112.5	163.6	183.9	185.1	255.0	408.1
عدد رتبة-3	2	3	5	7	10	40	9	18	38	59	49	107	271
أطوالها (كم)	11.4	24.1	50.3	47.7	46.6	100.1	51.6	68.6	98.6	107.6	111.0	137.7	190.5
عدد رتبة-4	1	1	1	2	3	11	3	5	10	15	12	22	60
أطوالها (كم)	4.5	8.9	10.7	12.6	26.3	50.2	17.2	30.6	46.6	53.4	52.0	78.4	112.7
عدد رتبة-5	–	–	–	1	1	3	1	2	4	5	4	6	15
أطوالها (كم)	–	–	–	4.5	4.5	27.5	4.5	9.4	16.4	30.6	27.6	38.1	58.8
عدد رتبة-6	–	–	–	–	–	1	–	1	1	2	1	2	5
أطوالها (كم)	–	–	–	–	–	4.7	–	4.5	8.4	9.4	9.3	13.4	35.5
عدد رتبة-7	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1	–	1	1
أطوالها (كم)	–	–	–	–	–	–	–	–	–	4.5	–	4.6	12.5
معدل نسب التشعب	2.9	3.3	4.8	3.7	3.8	4.0	3.7	3.3	4.0	3.5	4.1	3.8	4.3
كثافة التصريف	0.40	0.52	0.78	0.90	1.04	2.28	0.99	1.31	1.98	2.37	2.31	3.19	5.33

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1

جدول(3) الخصائص المورفومترية المساحية والشكلية والتضاريسية حسب نوع ودقة النموذج وحسب قيمة (T)

النموذج / الخصائص	SRTM 90m T-500	SRTM 90m T-250	SRTM 90m T-100	SRTM 90m T-70	SRTM 90m T-50	SRTM 90m T-10	ASTER 30m T-500	ASTER 30m T-250	ASTER 30m T-100	ASTER 30m T-70	ALOS 12.5m T-500	ALOS 12.5m T-250	ALOS 12.5m T-100
المساحة (كم^2)	333.4	333.4	333.4	333.4	333.4	333.4	331	331	331	331	332.4	332.4	332.4
المحيط (كم)	103.5	103.5	103.5	103.5	103.5	103.5	105.5	105.5	105.5	105.5	115.7	115.7	115.7
طول الحوض (كم)	23.6	23.6	23.6	23.6	23.6	23.6	22.6	22.6	22.6	22.6	23.7	23.7	23.7
عرض الحوض(كم)	16.5	16.5	16.5	16.5	16.5	16.5	16.1	16.1	16.1	16.1	16.5	16.5	16.5
معامل الاستدارة	0.39	0.39	0.39	0.39	0.39	0.39	0.37	0.37	0.37	0.37	0.31	0.31	0.31
معامل الاستطالة	0.87	0.87	0.87	0.87	0.87	0.87	0.91	0.91	0.91	0.91	0.87	0.87	0.87
معامل الشكل	0.60	0.60	0.60	0.60	0.60	0.60	0.65	0.65	0.65	0.65	0.59	0.59	0.59
معامل الاندماج	1.60	1.60	1.60	1.60	1.60	1.60	1.64	1.64	1.64	1.64	1.79	1.79	1.79
أعلى ارتفاع (م)	3591	3591	3591	3591	3591	3591	3493	3493	3493	3493	3528	3528	3528
أدنى ارتفاع (م)	1269	1269	1269	1269	1269	1269	1281	1281	1281	1281	1258	1258	1258
التضرس	2322	2322	2322	2322	2322	2322	2212	2212	2212	2212	2270	2270	2270
معدل التضرس	98.4	98.4	98.4	98.4	98.4	98.4	97.9	97.9	97.9	97.9	95.8	95.8	95.8
التكامل الهبسومتري	0.14	0.14	0.14	0.14	0.14	0.14	0.15	0.15	0.15	0.15	0.15	0.15	0.15
قيمة الوعورة	0.92	1.20	1.82	2.10	2.42	5.30	2.18	2.90	4.39	5.24	5.24	7.24	12.11
معدل التسبيح الحوضي	0.31	0.47	1.32	1.80	2.33	11.56	2.14	4.12	10.47	15.69	11.69	24.05	66.50

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

شكل(٦) مواقع نقاط المراقبة في الحوض

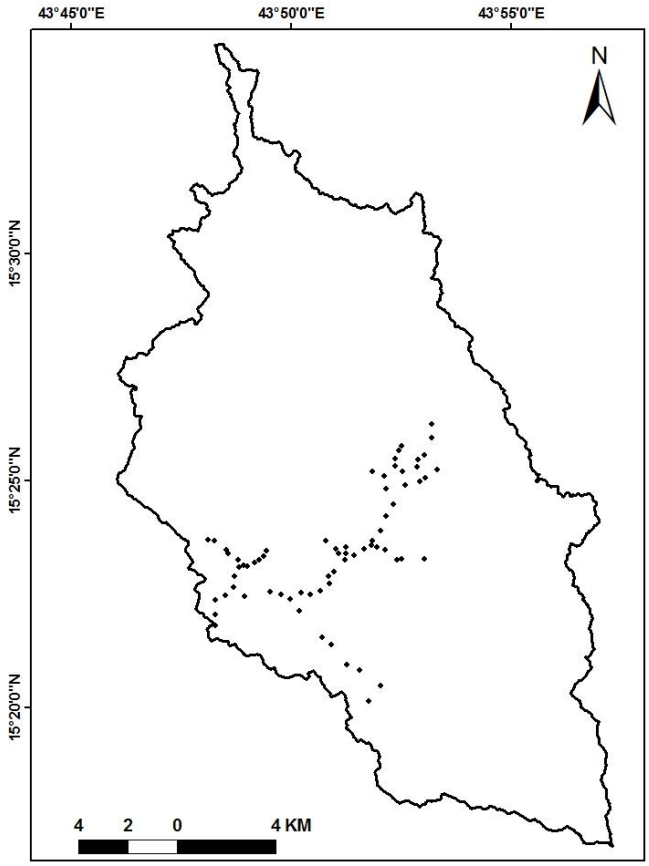

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

مقارنة النتائج والمناقشة:

أولاً_ خصائص شبكة التصريف:

يتضح من الجدول (٢) والأشكال (٣ – ٤ – ٥) وجود اختلافات في رتبة الحوض الرئيسة وفي أعداد وأطوال الأودية بين النماذج المختلفة من ناحية وداخل النموذج الواحد باختلاف قيمة العتبة من ناحية أخرى، ففي نموذج S90m وصل الحوض للرتبة الرابعة بقيم العتبات ٥٠٠ – ٢٥٠ – ١٠٠،

وارتفعت إلى الرتبة الخامسة بقيم العتبة ٧٠ – ٥٠، ووصل إلى الرتبة السادسة بقيمة العتبة ١٠، بينما وصل الحوض للرتبة السادسة في نموذج A12.5m بقيمة العتبة ٥٠٠، وإلى الرتبة السابعة بقيم العتبة ٢٥٠ – ١٠٠، ويترجم الجدول (٤) والشكل (٧) هذه الاختلافات إلى نسب مئوية بين معدلات الخصائص المورفومترية لشبكة التصريف، حيث تتسع الاختلافات بين النماذج في جميع الخصائص، لاسيما في أعداد الأودية، وبنسبة أقل في الأطوال، وعلى سبيل المثال فإن متوسط أعداد الأودية في نموذج S90m يبلغ ٣٥,٩% من نظيرتها في النموذج A30m، و٧,٨% فقط من النموذج A12.5m، بينما تقل نسبة الاختلافات بين نموذجي A30m وA12.5m، وقد أشارت عدة دراسات مثل دراسة: (Polidori L & El Hage M,2020)[١٨]، ودراسة (Moura et al,2021)[١٩] إلى أن زيادة حجم الشبكة (انخفاض دقة الوضوح المكانية) له تأثير على تجانس نموذج الارتفاع الرقمي، حيث تؤدي زيادة حجم الشبكة إلى تنعيم التضاريس وتقليلها إحصائياً، وبالتالي يعمل على تقليل خطوط التصريف أي أعداد وأطوال الأودية، وهذا يفسر العلاقة الطردية بين دقة نماذج الارتفاعات الرقمية وبين حجم شبكة الأودية المشتقة منها.

18 - Polidori L & El Hage M (2020), previous reference,p23.

19 - Moura et al (2021), previous reference,p

جدول(4) متوسطات قيم خصائص شبكة التصريف حسب نوع ودقة النموذج ونسب الاختلاف بينها

النموذج / الخصائص	متوسط قيم SRTM 90m جميع العتبات	متوسط قيم ASTER 30m جميع العتبات	متوسط قيم ALOS 12.5m جميع العتبات	النسبة المئوية SRTM 90m إلى ASTER 30m	النسبة المئوية SRTM 90m إلى ALOS 12.5m	النسبة المئوية ASTER 30m إلى ALOS 12.5m	النسبة المئوية SRTM 90m بين العتبات 500-10	النسبة المئوية ASTER 30m بين العتبات 500-70	النسبة المئوية ALOS 12.5m بين العتبات 500-100
عدد جميع الأودية	306.8	855.3	3943.3	35.9	7.8	21.7	2.7	13.7	17.6
أطوالها (كم)	329.2	550.8	1200.5	59.8	27.4	45.9	17.3	41.5	43.3
عدد رتبة-1	242.0	668.0	3100.0	36.2	7.8	21.5	2.4	13.6	17.4
أطوالها(كم)	175.5	271.8	623.7	64.6	28.1	43.6	18.6	40.0	40.1
عدد رتبة-2	49.5	143.8	658.0	34.4	7.5	21.8	3.1	13.3	17.9
أطوالها(كم)	81.3	138.6	282.7	58.6	28.7	49.0	23.9	51.3	45.4
عدد رتبة-3	11.2	31.0	142.3	36.0	7.8	21.8	5.0	15.3	18.1
أطوالها(كم)	46.7	81.6	146.4	57.2	31.9	55.7	11.4	48.0	58.3
عدد رتبة-4	3.2	8.3	31.3	38.4	10.1	26.3	9.1	20.0	20.0
أطوالها(كم)	18.9	37.0	81.0	51.1	23.3	45.6	9.0	32.2	46.1
عدد رتبة-5	0.8	3.0	8.3	27.8	10.0	36.0	0.0	20.0	26.7
أطوالها(كم)	6.1	15.2	41.5	40.0	14.7	36.7	0.0	14.7	46.9
عدد رتبة-6	0.2	1.0	2.7	16.7	6.3	37.5	0.0	0.0	20.0
أطوالها(كم)	0.8	5.6	19.4	14.1	4.0	28.7	0.0	0.0	26.2
عدد رتبة-7	0.0	0.3	0.7	0.0	0.0	37.5	0.0	0.0	0.0
أطوالها(كم)	0.0	1.1	5.7	0.0	0.0	19.7	0.0	0.0	0.0
م/نسب التشعب	3.7	3.7	4.1	103.4	92.2	89.1	72.5	105.7	95.3
كثافة التصريف	1.0	1.7	3.6	59.3	27.3	46.1	17.5	41.8	43.3

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1

شكل (٧) النسب المئوية لاختلافات أعداد الأودية وأطوالها بين النماذج وبين أعلى وأدنى قيمة للعتبة في كل نموذج

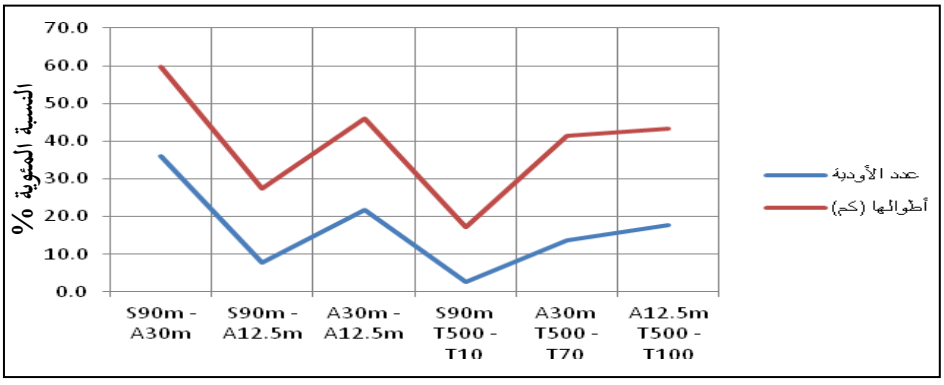

المصدر: بيانات الجدول (٤).

ويتبين من الشكل (٨) اختلاف أعداد الأودية داخل النموذج حسب قيمة العتبة، وقد تتولد أعداد أكثر من نموذجٍ ذي دقة منخفضة، بالمقارنة مع نموذج آخر يفوقه في الدقة، إذا اختلفت قيمة العتبة، على سبيل المثال تولد من نموذج S90m بقيمة عتبة ١٠ عدد ١١٩٦ وادياً، وهو ما يفوق عدد الأودية المشتقة من نموذج A30m بقيم عتبات ٥٠٠ – ٢٥٠ – ١٠٠، وكذلك الحال بالنسبة لأطوال الأودية، مما يعكس أهمية آلية المعالجة، واختيار قيمة العتبة، وتأثيرها الذي يفوق أحيانا تأثير دقة النموذج، كون قيمة العتبة تعني درجة التحسس في تتبع مسارات ومناطق التجمعات المائية.

شكل(٨) تباين أعداد الأودية حسب نوع ودقة النموذج وحسب قيمة العتبة (T)

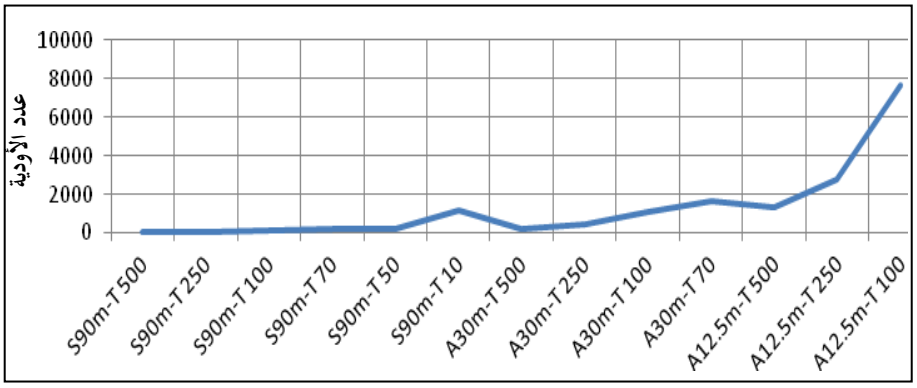

المصدر: بيانات الجدول (٢).

إن اختلاف أعداد الأودية وأطوالها قد انعكس على تباين قيم معدلات التشعب وكثافة التصريف، ويلاحظ من جدول (٢) تصاعد قيم نسب معدلات التشعب غالباً كلما انخفضت قيم العتبات داخل النموذج الواحد، وتساوي متوسط معدل نسبة التشعب لنموذجي S90m وA30m، وارتفاعه لنموذج A12.5m (جدول٤)، وتتراوح معدلات التشعب عموما بين ٣ و ٥، وينعكس تأثير معدلات التشعب على طبيعة حركة المياه في الأودية، فإذا كانت المعدلات منخفضة فإن الماء الجاري يميل للتجمع بدلاً من الانتشار،

وبالتالي زيادة خطورة الفيضانات، والعكس صحيح[٢٠]، أما قيم كثافة التصريف المرتبطة بأطوال الأودية فقد سجلت منحى تصاعدياً مستمراً كلما زادت دقة النموذج وكلما انخفضت قيمة العتبة داخل النموذج الواحد.

وفيما يتعلق بنقاط المراقبة لمواقع الأودية على مرئية W _ 0.28m تبين حدوث إزاحات متفاوتة في قيمها حسب دقة النموذج، ويتضح من جدول (٥) وشكل (٩) وجود ارتباط عكسي بين قيم الإزاحات وبين دقة النموذج، فكلما قلت دقة النموذج زادت قيم الإزاحات، مع ملاحظة شدة الإزاحات في نموذج S90m، وخلو مناطق عدة من الأودية حيث يجب أن تكون، وتقل الفوارق بين نموذجي A30m و A12.5m، وتزداد الدقة في مواقع الأودية وأعدادها، لاسيما في نموذج A12.5m، وبدرجة أقل لنموذج A30m، كما يتضح عدم تأثر الإزاحة للأودية باختلاف قيمة العتبة، ويقتصر دور اختلاف قيم العتبات على زيادة عدد روافد الحوض فقط.

جدول(٥) قيم إزاحة الأودية في نقاط المراقبة حسب نوع ودقة النموذج

النموذج	أعلى إزاحة (م)	أدنى إزاحة (م)	متوسط الإزاحة (م)
SRTM-90m	275	8	144.9
ASTER-30m	172	0	34.5
ALOS-12.5m	109	0	19.3

المصدر: القياس باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

20 - Abdul qadir et al,(2020), previous reference,p5.

شكل(٩) مدى الإزاحة لمجاري الأودية حسب نوع نموذج الارتفاع الرقمي بالمقارنة مع المرئية الفضائية worldview_0.28m

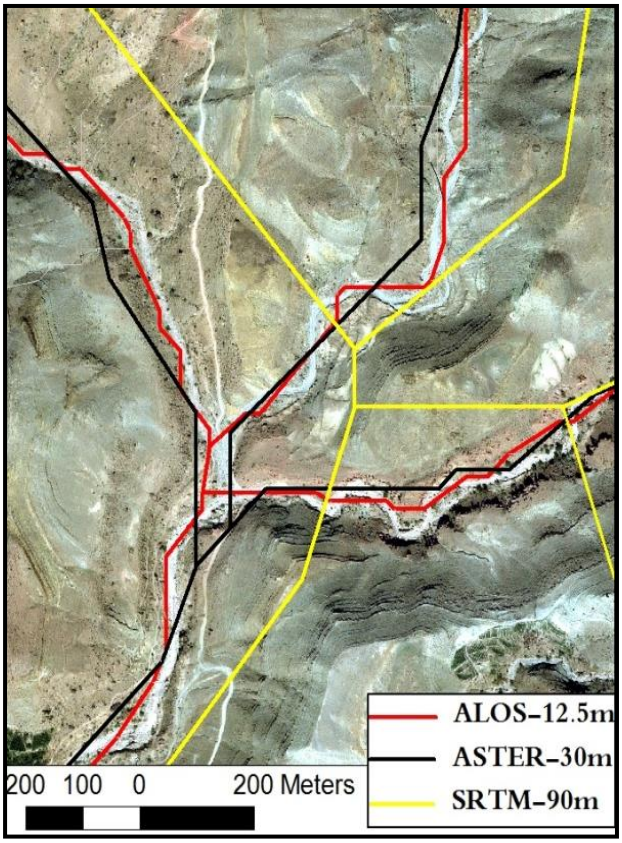

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

ومن خلال مقارنة عينات عشوائية لخطوط الأودية مع انحناءات خطوط الكنتور على الخرائط الطبوغرافية تبين وجود تطابق كبير في الأودية المشتقة من نموذج A12.5m، يليه نموذج A30m، أما نموذج S90m فقد أظهر وجود إزاحات وعدم تطابق واضح مع خطوط الكنتور في العديد من الأودية،

شكل(١٠) مدى التباين في تطابق مجاري الأودية مع انحناءات خطوط الكنتور على خريطة طبوغرافية مقياس ١:٥٠٠٠٠ حسب نوع دقة نموذج الارتفاع الرقمي

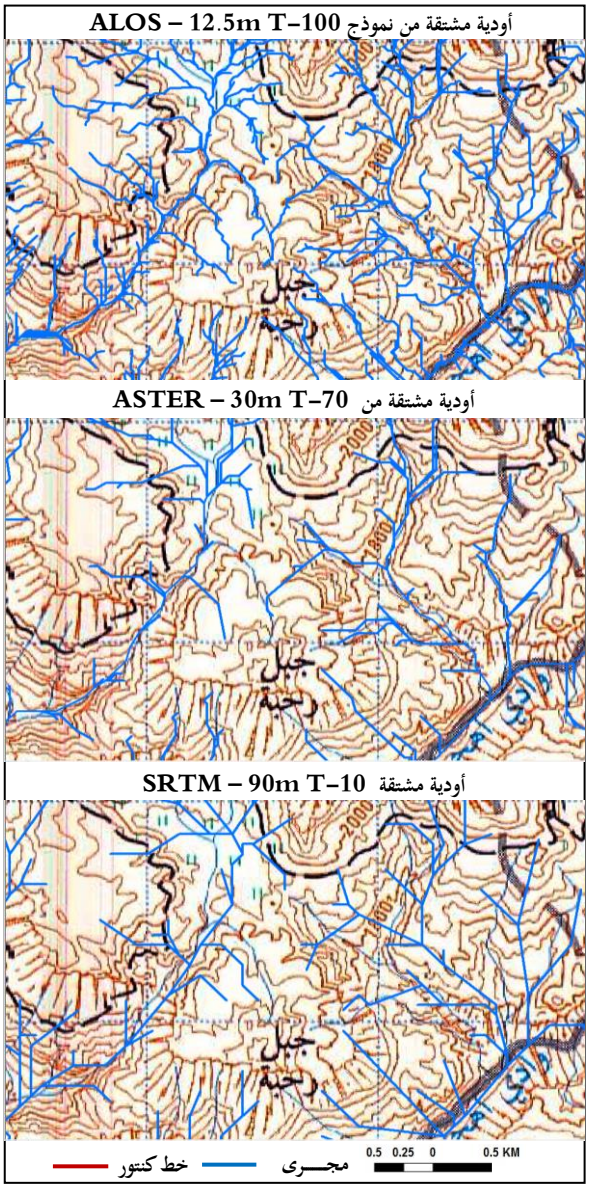

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

يتضح مما سبق أن نموذج S90m هو النموذج الأقل موثوقية في تمثيله لشبكة الأودية سواء من حيث دقة الموقع أو خصائص شبكة التصريف، وكان نموذج A12.5m بقيمة العتبة T-100 هو الأفضل في تمثيل شبكة الأودية، يليه النموذج A30m بقيمة العتبة T-70، وقد أكد (Das et al,2016)[٢١] جدوى الاعتماد على نموذج ASTER - 30 m في دراسة الخصائص المورفومترية لحوض مائي في جبال الهملايا في الهند، وكلما كانت الأحواض المائية أصغر في مساحتها فإنها تتطلب دقة أكبر لنموذج الارتفاع الرقمي لتمثيل الحوض بدقة[٢٢]، وقد خلص (Hawker et al,2018) [٢٣] في دراسته لتقدير أخطار الفيضانات إلى أن دقة نموذج الارتفاع الرقمي الضئيلة أكبر من ٣٠م، وأخطاء النموذج الرأسية، وقدم عمر النموذج أكثر من عشر سنوات، تشكل عوامل إعاقة في تقدير أخطار الفيضانات.

ثانياً_ الخصائص المساحية والخطية:

يوضح جدول (٣) وجود تباينات طفيفة في مساحة الحوض بين مختلف النماذج، وقد حقق نموذج S90m أعلى قيمة، يليه نموذج A12.5m، وأخيرا نموذج A30m، وقد أكدت دراسات (Niyazi et

21 - Das et al(2016), previous reference,p17.

22 - Angillieri M & Fernández O (2017) "Morphometric analysis of river basins using GIS and remote sensing of an Andean section of Route 150, Argentina. A comparison between manual and automated delineation of basins", Rev. mex. cienc. geo,Vol 34(2),p155.

23- Hawker L, Bates P, Neal J & Rougler J (2018) "Perspectives on Digital Elevation Model (DEM) Simulation for Flood Modeling in the Absence of a High-Accuracy Open Access Global DEM", Front. Earth Sci, Vol 6,p1.

el,2019) و(Moura etal,2021) [٢٤] وجود تباينات طفيفة في المساحة بين نموذجي: S90m وA30m، لصالح الأول، وفي هذه الدراسة لا تتجاوز نسبة التباين بين أعلى قيمة لنموذج S90m وأدنى قيمة لنموذج A30m: (٠,٧%)، وبالرغم من عدم وجود فوارق كبيرة في المساحة فإن الشكل (١١) يبين وجود إزاحة ملحوظة في حدود الحوض من النموذج S90m عن باقي النماذج التي أظهرت تقارباً أكبر في حدود الحوض، لاسيما في المناطق شديدة الانحدار، واختلافات واضحة في المناطق المنبسطة (شكل١٢)، وقد تعود الاختلافات في قيم المساحات إلى اختلاف قدرة النماذج على تحسس التضرس حسب كبر حجم الخلية في النموذج (دقة النموذج)، خاصة في المناطق المنبسطة قليلة الانحدار.

شكل(١١) مدى التباين في حدود الحوض حسب نوع نموذج الارتفاع الرقمي

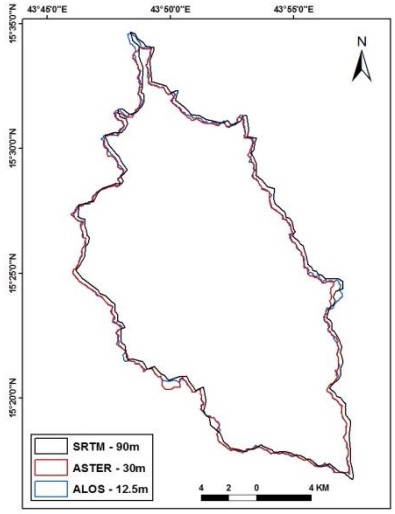

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

24 - Niyazi et al(2019), previous reference,p7. and Moura et al (2021), previous reference,p6.

شكل(١٢) مدى التباين في حدود الحوض حسب نوع نموذج الارتفاع الرقمي، وحسب شدة التضرس، worldview_0.28m بالمقارنة مع المرئية الفضائية

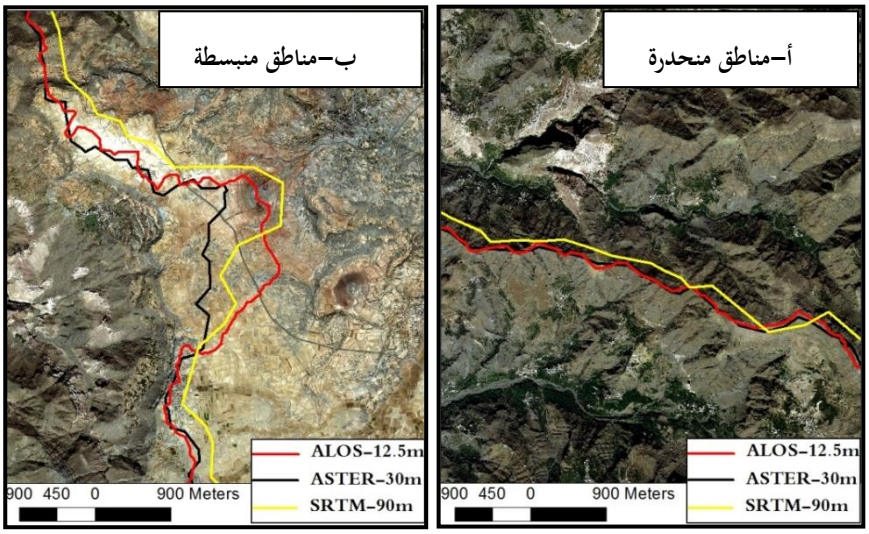

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

يختلف النمط فيما يتعلق بمحيط الحوض، فقد سجل نموذج A12.5m أعلى قيمة، يليه A30m، وأخيرا S90m، وتتجاوز نسبة التباينات بين أعلى وأدنى قيمة: (١٠,٥%)، إن ارتفاع قيم المحيط بارتفاع دقة النموذج نتيجة متوقعة بسبب صغر حجم الخلايا في النماذج عالية الدقة، وبالتالي يقوم البرنامج بتلمس خط تقسيم المياه في خلايا أكثر وبدقة أعلى، وينتج عن ذلك تعرجات أكثر في خط تقسيم المياه، أي: طولٌ أكبر في محيط الحوض.

سجل نموذجا S90m وA12.5m قيم طول وعرض شبه متطابقة، واختلف عنهما نموذج A30m، بفارق ١,١كم للطول، أقصى شمال الحوض في منطقة منبسطة (شكل١٣)، و٠,٤كم للعرض، وبالرغم من أنها اختلافات طفيفة فإن من المتوقع تأثيرها على الخصائص الشكلية للحوض، ويجدر الذكر أن الخصائص المساحية والخطية للحوض لا تتأثر باختلاف قيم العتبات داخل النموذج الواحد.

ثالثاً_ الخصائص الشكلية:

تتأثر الخصائص الشكلية لأحواض الأودية بقيم خصائصها المساحية والخطية، وقد أظهرت النتائج في الجدول (٣) أن جميع الخصائص الشكلية لجميع نماذج الارتفاعات الرقمية المستخدمة في الدراسة تشير إلى أن شكل الحوض يبتعد عن الشكل الدائري، ويقترب إلى الشكل البيضاوي، أو المستطيل، وبالرغم من ذلك ظهرت بعض الاختلافات بين النماذج، فقد سجل نموذج S90m أعلى معدل استدارة؛ وذلك بسبب ارتفاع قيم المساحة وانخفاض طول المحيط، يليه A30m ثم A12.5m، بسبب تعرج وطول المحيط، وجميع قيم الاستدارة التي لم تتجاوز ٠,٣٩ تدل على أن الحوض بعيد عن لاستدارة.

شكل(١٣) اختلاف امتداد وطول الحوض أقصى الشمال في المناطق المنبسطة، حسب نوع نموذج الارتفاع

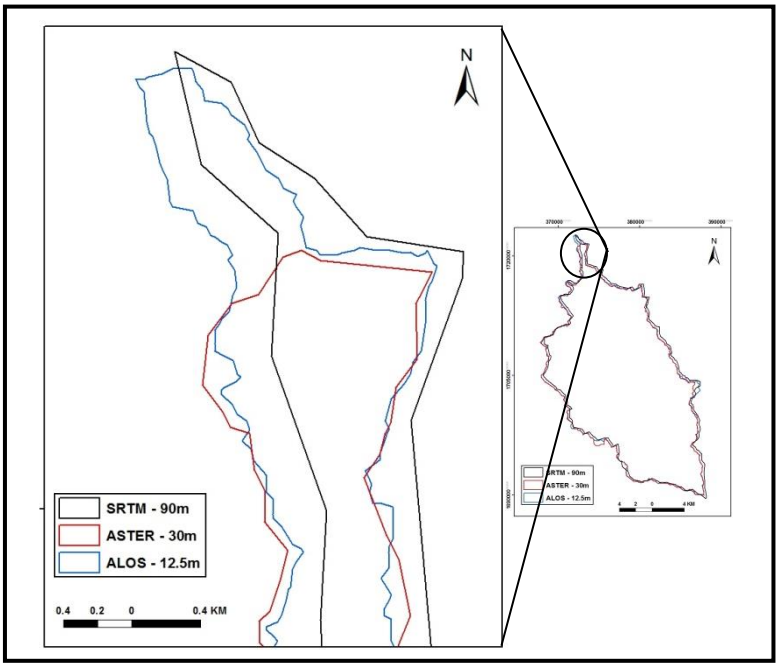

المصدر: معالجة البيانات باستخدام برنامج ArcMap.10.8.1.

وفيما يتعلق بنسب الاستطالة ومعامل الشكل فقد تساوت القيم تقريبا لنموذجي S90m وA12.5m، وسجل نموذج A30m قيماً أعلى، ويعود السبب إلى قصر طول الحوض في هذا النموذج عن باقي النماذج في منطقة منبسطة أقصى شمال الحوض، كما ظهر في شكل (١٣).

وأظهر معامل الاندماج بعد الحوض عن الشكل الدائري أيضا، حيث سجل نموذج A12.5m أعلى القيم، يليه A30m، ثم S90m، وهي قيم متسقة مع قيم طول المحيط لكل نموذج، كون هذا المعامل يقيم العلاقة بين طول المحيط مع المساحة، وكلما زادت قيم المحيط زادت قيم معامل الاندماج، وأيضاً أظهرت نتائج الخصائص الشكلية (كما هي في الخصائص المساحية والخطية) عدم تأثر قيمها باختلاف قيم العتبة داخل النموذج الواحد.

رابعاً_ الخصائص التضاريسية:

يمثل التضرس الفارق بين أعلى ارتفاع وأدنى ارتفاع للحوض، وقد سجل نموذج S90m أعلى القيم، يليه نموذج A12.5m، ثم A30m، وقد توصلت بعض الدراسات إلى أن التضرس في نماذج S90m أكبر منها في نماذج A30m[٢٥]، ويقيس معدل التضرس النسبة بين فارق الارتفاعات في النموذج وبين طول الحوض، وقد ظهرت نتائج متقاربة بين جميع النماذج، فقد سجل نموذج S90m أعلى قيمة، يليه نموذج A30m، ثم A12.5m، ويعود سبب صعود نموذج A30m للترتيب الثاني إلى قصر طول الحوض فيه.

التكامل الهبسومتري يقيس العلاقة بين المساحة والتضرس، وقد سجل نموذجا A30m وA12.5m قيماً متساوية تماما، بفارق ضئيل جدا عن نموذج S90m، بسبب ارتفاع قيمة التضرس فيه عن باقي النماذج. قيمة الوعورة ومعدل النسيج الحوضي أظهرا ارتباطاً وثيقاً مع أعداد الأودية وكثافة التصريف في

25 – Niyazi et al(2019), previous reference,p7 and Das et al(2016), previous reference,p14.

جميع النماذج، وجميع قيم العتبات، التي تم استخدامها في كل نموذج، وبذلك يمكن تصنيف الخصائص التضاريسية إلى فئتين، الأولى ترتبط بالخصائص المساحية والخطية، ولا تتأثر باختلاف قيم العتبات داخل النموذج الواحد، مثل معدل التضرس والتكامل الهبسومتري، وتكون نتائجها متقاربة إلى حد كبير بين مختلف النماذج، والفئة الثانية ترتبط بخصائص شبكة التصريف، مثل قيمة الوعورة ومعدل النسيج الحوضي، وتتفاوت نتائجها بشدة باختلاف دقة النماذج وقيم العتبات.

الاستنتاجات:

خلصت الدراسة للاستنتاجات الآتية:

-تؤثر دقة نماذج الارتفاعات الرقمية في الدراسات المورفومترية لأحواض الأودية في معظم خصائصها المورفومترية بدرجات متفاوتة، لاسيما خصائص شبكة التصريف، فكلما زادت دقة نموذج الارتفاع الرقمي زادت قيم رتب وأعداد وأطوال الأودية والخصائص المورفومترية المرتبطة بها.

-تتأثر خصائص شبكة التصريف بشدة باختلاف قيم العتبات داخل النموذج الواحد، حيث تزداد رتب وأعداد وأطوال الأودية كلما انخفضت قيمة العتبة، وقد تتأثر خصائص شبكة التصريف باختلاف قيم العتبات بدرجة أكبر من تأثرها باختلاف دقة نموذج الارتفاع الرقمي.

-حققت جميع نماذج الارتفاعات الرقمية المستخدمة في الدراسة إزاحات متباينة عن مواقعها على مرئية W _ 0.28m، إلا أن نموذج A12.5m كان الأكثر دقة، يليه نموذج A30m،

ثم نموذج S90m.

-نموذج S90m هو الأقل موثوقية في اشتقاق شبكات الأودية لأحواض التصريف، ونتائج الخصائص المورفومترية المتعلقة بها، ويمكن الاعتماد على نموذج A12.5m – T100، وإذا لم يكن متاحاً يمكن الاستعاضة بنموذج A30m – T70 في مناطق متضرسة شبيهة بمنطقة الدراسة.

-سجلت الخصائص المساحية والخطية للحوض نتائج متقاربة إلى حد كبير بين جميع النماذج، باستثناء المحيط الذي يزداد طوله بزيادة دقة نموذج الارتفاع الرقمي.

-بالرغم من أن الاختلافات في المساحة كانت طفيفة فإنها كانت واضحة في المناطق المنبسطة خفيفة الانحدار، رغم ضئالة مساحاتها في مناطق حدود الحوض، وهذا يضع تساؤلاً مهماً عن حجم هذه الاختلافات فيما لو كانت مساحات المناطق المنبسطة أكبر.

-اشتركت جميع خصائص الحوض الشكلية في الإشارة إلى ابتعاد الحوض عن الشكل الدائري، بالرغم من التباينات في قيمها، التي لم تكن كبيرة على كل حال.

- ا تتأثر الخصائص المساحية والخطية والشكلية للحوض باختلاف قيم العتبات داخل النموذج الواحد.

-سجلت قيمة الوعورة ومعدل التضرس قيماً متقاربة في جميع النماذج، ولم تتأثر باختلاف قيم العتبات داخل النموذج الواحد، بخلاف معدلات نسب التشعب ومعدلات النسيج الحوضي، إذ تأثرت قيمها بشدة باختلاف دقة نماذج الارتفاعات الرقمية وقيم العتبات داخل النموذج الواحد.

-تأكيد أهمية تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في استخدام المرئيات الفضائية ونماذج -الارتفاعات الرقمية في الدراسات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية عامة وفي الدراسات المورفومترية خاصةً.

التوصيات:

يوصي البحث بالآتي:

١- نفيذ دراسات مقارنة بين أحواض مائية متفاوتة المساحة والتضرس، باستخدام نماذج ارتفاعات رقمية مختلفة الدقة وقيم عتبات متباينة، لمعرفة مدى التباين في الخصائص المورفومترية، لتحديد أفضلية النماذج وآليات المعالجة، حسب المساحة ودرجة التضرس.

٢- تجنب الاعتماد على نماذج ارتفاعات رقمية منخفضة الدقة في دراسة الخصائص المورفومترية لأحواض الأودية قدر الإمكان، والحصول على نماذج ذات دقة ٣٠م فما فوق.

المصادر والمراجع:

- جابر، أحمد عبد الستار (٢٠٢٠) "دقة التمييز المكاني لنموذج الارتفاع الرقمي وانعكاساتها على القياسات المورفومترية- حوض بندوية دراسة حالة"، حوليات آداب عين شمس، مجلد ٤٨، عدد إبريل – يونية، ص ص ٣٢٧ - ٣٤٩.
https://journals.ekb.eg/article_119243_3666115f9cb10853bd32de2836373098.pdf
- جودة،جودة حسنين وعاشور، محمود محمد، ودسوقي، صابر أمين، وتراب، محمد مجدي، وكامل، علي مصطفى، ومصطفى، محمد رمضان (١٩٩١) "وسائل التحليل الجيومورفولوجي" ، القاهرة، ٥١٢ ص.

المراجع الإنجليزية:

- Abdul Qadir, Yasir M, Abir I, Akhtar N & San L (2020) "Quantitative Morphometric Analysis Using Remote Sensing and GIS Techniques for Mandakini River Basin", IOP Conf. Ser.: Earth Environ. Sci.,Vol 540(1),pp1-10.doi:10.1088/1755-1315/540/1/012021
https://iopscience.iop.org/article/10.1088/1755-1315/540/1/012021/pdf
- Angillieri M & Fernández O (2017) "Morphometric analysis of river basins using GIS and remote sensing of an Andean section of Route 150, Argentina. A comparison between manual and automated delineation of basins'', Rev. mex. cienc. geo,Vol 34(2), PP 150-156. doi:10.22201/cgeo.20072902e.2017.2.482
https://www.redalyc.org/pdf/572/57253344007.pdf
- Das S, Patel P & Sengupta S (2016) "Evaluation of different digital elevation models for analyzing drainage morphometric parameters in a mountainous terrain: a case study of the Supin–Upper Tons Basin, Indian Himalayas", SpringerPlus, Vol 5(1), pp1-38. doi:10.1186/s40064-016-3207-0https://springerplus.springeropen.com/articles/10.1186/s40064-016-3207-0#citeas
- Gregory K.J & Walling D.E (1973) " Drainage Basin : Form and Process, A geomorphologic Approach", Edward Arnold, London,457P.
(Gudowicz J & Paluszkiewicz R (2021) "MAT: GIS-Based Morphometry Assessment Tools for Concave Landforms'', Remote Sens, Vol 13(14), https://www.mdpi.com/2072- pp1-28. doi:10.3390/rs13142810 4292/13/14/2810

- Hawker L, Bates P, Neal J & Rougler J (2018) "Perspectives on Digital Elevation Model (DEM) Simulation for Flood Modeling in the Absence of a High-Accuracy Open Access Global DEM'', Front. Earth Sci, Vol 6, PP 1-9. doi: 10.3389/feart.2018.00233 https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/feart.2018.00233/full

- Horton RE (1932) "Drainage basin characteristics", Trans, Amer, Geophys Union, Vol.13, pp.350-361. https://higherlogicdownload.s3.amazonaws.com/AGU/31ea296c-2c70-4dad-92ef-c4681bc6a288/UploadedImages/Horton-1932-DRAINAGE-BASIN-CHARACTERISTICS-Eos_Transactions_American_Geophysical_Union.pdf

- Kasi V, Pinninti R, Landa SR, Rathinasamy M, Sangamreddi C, Kuppili RR & Radha PRD (2020) '' Comparison of different digital elevation models for drainage morphometric parameters: a case study from South India'', Arab J Geosci, Vol 13(19), pp.1-17.doi:10.1007/s12517-020-06049-4 https://www.researchgate.net/publication/344765024_Comparison_of_different_digital_elevation_models_for_drainage_morphometric_parameters_a_case_study_from_South_India

- Li X, Zhang Y, Jin X, He Q & Zhang X (2017) "Comparison of digital elevation models and relevant derived attributes", J. of Appl. Remote Sens.Vol 11(4), pp1-23. doi:10.1117/1.JRS.11.046027 https://www.spiedigitallibrary.org/journals/Comparison-of-digital-elevation-models-and-relevant-derived-attributes/volume-11/issue-04/046027/Comparison-of-digital-elevation-models-and-relevant-derived-attributes/10.1117/1.JRS.11.046027.full?SSO=1

- Moura M, Beskow S, Terra F, Mello C, Cunha Z & Cassalho F (2021) "Influence of different relief information sources on the geomorphological characterization of small watersheds", An. Acad. Bras. Cienc, Vol 93(3),pp 1–18. doi:10.1590/0001- 3765202120191317 https://www.scielo.br/j/aabc/a/rCn5synxLMtsJL6wMMHxVzJ/

- Niyazi B, Zaidi S & Masoud M (2019) "Comparative Study of Different Types of Digital Elevation Models on the Basis of Drainage Morphometric Parameters (Case Study of Wadi Fatimah Basin, KSA)", Earth Sys Environ,Vol 3, pp. 1- 12. doi:10.1007/s41748-019-00111-2 https://www.researchgate.net/publication/335525771_Comparative_Study_of_Different_Types_of_Digital_Elevation_Models_on_the_Basis_of_Drain

age_Morphometric_Parameters_Case_Study_of_Wadi_Fatimah_Basin_KSA

- Ozulu I & Gokgoz T (2018) “Examining the Stream Threshold Approaches Used in Hydrologic Analysis’’, ISPRS Int. J. Geo-Inf, Vol 7(6),pp.1-12.doi: 10.3390/ijgi7060201 https://www.mdpi.com/2220-9964/7/6/201

- Polidori L & El Hage M (2020) “Digital Elevation Model Quality Assessment Methods: A Critical Review”, Remote Sens, Vol 12(21), pp.1-36.doi: 10.3390/rs12213522 https://www.mdpi.com/2072-4292/12/21/3522/pdf

- Rana VK & Suryanarayana TMV (2021) “Estimation of flood influencing characteristics of watershed and their impact on flooding in data-scarce region”, Annals of GIS,Vol 27(4), pp397-418. doi:10.1080/19475683.2021.1960603 https://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/19475683.2021.1960603?needAccess=true

- Strahler A.N (1957) " Quantitative analysis of watershed geomorphology ", Trans, Amer, Geophys Union, Vol.38, No6, pp.913-920. https://pdodds.w3.uvm.edu/files/papers/others/1957/strahler1957a.pdf

- Strahler A.N (1958) " Dimensional Analysis of Applied to Fluvially Eroded Landforms", Geol, sos, Amer, Bull,Vol.69, pp.279-300. https://ur.booksc.eu/book/22870530/b40c77

- Tarboton D (1997) “A new method for the determination of flow directions and upslope areas in grid digital elevation models”, Water Resour. Res, Vol 33(2),pp 309-319. doi:10.1029/96WR03137 http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.79.977&rep=rep1&type=pdf

- Verstappen H Th (1983) " Applied geomorphology : Geomorphological Surveys for Environmental Development" , Amsterdam - oxford - New York, 437p.

مبدأ السيادة الشعبية وثورات الربيع العربي

د/عبد الرحمن أحمدحسين المختار*

المقدمة

موضوع السيادة الشعبية أحد أهم المواضيع الدستورية التي حظيت بقدر كبير من الاهتمام في دساتير الدول الغربية والتي انسجم الى حد ما الجانب النظري في هذه الدساتير مع الجانب التطبيقي في تلك الدول، وفي المقابل نجد الانفصام واضحا جليا بين تكريس دساتير الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية وبين تطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع، ففي الوقت الذي يتمتع فيه المواطنون في المجتمعات الغربية بحق تغيير الحكام في مجتمعاتهم بين فترة أخرى من خلال عمليات انتخابية منتظمة ودورات ولاية محددة من النادر تجاوزها ، بعكس ما هو حاصل في ظل أنظمة الحكم في الدول العربية ذات الصبغة الديمقراطية، فالشعوب لا تملك صلاحية تغيير حكامها في فترات محددة سلفا وإن كانت نظريا تملك حرية اختيارهم من خلال مسرحيات انتخابية يفوز فيها الحاكم الممسك بالسلطة غالبا بنسبة تتجاوز ٩٠% من أصوات الناخبين ، ولا يغادر السلطة بإرادة الناخبين ، بل يغادرها بالوفاة أو الاغتيال أو الازاحة بالقوة من خلال الانقلابات العسكرية.

وقد تقصى هذا البحث مبدأ السيادة الشعبية في دساتير عدد من أنظمة الحكم المعاصرة في الدول الغربية ، وكذلك في أنظمة الحكم العربية سواء الأنظمة الوراثية أو تلك المتلبسة بلباس الديمقراطية وهي في حقيقتها وجوهرها أنظمة وراثية، ويأتي ذلك في إطار المقارنة بين هذين النوعين من الأنظمة السائدين في المنطقة العربية إذ لا تختلف الأنظمة ذات الصبغة الديمقراطية عن الأنظمة الوراثية من حيث الاستحواذ على السلطة ولعقود من الزمن رغم الاختلاف الشكلي بينهما. وقد خلص بحث هذا الموضوع في خاتمته إلى عدد من النتائج والتوصيات تضمنت النتائج حالة مبدأ السيادة الشعبية في دساتير الدول العربية ذات القناع الديمقراطي، وكيفية استغلال الحكام لهذا المبدأ النظري لتضليل الشعوب العربية وسلبها حقها في السيادة الشعبية، بل وإشغالها بالصراعات البينية ، وتضمنت توصيات البحث حث النخبة الجديدة في الشعوب العربية على الاستفادة من السلوكيات السلبية للنخب في ظل الانظمة العميلة ، والعمل بشكل مستمر على فضح الأساليب الجديدة لقوى الهيمنة والاستكبار في فرض سيطرتها على الشعوب العربية، وعدم الانخداع بتلك الأساليب الجذابة خصوصا ما يتعلق بحقوق المرأة والطفل والتي انتهكت أبشع انتهاك خلال الحرب العدوانية على الشعب اليمني ولما يقرب من سبع سنوات.

* –أستاذ القانون العام المشارك –كلية الشريعة والقانون – جامعة الحديدة.

Abstract:

The sovereignty of people is a constitutional theme that largely enjoy a great deal of concern in the constitutions of power systems in the western communities. And in the writings of constitutional law scholars, the theatrical and practical sides have both been coherent. On the other hand, the splitting is flagrant between the devotion of constitutions of the Arab power systems of the democratically tinted forms and the realization of this principle in the field. Citizens in western communities enjoy the right of removing rulers every now and then through regular electoral processes and specified presidential terms that hardly may be override, unlike the democratically tinted forms of power systems in the Arab communities; as people within such systems have no power in regard to removing and changing rulers in periods that have been already specified even if they theatrically have the freedom to choose the rulers through acting in fake elections by which a ruler who has already been in the top of the power wins with 90% of the vote, and he would never step down under voters will, but because of natural death or assassination or by forced removal i.e. military coups.The research in hand has traced the principle of sovereignty of people in some constitutions of nowadays ruling systems in western States as well as in Arab States whether being inherited or covered with democratic costume, having an inheritance nature in their reality, in view of conducting comparative work between those two forms of prevailing power systems in the Arab region which are at the end so alike in the way they seize the power for long decades, being different in the form and name, though.This research concludes with some results and recommendations, including the status of people sovereignty in the constitutions of Arab countries of democracy mask, how rulers were used in that theatrical principle for the purpose of misleading Arab peoples and pillaging their right of self-sovereignty and rather distracting Arab peoples with inter-conflicts. The recommendations of this research contain the incitation for the new elite in the Arab communities to take advantage of the negative conduct that elites used to show within the hireling power systems, seeking to disclose the new methods of the arrogant and hegemon forces in the attempt of such forces to enforce foreign controling over Arab peoples, and not to be deceived and attracted by the calls of child and woman rights which are being violated grossly during the war against people of Yemen for seven years so far.

المقدمة :

لدورات محددة ومتجددة بشكل مستمر لصالح أولئك الحكام ولفترات طويلة جدا مقارنة بمثيلاتها من الأنظمة الغربية التي يغادر فيها حكام ويأتي آخرون في حين لا يغادر الحكام العرب مناصبهم إلا قسرا إما

لا تخلو دساتير الدول من النص على مبدأ السيادة الشعبية فالدول التي تتبنى النظام الديمقراطي تسند نصوص دساتيرها السيادة الشعبية إلى الشعوب فهي وحدها من تختار حكامها وأنظمة حكمها ، ورغم أن دساتير بعض الأنظمة الوراثية تسند السيادة للشعوب فإنها تجعلها وديعة بيد حكامها.

وفي أنظمة الحكم المعاصرة في الوطن العربي خصوصا تلك التي تتبنى المبادئ الديمقراطية تكرس نصوص دساتيرها حق الشعوب في السيادة الشعبية ، وحقها في اختيار أنظمة حكمها وحكامها، ومع ذلك فإن تلك النصوص لم تتجاوز الجانب النظري ، أما الجانب التطبيقي فيؤشر إلى أن الشعوب العربية في ظل تلك الانظمة لا تملك سيادة شعبية وبالنتيجة لا تملك حق اختيار انظمة حكمها وحكامها .

ويجسد ذلك ما عليه حال أنظمة الحكم العربية التي تتبنى نظريا المبادئ الديمقراطية، حيث يشغل الحكام مناصب الرئاسة الى القبر أو السجن أو إلى المنفى بالنسبة لصاحب الحظ الجيد منهم، ولا مجال في أنظمة الحكم في الدول العربية المتغنية بالمبادئ الديمقراطية للحديث عن تسليم وتسلم السلطة بين رئيس حالي ورئيس سابق على قيد الحياة يمارس حياته وبشكل طبيعي خارج رئاسة الدولة.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث في الآتي :

١- أن تبنِّي الأنظمة العربية – محل المقارنة– للمبادئ الديمقراطية وتكريسها في نصوص دساتيرها قد مضى عليه عقود من الزمن كفيلة بإنضاج تجارب هذه الأنظمة فيما لو تم تطبيقها للمبادئ الديمقراطية تطبيقا فعليا كما هو عليه الحال في الانظمة الغربية.

٢- أن الأنظمة العربية التي أعلنت تبنيها للمبادئ الديمقراطية وعلى رأسها مبدأ التداول السلمي للسلطة عملت خلال العقود الماضية خلافا لمقتضيات هذه المبادئ، وغالبا ما يصل الحاكم إلى سدة الحكم عبر انقلاب عسكري، ليجري بعد ذلك ترتيب الأوضاع عقب المرحلة الانتقالية المفترضة للحاكم العسكري الذي يمسك بالسلطة ويتمسك بها ويخوض بعيدا عن بزته العسكرية دورات انتخابية شكلية يكون هو الفائز فيها باستمرار برئاسة الدولة، فهل مرد ذلك عدم وضوح مقتضيات مبدأ السيادة الشعبية بالنسبة للحكام والمحكومين معا؟ أم إن الأمر يتعلق باستبداد وتسلط يتخفى تحت سترة المبادئ الديموقراطية؟

٣- أن دساتير الأنظمة العربية التي أعلنت تبنيها للمبادئ الديمقراطية قد كرست في دساتيرها بشكل واضح وصريح مبدأ السيادة الشعبية فهل تعي هذه الأنظمة مضمون مبدأ السيادة الشعبية وتعمل بخلافه ؟ وهل تدرك الشعوب مضمون هذا المبدأ، ولا تسعى إلى تحصيل مقتضياته؟

٤- إذا كانت المبادئ الديمقراطية التي تطبقها الأنظمة الغربية هي ذاتها التي تطبق في ظل الأنظمة العربية – محل البحث – فهل مرد الفشل في انضاج تجارب ديمقراطية تجسد مبدأ السيادة الشعبية ناتج عدم ملاءمة البيئة العربية للمبادئ الديمقراطية أم إن النسخة المطبقة في الانظمة العربية غير مطابقة للنسخة الأصلية المطبقة في الأنظمة الغربية؟

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية بحث موضوع السيادة الشعبية في تسليط الضوء على أسباب إخفاق الأنظمة العربية محل البحث في ترسيخ تجارب ديمقراطية حقيقية تجسد المبادئ الديمقراطية التي تزعم تلك الأنظمة تبنيها لها لتجسد من خلالها حق الشعوب في السيادة الشعبية وما يترتب على ذلك من حقوق تتعلق باختيار أنظمة حكمها وحكامها، ويمكن إجمال أهداف هذا البحث في عدد من النقاط على النحو الآتي:

١- استخلاص الأسباب التي أدت الى فشل أنظمة الحكم في الدول العربية التي تبنت المبادئ الديمقراطية في إنضاج تجربة حكم حقيقية تجسد السيادة الشعبية ويتمتع الشعب في ظلها بالأمن والاستقرار والنمو والتقدم كما هو حال أنظمة الحكم في الدول الغربية، وغيرها من الدول الاسيوية ذات التوجه الديمقراطي الحقيقي التي تعد حديثة في هذا الجانب مقارنة بالدول العربية محل البحث.

٢- استخلاص أسباب تشبث الحكام بالسلطة في الدول العربية ذات التوجه الديمقراطي وتحويلها إلى أنظمة شبه وراثية بعيدا عن مبدأ السيادة الشعبية الذي كرسته في دساتيرها.

٣- استخلاص أسباب انصراف الشعوب العربية عن الاهتمام بالشؤون السياسية العامة، وقصر اهتمامها على المسائل المتعلقة بالحياة المعيشية، وترك حقها في السيادة الشعبية يعبث به الحكام.

٤- تحديد ما إذا كان هناك أدوار خارجية أسهمت في فشل التجارب الديمقراطية التي تبنتها أنظمة الحكم في الدول العربية التي تزخر دساتيرها بنصوص صريحة في تبنيها لمبدأ السيادة الشعبية.

٥- محاولة الكشف عن دور ما للشعوب العربية ذاتها يرتبط بمستوى وعي هذه الشعوب أسهم في عدم نضج تجاربها الديمقراطية وفشلها في نهاية المطاف في الدفاع عن حقها في السيادة الشعبية.

٦- محاولة الربط بين مستوى النضج السياسي الشعبي وثورات الربيع العربي التي جاء على رأس أهدافها تغيير أنظمة الحكم المستبدة بحقها في السيادة الشعبية.

٧- تلمس الأبعاد الخارجية التأمرية للقوى الاستعمارية في تحريك الاحتجاجات الشعبية في الدول التي كانت ساحة لثورات الربيع العربي، ومدى توظيفها لمصلحتها تحت غطاء دعم حق الشعوب في السيادة الشعبية.

٨- تتبع نتائج ثورات الربيع العربي وما إذا كانت تلك النتائج تصب في مصلحة الشعوب العربية الثائرة ، ومدى مساهمتها في استعادة الشعوب لسيادتها الشعبية، ومدى ممارستها لها فعليا بعد اسقاط أنظمة الحكم التي ثارت عليها.

٩- التعرف على مسار الاحداث في الدول العربية التي كانت ساحات لثورات الربيع العربي، ومدى ما تمتعت به الشعوب العربية الثائرة من سيادة شعبية مكنتها من اختيار أنظمة حكمها وحكام بما يحقق أهدافها في الأمن والاستقرار والتقدم في مختلف المجالات.

١٠- تتبع مآل ثورات الربيع العربي عقب نجاحها في عزل القائمين على انظمة الحكم التي ثارت عليها الشعوب.

١١- تحديد مكانة ثورة الشعب اليمني بين ثورات الربيع العربي ومآلها واستشراف مستقبلها، وما واجهها من صعوبات وتحديات، ومدى نجاحها في فرض مبدأ السيادة الشعبية على أرض الواقع.

١٢- محاولة تحديد اسباب النوازع التدخلية العدوانية للدول الاستعمارية في مواجهة ثورة الشعب اليمني بهدف مصادرة نتائجها لصالح عملاء الخارج ، وبما يخدم أهدافه.

حدود الدراسة:

اقتصر البحث على عدد من الدول العربية المتلبسة بلباس الديمقراطية، والتي كرست في صلب دساتيرها عددا من النصوص المقررة لمبدأ السيادة الشعبية، في حين كانت ممارسة أنظمة الحكم في هذه الدول استبدادية لا تختلف إلا من حيث الشكل عن غيرها من الأنظمة الاستبدادية الوراثية في الوطن العربي والتي أوردنا عددا منها للمقارنة بينها وبين أنظمة الحكم في الدول العربية محل البحث، كما تضمنت المقارنة بحث مبدأ السيادة الشعبية في عدد من أنظمة الحكم الديمقراطية في الدول الغربية، وكذلك الاشارة الى عدد من الدول ذات الانظمة الديمقراطية حديثة النشأة مقارنة بالدول العربية محل البحث.

منهجية البحث وخطته:

الدراسة لموضوع هذا البحث وصفية تحليلية ونقدية في الجانب الدستوري بوصفه الجانب الذي يكرس النص على مبدأ السيادة الشعبية سواء في أنظمة الحكم الغربية المقارنة أم الانظمة العربية محل الدراسة.

وقد اقتضت دراسة موضوع هذا البحث تقسيمه الى فصلين اثنين تسبقهما مقدمة تتضمن أهمية البحث وأهدافه ومشكلته ومنهجه وخطته إضافة الى خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

مبدأ السيادة الشعبية في دساتير الأنظمة المعاصرة

تزخر دساتير الأنظمة الغربية المعاصرة بالنصوص المؤكدة لمبدأ السيادة الشعبية وسارت في ذات الاتجاه دساتير الأنظمة العربية المقنعة بقناع الديمقراطية وسنتناول مبدأ السيادة الشعبية في هذا الفصل في مبحثين نخصص أولهما للمبدأ في دساتير بعض الأنظمة الديمقراطية الغربية، ونخصص المبحث الاخر للمبدأ في عدد من دساتير الأنظمة العربية التي تبنت دساتيرها نظريا الديمقراطي على النحو الآتي:

المبحث الأول : مبدأ السيادة الشعبية في الأنظمة الديمقراطية الغربية:

سنتطرق في هذا المبحث لبيان مفهوم مبدأ السيادة الشعبية في المطلب الأول، ونتناول في المطلب الثاني تطبيقات هذا المبدأ في عدد من دساتير الأنظمة الديمقراطية الغربية، وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول: مفهوم مبدأ السيادة الشعبية:

ينصرف مفهوم السيادة الشعبية الى الاقرار بحق الشعب وإرادته في اختيار حكامه ونظام حكمه، فالشعب بوصفه صاحب السيادة هو مصدر جميع السلطات في الدولة، ويعد ذلك تعبيرا عن السيادة الشعبية .

ووفقا لذلك فالسيادة الشعبية تعد التجسيد العملي لسلطة الشعب، وفكرة السيادة الشعبية مثلت جوهر الديمقراطية الغربية التي اعتمدت فكرة السيادة الشعبية كآلية لمغادرة النظام القديم ومساوئه، خصوصا بعد الثورات المتعاقبة على الأنظمة الملكية الاستبدادية[٢٦] كما هو الحال بالنسبة للثورة الفرنسية التي أحلت مبدأ السيادة الشعبية محل السيادة المطلقة للحكام، وكذلك الحال بالنسبة للثورات ضد الاستعمار والاحتلال[٢٧].

ووفقا لنظرية سيادة الشعب فإن السيادة للشعب في مجموعه، ويملك كل فرد جزء من هذه السيادة بالتساوي مع غيره من الأفراد لا فرق في ذلك بين حكام ومحكومين، ويختلف مفهوم الشعب من بلد إلى أخر ومن زمن إلى أخر[٢٨]، وعموما فالشعب صاحب السيادة هو الشعب السياسي المتمثل في مجموع المواطنين

٢٦ – حول المزيد من التفصيل ينظر:

بدوي ثروت، النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٥ ص ٤٢ وما بعدها.

سلان أنور أحمد، الوجيز في النظم السياسية، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة، ص ١٥٧– ١٥٩.

٢٧ – كما هو الحال بالنسبة للثورة الامريكية و ثورة الهند على الاستعمار البريطاني .

٢٨ – رسلان أنور حمد ، الوجيز في النظم السياسية، مرجع سابق، ص ١٥٧.

المتمتعين بالحقوق السياسية، فهم وحدهم من يحق لهم مباشرة التصويت والانتخاب في مختلف الاستحقاقات الانتخابية برلمانية ورئاسية ومحلية[٢٩].

وبذلك يكون الشعب السياسي هو من يمارس السلطة العامة من خلال اختياره بحرية لمن ينوب عنه في مختلف مستويات السلطة العامة، فإرادة الشعب وفقا لمفهوم السيادة الشعبية هي المعتبرة في إسناد مناصب السلطة العامة إلى الحكام، وتنتفي السيادة الشعبية إذا ما تعرضت إرادة الشعب لأي مؤثرات داخلية أو خارجية من شأنها أن تجعل إسناد مناصب السلطة العامة إلى الحكام عبر وسائل غير مستمدة من إرادة الشعب أو أن تجعل هذه الارادة مجردة من كل مضمون.

المطلب الثاني: تطبيقات مبدأ السيادة الشعبية في بعض الأنظمة الديمقراطية الغربية:

تضمنت دساتير الأنظمة الغربية نصوصاً تؤكد تبنى هذه الدساتير مبدأ السيادة الشعبية كما هو الحال في دستور فرنسا الذي نص على أن(السيادة الوطنية للشعب يمارسها عن طريق ممثلية وبواسطة الاستفتاء)[٣٠]، ولم يجز الدستور الفرنسي لأي فئة من الشعب أو لأي فرد أن يستأثر بحق ممارسة السيادة الوطنية[٣١].

وحدد هذا الدستور مدة ولاية رئيس الجمهورية بنصه على أن(ينتخب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات بالاقتراع العام المباشر)[٣٢] ولم يجز الدستور لرئيس الدولة أن يشغل منصب رئاسة الجمهورية لأكثر من دورتين رئاسيتين متتاليتين [٣٣].

وجاء في ديباجة الدستور الألماني لسنة ١٩٤٩م ما نصه (لوعيه التام بمسؤوليته أمام الإله والبشر، وبروح إرادته –كعضو متكافئ في أوربا موحدة – بأن يخدم السلام في العالم – فقد قام الشعب الألماني بمنح نفسه هذا القانون الأساسي بحكم تمتعه بالسلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية[٣٤].

كما نص هذا الدستور وباسم الشعب الألماني على أن "يؤمن الشعب الألماني بعدم المساس والإخلال

---

٢٩ – حول المزيد من التفصيل ينظر : بدوي ثروت، النظم السياسية، مرجع سابق ص ٤٤، عبدالله عبدالغني بسيوني، النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق ص ١٤-١٥.

٣٠ – المادة (١/٣) من الدستور الفرنسي لسنة ١٩٥٨م.

٣١– المادة ٢/٣ من الدستور الفرنسي لسنة ١٩٥٨م.

٣٢– المادة ٦/ ١ من الدستور الفرنسي لسنة ١٩٥٨م. .

٣٣– المادة ٦/ ٢ من الدستور الفرنسي لسنة ١٩٥٨م..

٣٤ – الدستور الألماني لسنة م،١٩٤٩ طبعة ٢٠٠٢ إصدار مؤسسة فريدريش ايبرت، ١٧ شارع هورشيما ١٠٧٨٥ برلين.

بحقوق الإنسان كقاعدة أساسية للتعايش ضمن أي مجموعة بشرية وللسلام والعدالة في العالم)[٣٥].

ونص هذا الدستور أيضاً فيما يتعلق بسلطة الشعب الألماني على أن (الشعب هو مصدر جميع سلطات الدولة، ويمارس الشعب سلطته من خلال الانتخابات والتصويت ومن خلال أجهزة خاصة بالسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية)[٣٦].

وفيما يتعلق بمدة ولاية رئيس المانيا الاتحادية نص هذا الدستور على أن (تدوم فترة الرئاسة لمدة خمس سنوات ولا يسمح بإعادة الانتخابات لدورة جديدة تتلو مباشرة إلا لمرة واحدة)[٣٧].

وأما دستور الولايات المتحدة الأمريكية فقد جاء في ديباجته ما نصه (نحن شعب الولايات المتحدة الأمريكية رغبة منا في إنشاء اتحاد أكثر كمالا، وفي إقامة العدالة، وتعزيز الخير العام، وتأمين نعم الحرية لنا ولأجيالنا نرسم ونطبع هذا الدستور للولايات المتحدة الامريكية)[٣٨].

ونص فيما يتعلق بمدة ولاية رئيس الولايات المتحدة الأمريكية[٣٩] على أن (تناط السلطة التنفيذية برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويشغل الرئيس منصبه مدة أربع سنوات) .

وجاء التعديل الثاني والعشرون للدستور الأمريكي محدداً مدة ولاية الرئيس بدورتين مدة كل منهما أربع سنوات[٤٠].

٣٥- المادة ١/ ٢ من الدستور الألماني لسنة ١٩٤٩.

٣٦- المادة ٢٠/ ٢ من الدستور الألماني لسنة ١٩٤٩.

٣٧- المادة ٥٤/ ٢ من الدستور الألماني لسنة ١٩٤٩.

٣٨- ومع ذلك جزء مهم من شعب الولايات المتحدة الامريكية تعرض للحرمان من ممارسة حقوقه السياسية فكان يشترط بالنسبة للولايات الجنوبية لممارسة المواطنين لحقوقهم السياسية إمكانية تفسير نصوص الدستور ، إضافة الى شرط النصاب المالي وكان الهدف من مثل هذا الاشتراط حرمان المواطنين السود من ممارسة حقوقهم السياسية تحت ذرائع قانونية. حول المزيد من التفصيل ينظر: بدوي ثروت ، النظم السياسية ، مرجع سابق ص٢٢٣، بسيوني عبدالغني، النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق ص ١٦٣، رسلان أنور أحمد ، الوجيز في النظم السياسية، مرجع سابق ص ٢٠٨.

٣٩ -كانت مدة ولاية الرئاسة في الولايات المتحدة الامريكية تستند لقاعدة عرفية يحق للرئيس أن يشغل المنصب لمدة دورتين انتخابيتين قبل النص عليها في الدستور وتحديدها بدورتين مدة كل منهما أربع سنوات ، ويرجع السبب في ذلك أن الرئيس الامريكي روزفلت تولى منصب الرئاسة لمدة دورتين وترشح للدورة الثالثة وكان يريد أن يترشح لدورة رابعة غير أن مجلس النواب ثبت القاعدة العرفية المتعلقة بمدة الرئاسة من خلال تعديل الدستور لتصبح قاعدة دستورية مكتوبة . ينظر الفقرة الاولى من التعديل الثاني والعشرون للدستور الامريكي .

٤٠ - نصت الفقرة الاولى من هذا التعديل على أن " لا يجوز انتخاب أي شخص لمنصب الرئاسة لأكثر من مرتين اثنتين ، =

وجاء في دستور إيطاليا ما نصه (السيادة ملك الشعب الذي يمارسها وفقاً لصيغة الدستور وضمن حدوده[٤١] وحدد الدستور مدة رئيس الجمهورية بسبع سنوات[٤٢].

ويتضح من خلال ما ورد في مقدمات الدساتير[٤٣] أو نصوصها[٤٤] أن هذه الدساتير تكرس بشكل واضح مفهوم السيادة الشعبية[٤٥] وليس السيادة النيابية البرلمانية.

=كما لا يجوز انتخاب أي شخص لمنصب الرئاسة يكون قد تولى هذا المنصب أو قام بأعمال الرئيس لأكثر من عامين من مدة كان قد انتخب لها شخص أخر الا لمدة واحدة ....

٤١ – المادة ٢/١ من الدستور الايطالي.

٤٢ – المادة (٨٥) من الدستور الايطالي .

(٤٣) وورد في دستور جنوب أفريقيا ما نصه " نحن شعب جنوب أفريقيا... . وورد في ديباجة دستور الهند لسنة ١٩٤٩ ما نصه (نحن شعب الهند لقد قررنا رسميا وبكل رزانه ووقار ... أن نتبنى ونعتمد ونمنح أنفسنا هذا الدستور . ينظر دستور الهند ، ترجمة المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، القاهرة ٢٠١٤ ص١.

ونصت المادة (٥) من دستور اوكرانيا لسنة ١٩٩٦ على أن" السيادة للشعب الذي يعد المصدر الوحيد للسلطة في أوكرانيا. يُمارس الشعب السلطة مباشرة ومن خلال مؤسسات السلطة التابعة للدولة ومؤسسات الحكم الذاتي المحلية.

ونصت الفقرة الثانية من ذات المادة على أن " الحق في إقرار أو تغيير النظام الدستوري في أوكرانيا يعود بشكل خاص إلى الشعب ولن تغتصبه الدولة أو مؤسساتها أو مسئوليها. لا يجوز لأي شخص اغتصاب سلطات الدولة.

٤٤– ورد في ديباجة دستور كوريا ما نصه " نحن شعب كوريا نفخر بتاريخ وتقاليد جيدة ترجع إلى زمن بعيد، وورد في المادة ٢/١/ من دستور كوريا سيادة الجمهورية الكورية بيد الشعب وكل سلطة في الدولة تأتي من الشعب وورد في المادة ٧ /١ ١– جميع المسؤولون العموم خادمون للشعب بأكمله ومساءلون أمامه. وورد في المادة (١) من دستور إندونيسيا " تكون السيادة للشعب ، ويتم ممارستها وفقا للدستور.

ونصت المادة (٣) من دستور الاتحاد الروسي اصادر سنة ١٩٩٣ على أن :

يكون شعب الاتحاد الروسي المتعدد القوميات هو أداة السيادة ومصدر السلطة

يمارس شعب الاتحاد الروسي سلطته مباشرة وأيضا من خلال سلطة الدولة والحكم الذاتي المحلي .

يكون الاستفتاء والانتخابات الحرة هما المظهر المباشر الاعلى لسلطة الشعب .

لا يجوز لاحد أن يدعي لنفسه سلطة في الاتحاد الروسي ، ويخضع للمقاضاة بموجب القانون الاتحادي الاستيلاء على السلطة أو الاستيلاء على تفويض السلطة.

٤٥– ينظر جبيروم أ. بارون وآخرين الوجيز في القانون الدستوري ، المبادئ الاساسية للدستور الامريكي ترجمة محمد مصطفى غنيم ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة العربية الاولى١٩٩٨ ص ٥٠.

المبحث الثانيمبدأ السيادة الشعبية في الأنظمة العربية

تنقسم دراستنا لهذا المبحث إلى مطلبين نتناول في المطلب الأول مبدأ السيادة الشعبية في ظل الأنظمة العربية الوراثية ، ونتناول في المطلب الثاني المبدأ في ظل الأنظمة العربية ذات القناع الديمقراطي، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول المبدأ في دساتير الأنظمة العربية الوراثية:

سنتناول مبدأ السيادة الشعبية في عدد من الأنظمة الوراثية العربية في عدد من البنود، على النحو الآتي:

أولا : المملكة المغربية

نص الدستور المغربي على أن(نظام الحكم بالمغرب نظام ملكية دستورية ديمقراطية برلمانية اجتماعية)[٤٦] ونص على أن (السيادة للامة ، تمارسها مباشرة بالاستفتاء، وبصفة غير مباشرة بواسطة ممثليها)[٤٧].

وورد النص في الباب الثالث من الدستور المغربي على أن(الملك أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية ويرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى، الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه، ويمارس الملك الصلاحيات الدينية المتعلقة بإمارة المؤمنين، والمخولة له حصريا بمقتضى هذا الفصل، بواسطة ظهائر[٤٨].

ونص الدستور فيما يتعلق بالملك على أن (الملك[٤٩] رئيس الدولة وممثلها الاسمى، ورمز وحدة الأمة، وضامن دوام الدولة واستمرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور ، وحسن سير المؤسسات الدستورية، وعلى صيانة الاختيار الديمقراطي، وحقوق وحريات المواطنين والمواطنات، والجماعات، وعلى احترام التعهدات الدولية للمملكة[٥٠].

ونص فيما يتعلق بإسناد السلطة على أن (إن عرش المغرب وحقوقه الدستورية تنتقل بالوراثة الى الولد الذكر الأكبر سنا من ذرية جلالة الملك محمد السادس، ثم إلى ابنه الأكبر سنا وهكذا ما تعاقبوا، ما عدا إذا عين الملك قيد حياته خلفا له ولد أخر من أبنائه غير الولد الاكبر سنا، فإن لم يكن ولد ذكر من ذرية

٤٦ – الفصل ١ من الدستور المغربي

٤٧ – الفصل ٢ من الدستور المغربي

٤٨ – الفصل ٤١ من الدستور المغربي

٤٩ – نص الفصل ٤٦ على أن " شخص الملك لا تنتهك حرمته وللملك واجب التوقير والاحترام.

٥٠ – الفصل ٤٢ من الدستور المغربي

الملك، فالملك ينتقل الى أقرب أقربائه من جهة الذكور، ثم الى ابنه طبق الترتيب والشروط السابقة الذكر[٥١].

ثانيا : المملكة الاردنية الهاشمية :

تنص المادة (١) من الدستور الاردني المعدل على أن (المملكة الاردنية الهاشمية دولة عربية مستقلة ذات سيادة ملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه والشعب الاردني جزء من الامة العربية ونظام الحكم فيها نيابي ملكي وراثي.

وتنص المادة (٢٨) على أن(عرش المملكة الاردنية الهاشمية وراثي في اسرة الملك عبدالله بن الحسين، وتكون وراثة العرش في الذكور من أولاد الظهور وفق الأحكام التالية:

أ. تنتقل ولاية الملك من صاحب العرش إلى أكبر أبنائه سناً ثم إلى أكبر ذلك الابن الأكبر، وهكذا طبقة بعد طبقة، وإذا توفي أكبر الابناء قبل أن ينتقل اليه الملك كانت الولاية إلى أكبر أبنائه ولو كان للمتوفي اخوة، على أنه يجوز للملك أن يختار أحد أخوته وليا للعهد وفي هذه الحالة تنتقل ولاية الملك من صاحب العرش إليه .

ب. إذا لم يكن لمن له ولاية الملك عقب تنتقل إلى أكبر اخوته، وإذا لم يكن له اخوه فإلى أكبر أبناء أكبر اخوته، فإن لم يكن لأكبر اخوته أبن فإلى أكبر أبناء إخوته الاخرين بحسب ترتيب سن الاخوة.

ج. في حالة فقدان الاخوة وابناء الاخوة تنتقل ولاية الملك الى الاعمام وذريتهم على الترتيب المعين في الفقرة (ب).

د. واذا توفي أخر ملك بدون وارث على نحو ما ذكر يرجع الملك الى من يختاره مجلس الامة من سلالة

وتنص المادة (٣٠) من الدستور الاردني على أن" الملك هو رأس الدولة وهو مصون من كل تبعة ومسؤولية.

ثالثا: المملكة العربية السعودية

تنص المادة (٥) من النظام الاساسي للملكة العربية السعودية على أن :

أ. نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ملكي .

ب. يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الابناء ويبايع الاصلح منهم للحكم على كتاب الله وسنة رسوله.

ج. تتم الدعوة لمبايعة الملك واختيار ولي العهد وفقا لنظام هيئة البيعة .

٥١ – الفصل ٤٣ من الدستور المغربي .

د. يتولى ولي العهد متفرغا لولاية العهد وما يكلفه به الملك من أعمال.

هـ. يتولى ولي العهد سلطات الملك عند وفاته حتى تتم البيعة.

وفيما يتعلق بمبايعة المواطنين للملك نص النظام الاساسي للمملكة على أن (يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره)[٥٢] ونص في شأن مصدر الحكم على أن (يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة)[٥٣].

رابعا: دولة قطر:

تنص المادة (٨) من دستور دولة قطر على أن(حكم الدولة وراثي في عائلة آل ثاني، وفي ذرية حمد بن خليفة بن عبدالله بن جاسم الذكور، وتكون وراثة الحكم إلى الابن الذي يسميه الأمير وليا للعهد، فإن لم يوجد ينتقل الحكم إلى من يسميه الأمير من العائلة وليا للعهد، وفي هذه الحالة تكون وراثة الحكم في ذريته من الذكور، وينظم سائر الأحكام الخاصة بحكم الدولة قانون خاص يصدر خلال سنة من تاريخ العمل بهذا الدستور).

خامسا: مملكة البحرين :

نصت الفقرة ب من المادة (١) من دستور مملكة البحرين النافذ[٥٤] على أن (حكم مملكة البحرين ملكي دستوري وراثي، وقد تم انتقاله من المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفه إلى ابنه الأكبر الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ملك البلاد، وينتقل من بعده إلى أكبر أبنائه، وهكذا طبقة بعد طبقة، إلا إذا عين الملك قيد حياته خلفا له ابنًا آخر من أبنائه غير الأبن الأكبر، وذلك لأحكام مرسوم التوارث المنصوص عليه في البند التالي[٥٥].

---

٥٢ – المادة (٦) من النظام الاساسي للملكة العربية السعودية.

٥٣ – المادة (٧) من النظام الاساسي للملكة العربية السعودية.

٥٤ – ورد هذا النص قبل تعديله ضمن المادة (٢) من الدستور بصيغة (حكم البحرين وراثي في أُسرة حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة إلى ابنه الأكبر ثم إلى أكبر أبنا هذا الابن، وهكذا طبقة بعد طبقة إلا إذا عين الأمير قيد حياته خلفا له ابنا أخر من أبنائه غير الابن الأكبر وذلك طبقا لأحكام مرسوم التوارث المنصوص عليه في البند التالي

٥٥ – ينص البند الثالث من هذه المادة على أن " تنظم سائر أحكام التوارث بمرسوم أميري خاص تكون له صيغة دستورية فلا يجوز تعديله الا وفقا للمادة (١٠٤) من الدستور ، وفي حالة تعيين ولي العهد وزيرا يعفى من شرطي السن والقيد في جداول الانتخابات المنصوص عليهما في المادة(٤٤) من الدستور.

نصت الفقرة الرابعة على أن(نظام الحكم في البحرين ديمقراطي، السيادة فيه للشعب مصدر السلطات جميعا، وتكون ممارسة السيادة على الوجه المبين في الدستور).

كما نصت الفقرة أ من المادة (٣٣) من دستور مملكة البحرين على أن (الملك رأس الدولة، والممثل الاسمى لها، ذاته مصونة لا تمس، وهو الحامي الأمين للدين والوطن، ورمز الوحدة الوطنية)[٥٦]، ونصت الفقرة ج من هذه المادة على أن (يمارس الملك سلطاته مباشرة وبواسطة وزرائه، ولديه يُسأل الوزراء متضامنين عن السياسة العامة للحكومة، ويسال كل وزير عن أعمال وزارته

ويحمي الملك – وفقا للدستور– شرعية الحكم وسيادة القانون، ويؤدي في اجتماع خاص للمجلس الوطني اليمين الواردة في الفقرة ل من هذه المادة ونصها (أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الدولة وأذود عن حريات الشعب، ومصالحه وأمواله، وأصون استقلال الوطن وسلامة أراضيه)[٥٧].

سادسا: دولة الكويت:

تنص المادة (٤) من دستور دولة الكويت على أن (الكويت إمارة وراثية في ذرية المغفور له مبارك الصباح، ويعين ولي العهد خلال سنة على الأكثر من تولية الأمير، ويكون تعيينه بأمر أميري بناء على تزكية الأمير، ومبايعة من مجلس الأمة تتم في جلسة خاصة .

وتنص المادة (٦) من دستور دولة الكويت على أن(نظام الحكم في الكويت ديمقراطي، السيادة فيه للأمة مصدر السلطات جميعا، وتكون ممارسة السلطة على الوجه المبين في هذا الدستور).

وتنص المادة (٥٤) من هذا الدستور على أن الأمير رئيس الدولة، وذاته مصونة لا تمس.

وواضح من خلال ما سبق أن مبدأ السيادة الشعبية في ظل دساتير الأنظمة الوراثية ملكية أو أميرية لا اعتبار له، وأن السيادة والسمو للملوك والشيوخ والأمراء فهم أصحاب السمو، ولا سمو يعلو على سموهم، ولا سيادة في هذه الأنظمة لا للشعب ولا للأمة، فإسناد الحكم يتم من خلال توارثه بين أجيال الأسر الحاكمة، ولا تملك الشعوب في ظل هذه الانظمة حق اختيار حكامها و لا تملك حق محاسبتهم، ولا تلحقهم مسؤولية أو تبعة عن أعمالهم، فهم يتمتعون بحصانة في مواجهة شعوبهم، تحول هذه الحصانة دون محاسبتهم من جانب شعوبهم.

وإذا كان ذلك هو حال مبدأ السيادة الشعبية في ظل الأنظمة الوراثية فما هو حال هذا المبدأ في ظل أنظمة

٥٦ – كانت صيغة هذا النص قبل تعديله (الأمير رأس الدولة وذاته مصونة لا تمس، ويتولى سلطاته بواسطة وزرائه، ولديه يُسأل الوزراء متضامنين عن السياسة العامة للحكومة ويسأل كل وزير عن أعمال وزارته).

٥٧ – وهي ذات الصيغة الواردة في الفقرة ح من المادة ٣٣ من دستور دولة البحرين قبل تعديله.

الحكم التي تتبنى نظريا المبادئ الديمقراطية، وعلى رأسها مبدأ السيادة الشعبية؟ ذلك ما سنتعرف عليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني:مبدأ السيادة الشعبية في دساتير الأنظمة العربية ذات القناع الديمقراطي:

سنتناول في هذا المطلب مبدأ السيادة الشعبية في عدد من دساتير الأنظمة العربية التي ترتدي قناع الديمقراطية، ومنها مصر والسودان والجزائر وتونس واليمن، فقد ورد في الدستور المصري النافذ[٥٨] فيما يتعلق بمبدأ السيادة الشعبية النص على أن (السيادة للشعب وحده ويمارسها ويحميها، وهو مصدر السلطات، ويصون وحدته الوطنية التي تقوم على مبادئ المساواة والعدل وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، وذلك على الوجه المبين في الدستور)[٥٩] .

وتجاوز الدستور السوداني ما ورد النص عليه في الدستور المصري من مجرد تقرير نص دستوري أن السيادة للشعب علاوة على ذلك تضمن الدستور السوداني النص في ديباجته على أن (.... نحن شعب السودان ... قد وضعنا لأنفسنا هذا الدستور نظاماً للحياة العامة نتعهد باحترامه وحمايته...).

كما ورد في هذا الدستور أيضاً النص على أن (... والسيادة لشعب السودان المستخلف يمارسها عبادة لله وحملا للأمانة وعمارة للوطن وبسطاً للعدل والحرية والشورى)[٦٠]، ويوحى هذا النص أن دستور السودان إسلامي خالص ينظم شؤون خلافة عامة، ولا ينظم شؤون الحكم في دولة تعتمد مبادئ دستورية وقواعد قانونية وضعية في أغلبها وباعتقادنا فإن الاختلالات في الواقع التطبيقي والتناقض والفشل هو نتيجة لاعتماد جوانب تنظيرية بعيدة كل البعد عن الجانب التطبيقي.

ونصت المادة (٦) من دستور الجزائر الصادر سنة ١٩٩٦ على أن(الشعب مصدر كل سلطة، والسيادة الوطنية ملك الشعب) ونصت المادة (٧) من الدستور على أن "السلطة التأسيسية ملك للشعب يمارس الشعب سيادته بواسطة المؤسسات الدستورية التي يختارها، يمارس الشعب هذه السيادة عن طريق الاستفتاء وبواسطة ممثليه المنتخبين، ولرئيس الجمهورية أن يلتجئ إلى الشعب مباشرة)[٦١].

---

٥٨ – ورد النص في المادة (٣) من الد ستور المصري لسنة ١٩٧٠ على أن (السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها، ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور).

٥٩– المادة (٤) من الدستور المصري لسنة ٢٠١٤.

٦٠– المادة ٤ من الدستور السوداني لسنة ١٩٩٨،

٦١ – كذلك نص الفصل الثالث من الدستور التونسي الصادر سنة ٢٠١٤ على أن(الشعب هو صاحب السيادة، ومصدر السلطات يمارسها بواسطة ممثليه المنتخبين أو عبر الاستفتاء).

ونصت المادة (٢) من الدستور الموريتاني بفقراتها الثلاث على الآتي:

١- الشعب الموريتاني هو مصدر كل سلطة

٢- السيادة الوطنية ملك للشعب يمارسها عن طريق ممثليه المنتخبين وبواسطة الاستفتاء ، ولا يحق لبعض الشعب ولا لفرد من أفراده أن يستأثر بممارستها.

٣- لا يتقرر أي تنازل عن السيادة جزئيا كان أو كليا إلا بقبول الشعب له.

المبحث الثاني: ثورات الربيع العربي:

تلبست بعض الأنظمة العربية بلباس الديمقراطية وظلت لفترة تروج نظرياً لمبادئها، وتفاعلت معها الشعوب وتاقت لتنهل من معين الديمقراطية المزعومة، غير أن إفراط الحكام في الترويج النظري لمبادئ الديمقراطية الغربية قد توازى معه إفراطهم في قمع الشعوب ومصادرة حقوقها وحرياتها، مما نتج عنه تولد حالة من الضيق الشديد في أوساط الشعوب العربية بأنظمتها الاستبدادية لينتهي الأمر بتنامي نزعة شعبية واسعة باتجاه اقتلاع الأنظمة الاستبدادية من جذورها، واستبدالها بأنظمة حكم تختارها الشعوب بمحض إرادتها ، وحكام منتخبين لفترة محددة، يعملون تحت مجهر السيادة والرقابة الشعبية ، ولمزيد من التفصيل سنتناول هذا المبحث في المطالب الاتية:

ستكون دراستنا لهذا المبحث في ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الاول: توق الشعوب العربية لتجسيد مبدأ السيادة الشعبية:

سنتناول هذا المطلب في ثلاثة فروع على النحو الاتي :

الفرع الأول: إفراط الحكام في الاستبداد بالشعوب العربية:

كانت الأنظمة العربية المتدثرة بثوب الديمقراطية قد أعلنت تبنيها لمبادئها كوسيلة لإدارة شؤون الحكم، وجسدت ذلك في شكل نصوص في الدساتير والقوانين ذات الصلة بالحقوق والحريات العامة، غير أن كل ذلك لم يتجاوز الحيز النظري لتلك النصوص الدستورية والقانونية فكانت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية بل وحتى المحلية عبارة عن مسرحيات هزلية يفوز فيها فقط الحكام ومن يرضون عنه من الاتباع.

ورغم أن الأنظمة الغربية التي كرست نصوص دساتيرها مبدأ السيادة الشعبية لم تكن تتجاوز في الواقع العملي النصوص الدستورية فيما يتعلق بشغل المناصب العليا في الدولة عن طريق الانتخابات، وكانت تلتزم تماماً بما حددته النصوص الدستورية من مدة زمنية لشغل منصب رئاسة الدولة، في حين يختلف الأمر تماماً فيما يتعلق بالأنظمة العربية التي تبنت نظريات الديمقراطية، فما إن تشارف الفترة الأولى للحاكم على الانتهاء حتى يعمل على تهيئة كل الامكانيات العامة وتسخيرها فيما يخدم عودته لدورة ثانية في منصب

رئاسة الدولة، رغم عدم وجود أي منافسة حقيقة له حول شغله لمنصب الرئاسة.

وإذا كان الدستور يحدد مدة شغل منصب الرئاسة بدورتين رئاستين فإن الحاكم كان يعمل على تعديل النص الدستوري بما يكفل مضاعفة الدورات الرئاسية، وما إن تشارف دورات التمديد على الانتهاء حتى يعمل على تعديلها وتمديدها مرة أخرى، وهكذا، ويعمل الحاكم وعن طريق أدواته للترويج بأن مغادرته للسلطة سوف يجُر البلاد إلى المجهول، ليصبح بذلك بقاء الحاكم ضرورة ليس لمصلحته بل لمصلحة البلد[٦٢]، هكذا يستمر الحكام العرب في الأنظمة الديمقراطية الشكلية في سدة الحكم لعقود من الزمان، ولا يغادرونها إلا بالوفاة[٦٣] أو القتل[٦٤] أو مكرهين[٦٥].

وظلت الشعوب العربية على حالها تتوق لفجر الحرية والديمقراطية الموعودة من بين ظهراني حكامها، لينعم الجميع بتداول سلمي للسلطة وفقاً للنصوص الدستورية وبحماية حقيقية للحقوق والحريات العامة، ويتمتع بها الجميع في ظل نظام حكم ديمقراطي عادل، غير أن الحقوق والحريات العامة لم تجد إلا مزيداً من القمع من جانب الحكام طوال فترة بقائهم في السلطة، وكذلك تداول السلطة سليماً عبر الانتخابات لم يكن سوى سراب ووهم، وكأن مفهوم تداول الحكام للسلطة ينصرف الى أخذها مرة باليمين وأُخرى باليسار.

ولم يتورع الحكام العرب في الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية عن ابتكار أبشع وسائل التنكيل بشعوبهم وتغييب حقوقهم وحرياتهم والعبث بمقدرات هذه الشعوب، وتسخيرها فقط لبقائهم في السلطة وقمع كل صوت معارض لهم، وكانت الجغرافيا الوطنية لهذه الأنظمة تمثل سجوناً كبيرة للشعوب، ولم يكن للحريات العامة سياسية واجتماعية واقتصادية حضور يذكر، فعانى المعارضون أبشع صور القمع والتنكيل[٦٦]، وعانت الشعوب مرارة الحرمان اقتصادياً واجتماعياً[٦٧].

٦٢ – عضو مجلس النواب سلطان البركان طالب بخلع العداد الذي يحسب للرئيس سنوات ودورات مكوثه في منصب الرئاسة.

٦٣ – الرئيس المصري جمال عبدالناصر والرئيس السوري حافظ الأسد.

٦٤ – الرئيس اليمني ابراهيم الحمدي، وأحمد حسين الغشمي، وعلي عبدالله صالح، والرئيس المصري أنور السادات.

٦٥ – الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، والرئيس المصري حسني مبارك، والرئيس السوداني عمر حسن البشير، والرئيس اليمني عبدالله السلال، وكذلك القاضي عبدالرحمن الارياني، وعلى عبدالله صالح .

٦٦ – جرى في الدول العربية كما هو الحال بالنسبة لمصر واليمن الزج بالمعارضين في المعتقلات لسنوات طويلة دون محاكمة وكذلك تعرض البعض للإخفاء القسري. لمزيد من التفاصيل ينظر :

تقرير منظمة العفو الدولية ١٩٩٣، منشورات منظمة العفو الدولية، لندن، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الاولى، ص ٥٤ و٥٥ و١٤٩و٢٧٨و٣٠٥.

– حقوق الإنسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان في الوطن العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٠٥. =

الفرع الثاني: ضيق الشعوب العربية بأوضاعها الداخلية:

إزاء أنانية الحكام في الأنظمة العربية ذات الصيغة الديمقراطية الشكلية وعسفهم بحقوق وحريات شعوبهم، وعبثهم بمواردها، وإهدارهم لكل مقوماتها، ومقابلة الشعوب لكل ذلك بالمهادنة والاستكانة والركون إلى ديماغوجية الحكام، وعلى أمل أن يأتي يوم يصدق فيه هؤلاء الحكام ويتحقق حلم الشعوب في الحرية والكرامة والانعتاق من الاستبداد، وينعم فيه الجميع بالحقوق والحريات العامة في ظل أنظمة ديمقراطية حقيقية غير أن الأوضاع كانت تسير من سيئ إلى أسوأ وأزداد استهتار الحكام بشعوبهم وعملوا جاهدين على نهب خيرات الشعوب، وتوريث الحكم لأبنائهم وأحفادهم، وفي تجاهل صارخ لكل ما سبق الترويج له من توجهات نحو اصلاحات حقيقية يتمتع من خلالها كل أفراد الشعب بحرياتهم وينالوا من خلالها حقوقهم.

وكان الانجاز الوحيد الذي برع فيه حكام الديمقراطيات العربية الصورية هو صناعة الأزمات لشعوبهم، لتعيش هذه الشعوب رغم إمكانياتها الهائلة في دوامة البحث عن لقمة العيش، ودون أن تجد مُتسعاً من الوقت تفكر فيه في حريات سياسية واقتصادية واجتماعية وبحيث ينحصر كل اهتمامها في الحصول على لقمة العيش فحسب.

ورغم إحكام حكام الديمقراطيات العربية الصورية الخناق على شعوبهم، وتسخيرهم لخيرات هذه الشعوب لخدمة قوى خارجية لا هم لها سوى نهب موارد هذه الشعوب، دون اكتراث لظروفها المعيشة، وفي مقابل صمت تلك القوى عن قمع الحكام لشعوبهم، وحمايتها لهم، ومع كل ذلك ومع ازدياد ضغط الحياة المعيشية على الشعوب تنامت في المقابل حالة عكسية تنبذ الذل والهوان والاستسلام، وتقاوم جور الحكام، وامتدت هذه الحالة إلى أغلب الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية، واتخذت هذه الحالة اشكالاً متعددة، خصوصاً مع التطور الهائل الذي شهدته أنظمة الاتصالات، والتواصل عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي التي ربطت بشكل قوي بين المطالب الشعبية ليس في ذات الدولة؛ وإنما في دول متعددة،

= – حقوق الإنسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان في الوطن العربي، القاهرة، سنة ٢٠٠٠، ص٥٦ وما بعدها.

– البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان، الحواجز الحديدية، الجزء الاول، مدينة نصر بدون سنة طبع، ص ٤١ وما بعدها وص ١٢٥ وما بعدها.

٦٧ – تعمد الحكام العرب تجويع الشعوب العربية لتظل في حالة من الدوران لتحصل على لقمة العيش وحتى لا تفكر مجرد التفكير في حقوقها المتعلقة بالحكم وممارسة السياسة، وأصبحت الشعوب العربية تتضور جوعا وتنتظر للمنظمات العاملة في المجال الانساني لتجود عليها بما يسد رمقها رغم وجود ثروات هائلة متعددة ومتنوعة .

فكانت الانتقادات لأساليب حكام الديمقراطيات العربية الخدمية في محاولاتهم توريث الحكم لأبنائهم، وتحت شعارات ديمقراطية براقة، وكانت الاحتجاجات الشعبية متزامنة في أكثر من دولة ومطالبها موحدة تقريباً، وتطورت هذه الاحتجاجات السلمية باستمرار، وتحولت إلى اعتصامات شلت الحياة العامة، ودقت جرس انذار التغيير وبأنه بات وشيكاً، كون الشعوب قد ضاقت ذرعاً بحكامها.

الفرع الثالث: النزعة الشعبية لإسقاط الأنظمة الاستبدادية:

في ظل التنامي المستمر للاستياء والغضب الشعبي وتوسع دائرة الاحتجاجات لم يكن في وسع حكام الديمقراطيات العربية الصورية الإفلات من الغضب الشعبي بعد استشعارهم الخطر الذي يهدد وجودهم في السلطة، وإزاء ذلك بادروا إلى اطلاق الوعود الكبيرة بإصلاح الأوضاع العامة، وإعلان زهدهم في السلطة، وعدم استعدادهم لخوض أي انتخابات مقبلة[٦٨]، واستعدادهم للعمل على تهيئة الساحة السياسية لانتخابات ديمقراطية حرة نزيهة، يشرفون فيها فقط على الانتخابات ويديرونها دون أن يشاركوا فيها.

لكن الشعوب الثائرة أدركت أن وعود الحكام لا تعدو كونها سراباً، وأنهم إنما يريدون من إطلاق الوعود كسب المزيد من الوقت لإعادة ترتيب أوضاعهم من جديد في السلطة، والبحث عن خدع جديدة يتجاوزون بها المطالب الشعبية التي تعاظمت. ولم تقف عند مجرد الحقوق والحريات وتوفير الضمانات اللازمة لممارستها، بل إن هذه المطالب تحددت بشكل واضح في ضرورة إنهاء حقبة الزيف والتضليل التي مارسها حكام الديمقراطيات العربية الصورية لعقود من الزمن، وضرورة مغادرتهم للسلطة، ولم تقف هذه المطالب عند هذا الحد بل تطورت إلى مساءلة الحكام، واستعادة ما نهبوه من أموال عامة خلال سنوات حكمهم، وفي الوقت الذي أدرك فيه بعض الحكام جدية المطالب الشعبية والإصرار على تنفيذها، ففكروا في ملاذات آمنة لهم ولأسرهم[٦٩]، في حين كابر البعض الآخر واستخدم قوات الأمن والجيش في قمع المحتجين[٧٠]، لينتهي الأمر بانقلاب عسكري أنهى حقبة التسلط وفتح حقبة جديدة[٧١]، وأصر بعض الحكام على مواجهة شعبه

٦٨ –كما هو الحال بالنسبة لرؤساء مصر تونس واليمن بعد أن أدركوا أن الاحتجاجات تكتسح الساحات بادروا بالإعلان عن ضرورة إجراء إصلاحات جذرية تفضي إلى إجراء انتخابات رئاسية حرة لن يكونوا فيها إلا مشرفين على عمليات انتقال السلطة، غير أن الشعوب لم تمهلهم، ولم تمنحهم الوقت لينفذوا حيلهم الجديدة.

٦٩– كما هو الحال بالنسبة للرئيس التونسي زين العابدين بن علي.

٧٠– الرئيس المصري حسني مبارك.

٧١– قاد الانقلاب وزير الدفاع، وأعقب ذلك تنحية الرئيس وتولي رئيس المحكمة العليا مهام رئيس الجمهورية مؤقتا لحين انتخاب رئيس للجمهورية.

واتخذت المواجهة طابعاً عنيفاً[٧٢]، لم يخل من تدخل قوى خارجية غذت الصراع خدمة لأجنداتها؛ ليستمر لسنوات أزهقت خلالها أرواح مئات الآلاف.

المطلب الثاني:العوامل المؤثرة على حق الشعوب العربية في فرض سيادتها الشعبية:

رغم أن دساتير الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية قد كرست مبدأ السيادة الشعبية في النصوص الأولى منها فإن الواقع العملي لم يشهد حضوراً فعلياً لمبدأ السيادة الشعبية، وظل هذا المبدأ مجرد حبرٍ على ورق، ويمكن ارجاع سبب نكوص الأنظمة العربية – ذات الأقنعة الديمقراطية — عن العمل بما جاء في دساتيرها من تكريس مبدأ السيادة الشعبية إلى عوامل داخلية تمثلت في تدني مستوى الوعي الشعبي في مواجهة وسيطرة العسكر على مقاليد الحكم في هذه الأنظمة، إضافة إلى تأثير العوامل الخارجية على أنظمة الحكم العربية ورسم سياساتها الداخلية.

الفرع الأول: العوامل الداخلية :

أولا: تدني مستوى الوعي الشعبي:

أدت سياسة القائمين على الحكم في الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية القائمة على التجويع والإذلال إلى حصر اهتمام الشعوب في هذه الأنظمة على العمل الدؤوب لتوفير المتطلبات الأساسية اللازمة للبقاء على قيد الحياة، من مأكل ومشرب وملبس وتطبيب، مع تكرس جل الوقت والجهد لهذه الأساسيات، إلا أن أغلب الشعوب لا تحصل إلا على الحد الأدنى منها، وهو ما أدى إلى الانصراف عن التفكير في السياسية وشؤون الحكم وممارسة الحقوق السياسية، وتدني مستوى الوعي بهذه الحقوق إلى أدنى مستوياته

ورغم أن الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية تلجأ إلى إجراء عمليات انتخابية رئاسية وبرلمانية ومحلية واستفتاءات دستورية وقانونية فإنها تعمل في ذات الوقت في ظل المتاهة التي أدخلت هذه الأنظمة الشعوب فيها، وبما يحقق توجهاتها، وليس توجهات وطموحات الشعوب، وبسبب الحالة الاقتصادية التي تعيشها شعوب الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية فمن السهل جداً حصد أصوات الناخبين بمقابل مادي زهيد، وهو ما يمكن ملاحظته بكل بساطة في هذه الأنظمة التي تتضور شعوبها جوعاً وتتذمر من سوء أحوالها في جميع مجالات الحياة. ومع كل ذلك يستمر الحكام في هذه الأنظمة عقوداً متتالية، ويورثون الحكم فيها لأولادهم وأحفادهم، وثلة قليلة متحكمة ومسيطرة على مقدرات الشعوب في هذه الأنظمة ومستولية على السلطة وعلى مقومات حياة الشعوب فيها، ودون أن يكون لهذه الشعوب دور فعلي في تغيير واقعها

٧٢– كما هو الحال بالنسبة لليمن وسوريا وليبيا.

الذي هو نتاج فساد القائمين على أنظمة الحكم في هذه الشعوب التي قبلت بالعيش تحت سلطة حكام يعتمدون الزيف والتضليل والخداع وتصوير الجحيم الذي تعيشه شعوبها بأنه نعيم دائم[٧٣] وجنان وارفة.

ولقد أسهمت الأحزاب السياسية في الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية في تزييف وعي الشعوب وتضليلها لخدمة الحكام المتسلطين، إذ غالباً ما تعمل قيادات الأحزاب السياسية على اللهث وراء مصالحها الخاصة، غير مكترثة بالواقع الذي تعيشه الشعوب، بل غير مكترثة بواقع المنتمين إلى هذه الأحزاب والمناصرين لها، ولقد أثبت الواقع فعلاً وفي عدد من الأنظمة ذلك الدور المشبوه الذي اضطلعت به الأحزاب السياسية في خدمة القائمين على أنظمة الحكم العربية ذات الأقنعة الديمقراطية، فأحزاب اليمن القومية والإسلامية انكشفت حقيقتها حين ارتمت في أحضان الملكية الرجعية السعودية التي احتضنت القائمين على نظام الحكم في اليمن، ولطالما كانت الأحزاب الاشتراكية والقومية وخلال عقود مضت تهاجم الرجعية وعلى رأسها السعودية وتعتبرها سبب التخلف للشعوب العربية غير أن هذه الأحزاب أصبحت أكثر رجعية من الرجعية ذاتها[٧٤].

ثانيا: سيطرة العسكر على أنظمة الحكم العربية ذات الأقنعة الديمقراطية:

رغم أن العمل السياسي صراع بين مكونات سياسية، وهذا الصراع له من حيث الأصل طابع السلمية، كون أدواته ووسائله سلمية، ولا يجيد استخدام هذه الأدوات والوسائل إلا من كانت طبيعة نشأته وتكوينه سلمية، تعتمد التدريب المستمر على استخدام هذه الوسائل، فإنه ومع كل ذلك أقتحم العسكر ساحات الصراع السلمي، بوسائلهم غير السلمية، التي تدربوا على استخدامها وبطبيعتهم غير السلمية، وبتكوينهم غير السلمي، وتمكنوا فعلاً وخلال عقود مضت من اكتساح هذه الساحات، وهزيمة كل من حاول منازلتهم، وسيطروا من ثم وبوسائلهم وأدواتهم على ساحات العمل السياسي.

ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى تسخير المال العام ووسائل السلطة العامة للسيطرة على القوى السياسية في الساحة وتوظيف هذه القوى لخدمة بقاء العسكر في السلطة، والترويج لأدائهم الديمقراطي، وأن اختيارهم شعبي يتم بناء على كفاءتهم، وكذلك الترويج لهم كقادة تقتضي الضرورة والمصلحة العامة استمرار بقائهم في السلطة خدمة للشعوب، واستكمالا لبرامج تنميتها وتقدمها، وأوجدوا ما يمكن تسميته بديمقراطية العسكر، التي صورت البؤس والحرمان والشقاء الذي تعيشه الشعوب بأنه تطور وتنمية يجب الحفاظ عليه ببقاء

٧٣- متولي عبد الحميد – وهو يشير في مؤلفه لعدد من الفقهاء الغربيين – أزمة الأنظمة الديمقراطية، مطبعة بروكشيا الإسكندرية، سنة١٩٥٤، ص٣٠ – ٣٣.

٧٤- قيادات الاحزاب القومية الناصرية والبعثية التي ارتمت في أحضان الدول الوراثية التي ظلت طوال عقود تصفها بالرجعية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، التي يقيم في فنادق عاصمتها قيادات الأحزاب الناصرية والبعثية.

العسكر في سدة الحكم.

وبسبب طبيعة التكوين والتربية العسكرية للعسكريين فإنهم لا يتورعون عن قمع كل معارض لهم، أو منتقد لأسلوب حكمهم وإدارتهم للشأن العام، أو طول فترة بقائهم في السلطة ومطالبتهم بتحقيق مبدأ التداول السلمي للسلطة، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى في الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية[٧٥]، بل إن التربية العسكرية والتكوين العسكري للقائمين على السلطة في هذه الأنظمة لم تمنعهم من معاقبة الشعوب بشكل جماعي لمجرد الشعور بامتعاض شعبي من خلال مظاهرة أو احتجاج، ليتحول القمع والعقاب إلى حالة عامة.

ولم يأتِ القمع من فراغ، بل هو من أدوات ووسائل العمل في الجانب العسكري التي تطبق بشكل فردي، حيث يعاقب فرد بسبب عدم تنفيذه للأمر العسكري الصادر إليه من مسؤوله المباشر، وذات الأمر ينطبق على السرية والكتيبة، والمعسكر بكامله يمكن أن يعاقب بالوقوف في الشمس الحارقة ولساعات طوال، وكل هذه الأساليب والوسائل نقلها العسكر إلى الحياة المدنية، واستخدموها في معاقبة الشعوب بكاملها، وإن بصورة مغايرة.

وقد سيطر العسكر على مقاليد الحكم في أغلب الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية، وهذه السيطرة أتت عقب ثورات أو انقلابات على أنظمة قائمة، كان بعضها ملكياً، كما هو الحال في مصر واليمن وكان بعضها جمهورياً، كما هو الحال في السودان، وبعضها عقب التحرر من استعمار أجنبي.

ورغم أن هذه السيطرة بدأت تحت مبرر إدارة الشؤون العامة في هذه الدول بفترات انتقالية، غير أن العسكر استمروا في السلطة، ودخلوا مسرحيات انتخابية، فازورا فيها بما يقرب من نسبة ١٠٠% من أصوات الناخبين، ومن الحكام العسكريين من لقى مصرعه باغتيال[٧٦]، أو انقلاب([٧٧])، غير أن الوضع لم يتغير، وحل محله في الحكم لفترة انتقالية عسكر آخرون، وهذه الفترات الانتقالية ما لبثت أن تحولت إلى

٧٥- يراجع حول المزيد التفصيل :

- تقرير منظمة العفو الدولية ١٩٩٣، مرجع سابق ، ص ٥٤ و٥٥ و١٤٩و٢٧٨و٣٠٥.
- حقوق الإنسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان في الوطن العربي، مرجع سابق ، ص ٢٠٥.
- حقوق الإنسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان في الوطن العربي، مرجع سابق، ص٥٦ وما بعدها.
- البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان، الحواجز الحديدية، مرجع سابق، ص ٤١ وما بعدها و ص ١٢٥ وما بعدها.

٧٦ – في اليمن الرئيس ابراهيم الحمدي والرئيس أحمد حسين الغشمي، وفي مصر الرئيس محمد أنور السادات.

٧٧ – في السودان الرئيس عبدالرحمن سوار الذهب والرئيس عمر البشير.

دورات دائمة، عمل خلالها الحكام الجدد على ترتيب أوضاعهم في السلطة، بما يكفل التوريث لأبنائهم وأحفادهم وأقاربهم، ومن أبرز مظاهر هذه السيطرة القوات المسلحة والأجهزة الأمنية بمختلف تصنيفاتها، وأصبحت الشعوب أمام ديمقراطية زائفة، صنعوها هم كما أسلفنا، هي ديمقراطية العسكر، التي تقتضي استمرار انتخاب الشعوب لهم في كل دورة انتخابية.

وحين حل موعد الربيع العربي وسقط من العسكر من سقط من حكام الأنظمة العربية ذات الأقنعة الديمقراطية، كانت الشعوب تؤمل بانتهاء كابوس العسكر، غير أنه تم الالتفاف على ثورات الربيع العربي، وعاد العسكر إلى سدة الحكم مرة أخرى، رغم أن بعض من تولوا السلطة عقب ثورات الربيع العربي جاءوا عن طريق انتخابات شعبية، كما هو الحال بالنسبة لمصر، اختار الشعب المصري حاكماً مدنياً، ولم يمهله العسكر طويلاً، حيث تم الانقلاب عليه، وإيداعه غياهب السجون[٧٨]، وانتصب لإدارة شؤون الحكم ولفترة مؤقتة كما أعلن أحد العسكريين[٧٩]، الذي سرعان ما تحول إلى منقذ، بقاءه في سدة الحكم ضرورة، ليس من أجله ولكن من أجل الشعب، كما تم الترويج لذلك، وأصبح هو المرشح الأوفر حظاً بالفوز الكاسح في مسرحيات الانتخابات الهزلية[٨٠].

الفرع الثاني: العوامل الخارجية:

تتمثل هذه العوامل في تدخل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للشعوب، وبشكل مباشر، حيث تعمل الدول الكبرى وبشكل مستمر على تكريس وتثبيت وتوسيع نفوذها وتواجدها في عدد من الدول، خصوصاً دول الشرق الأوسط الغنية بالثروات الطبيعية، وقد كانت القوى الكبرى – من أجل تحقيق أهدافها– تلجأ إلى الاحتلال المباشر للدول، كما هو الحال بالنسبة لفرنسا وبريطانيا، غير أن ذلك الأسلوب رغم أنه حقق أهدافها الاقتصادية والسياسية، فإنه في المقابل كلفها كثيراً، فعملت – بعد أن منحت الدول المحتلة الاستقلال – على أسلوب جديد، تمثل في السيطرة عن طريق الوكلاء من أبناء البلد، فقدمت الدعم والحماية للحكام في مقابل تنفيذ سياساتها، ودخلت من ثم الشركات التابعة لها لاستغلال ثروات الشعوب ونهبها بموافقة حكامها.

٧٨ – الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي الذي لقي حتفه أثناء جلسة محاكمة .

٧٩– وزير الدفاع الرئيس عبدالفتاح السيسي.

٨٠ – الرئيس الانتقالي عبدالفتاح السيسي الاصل أن يدير المرحلة الانتقالية ولا يخوض الانتخابات الرئاسية، لكنه مع ذلك أعلن ترشيح نفسه، معتمدا على مؤسسات الدولة والمال العام ولايزال الوضع في مصر على حاله، والسلطة بيد العسكر، كما كان عليه الوضع قبل الثورة.

ورغم أن أنظمة الحكم في الدول الكبرى ديمقراطية تقتضي تغييراً مستمراً للحكام؛ فإن المؤسسات القائمة في هذه الدول تتبع سياسة واحدة تجاه الحكام في الأنظمة العربية المتلبسة بالديمقراطية، وهي استمرار حمايتهم والحفاظ على وجودهم في السلطة لعشرات السنين، ولا تكترث أبداً بما تعانيه الشعوب التي تحكمها أنظمة تتبنى نظرياً الديمقراطية الغربية، والواضح تماماً أن الدول الكبرى متفقه على تقاسم النفوذ والمصالح في الوطن العربي، وهي لا تقدم الحماية فقط للقائمين على الأنظمة ذات الصبغة الديمقراطية، بل إنها تقدم هذه الحماية أيضاً لأنظمة ديكتاتورية استبدادية ملكية وراثية[٨١].

وقد ترتب على هذا التدخل من جانب الدول الكبرى في شؤون الحكم استمرار الحكام في السلطة لعقود طويلة، وتوريث السلطة لأبنائهم وأحفادهم، واقتضت سياستهم تجويع الشعوب واخضاعها وإذلالها وإشغالها بالبحث عن لقمة العيش، عن الخوض في مسألة السيادة الشعبية وحق الشعوب في اختيار حكامها، وظل هذا الحال على ما هو عليه لعقود من الزمن رزحت الشعوب خلالها تحت نير استبداد حكامها وزيفهم وتضليلهم، وعملت الدول الكبرى من خلال الشركات التابعة لها على استغلال ثروات الشعوب ونهب خيراتها.

ولم يسمح الحكام في الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية لشعوبهم أن تتنفس، فكان القمع والمعتقلات مصير كل معارض وكل حريص على تنوير الشعوب وتبصيرها بحقوقها[٨٢] وإن وجدت معارضة ما فقد كانت في حدود ما يسمح به الحكام وتحت سيطرتهم، ومثلما كانت ديمقراطية الحكام شكلية فقد أوجدوا معارضة شكلية وظفوها لخدمة بقائهم في السلطة من خلال إسهاماتها في تضليل الشعوب وتزييف وعيها، من خلال مشاركتها في عمليات انتخابية مسرحية، تنتهي أغلبها يفور الحكام أنفسهم بما لا يقل عن ٩٩% من أصوات الناخبين[٨٣].

ورغم تكرار هذه المسرحيات الانتخابية، وتكرار نتائجها ظلت المعارضة تعمل في ظلال السلطة الوارفة، وتنعم قياداتها بما يغدق به الحكام عليها، وظلت الشعوب على حالها تتجرع مرارة العيش، إلى أن ضاقت بأحوالها واستشرفت مآلها ومستقبل أجيالها، بعد وعيها بمخاطر استمرار أوضاعها على ماهي عليه، فقررت الانتصار لإرادتها التي تجسدت في ثورات الربيع العربي، التي اجتاحت الأنظمة العربية ذات الصبغة

٨١ – كما هو الحال بالنسبة للأنظمة الوراثية الملكية الاستبدادية في السعودية والبحرين والامارات وقطر وغيرها.

٨٢ – تزخر تقارير المنظمات الحقوقية بحالات التعذيب والاغتيالات والاخفاء القسري للمتصدين للأنظمة الاستبدادية القمعية المتلبسة بلباس الديمقراطية.

٨٣– كما هو الحال بالنسبة لرؤساء مصر واليمن وتونس والسودان وغيرها من الدول العربية ذات القناع الديمقراطي.

الديمقراطية، وأطاحت بحكامها، ولإدراك الدول الكبرى أن تدخلها إلى جانب الحكام لم يعد مجدياً فقد رأت في الإطاحة بهم من جانب شعوبهم فرصة لها لصياغة تدخلها بشكل مختلف، فأعلنت دعمها لإرادة الشعوب، وفي المقابل عملت على ترتيب أوضاع عملاء جدد لها[٨٤]، وفي حال اخفاقها تعمل على تفجير الأوضاع، لتعيش الشعوب في حالة عدم استقرار واقتتال داخلي تعمل الدول الكبرى على تغذيته[٨٥]، بل إن عدم تحقق ذلك داخلياً في حال نجاح الثورة على احتواء الأوضاع فإن العدوان بديل مطروح وجاهز للاستخدام ، كما هو الحال بالنسبة للعدوان على اليمن الذي شنه ولا يزال تحالف دولي مكون من أكثر من سبع عشرة دولة، تقف خلفها قوى دولية كبرى، على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا والكيان الصهيوني، وعشرات الدول التي تمد تحالف العدوان بأفتك أنواع الاسلحة التي تستخدم في قتل اليمنيين، وتدمير مقومات حياتهم.

وإذا ما استعرضنا نموذجين صادرت فيهما الدول الكبرى الإرادة الشعبية ومبدأ السيادة الشعبية، فإنه سيتضح لنا من خلال ذلك دور هذه الدول في صناعة الوكلاء، وتكريس وجودهم وبقائهم في السلطة، وهذان النموذجان هما: مصر والسودان.

النموذج الأول: مصادرة الدول الكبرى الإرادة الشعبية لشعب مصر :

عقب إطاحة الشعب المصري برئيسه، الذي استمر في السلطة لما يقرب من ثلاثة عقود من الزمن، واختار الشعب بإرادته الحرة المستقلة رئيساً للبلاد، بغض النظر عن توجه هذا الرئيس وسياسته، إلا أن ذلك الاختيار لم يرق للدول الكبرى، التي بادرت ومن خلال العسكر إلى إنجاز انقلاب استولى على السلطة، وعزل الرئيس المنتخب وحاكمه، ورغم إعلان العسكر أن الاستيلاء على السلطة مؤقت[٨٦]، ينتهي باختيار الشعب رئيساً له بالوسائل الديمقراطية، فإن هذا الاستيلاء تحول من استيلاء مؤقت إلى دائم حين رشح قائد الانقلاب نفسه لانتخابات الرئاسة، وفاز بها وبنسبة كبيرة، وفاز بها مرة أخرى في مسرحية انتخابية أُخرى

٨٤- كما هو الحال بالنسبة لمصر وليبيا واليمن.

٨٥- الوضع في سوريا وليبيا حيث تقدم القوى الخارجية مختلف أوجه الدعم للأطراف المتصارعة.

٨٦- جاء في بيان الجيش المصري الذي تلاه عبدالفتاح السيسي وزير الدفاع تعطيل العمل بالدستور مؤقتا، يؤدي رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين الدستورية أمام الجمعية العامة للمحكمة رئيسا للبلاد للمرحلة الانتقالية، وتجرى انتخابات رئاسية مبكرة، ولرئيس المحكمة الدستورية اصدار اعلانات دستورية خلال المرحلة الانتقالية، تشكل لجنة تضم كافة الخبرات لمراجعة التعديلات الدستورية المقترحة، يراجع اعلان الجيش المصري الصادر بتاريخ ٣يوليو ٢٠١٣ لمزيد من التفصيل حول البنود التي تضمنها.

ليحل عملياً محل نظيره العسكري قبل انتخاب الشعب رئيساً مدنياً عقب نجاح ثورته، وليعود بذلك الحال إلى ما كان عليه قبل الثورة، وبتخطيط ومساندة من الدول الكبرى.

النموذج الثاني: مصادرة الدول الكبرى لإرادة الشعب السوداني:

تمكن الشعب السوداني من خلال ثورته الشعبية من فرض إرادته والإطاحة بحاكمه المستبد[٨٧]، غير أن التدخل من جانب الدول الكبرى وأدواتها في الوطن العربي أدى الى مصادرة ثورة الشعب، وجني ثمارها لصالح القوى الكبرى[٨٨]، ورغم التضحيات التي قدمها الشعب السوداني فقد تم إسناد السلطة إلى قادة عسكريين جدد، وبدعم من الدول الكبرى، ليعود بذلك الوضع إلى ما كان عليه قبل ثورة الشعب، الذي عبر فيها عن إرادته في إعلاء مبدأ السيادة الشعبية وتجسيده عمليا.

وبذلك صادر التدخل الخارجي من جانب الدول الكبرى وأدواتها حق الشعب في اختيار حكامه بإراداته المستقلة، وانحصرت نتائج الثورة بذلك التدخل في إزاحة الحكام فقط كتجسيد للإرادة الشعبية أما اختيار حكام جدد فلم يكن للإرادة الشعبية القول الفصل في ذلك، بل إن التدخل الخارجي للدول الكبرى قد حد من فعالية الإرادة الشعبية في إحداث التغيير المنشود، الذي كان هدفاً رئيساً للثورة الشعبية.

ولم يترتب على تدخل الدول الكبرى مصادرة حق الشعب في اختيار حكامه بحرية تامة فقط، بل فرض تدخل الدول الكبرى حكاماً من العسكر، ليعيد النموذج السابق للحكام قبل ثورات الربيع العربي، وبالتأكيد فإن حكام ما بعد ثورة الربيع العربي من العسكر سيكونون أكثر تعطشاً للسلطة وتمسكاً بها وتنفيذا لأجندات القوى الكبرى[٨٩] وسيعملون بشكل يفوق سابقيهم في مصادرة الإرادة الشعبية، وسيظل مبدأ السيادة الشعبية خلال فترة وجودهم في السلطة مجرد حبر على ورق.

المطلب الثالث :وسائل القوى الخارجية في مواجهة ثورات الربيع العربي:

بعد تشجيعها على تفجير الأوضاع داخليا، وإيعازها للحكام بقمع التحركات الشعبية المطالبة بالتغيير السلمي، عملت القوى الخارجية بخبث ودهاء على احتواء ثورات الربيع العربي، لتكون بذلك قد حققت هدفين في آن واحد، أولهما: التخلص من عملائها الحكام العرب، الذين أصبحوا يمثلون عبئا عليها بعد طول بقائهم في السلطة، وثانيهما: الوصول إلى حالة التدمير المنشودة والتمزيق للنسيج الاجتماعي للشعوب

٨٧ – الرئيس عمر البشير .

٨٨ – في مقابل الشطب من قائمة الإرهاب، والتطبيع مع الكيان الصهيوني.

٨٩ – يهرول الحكام الجدد، ويتسابقون إلى ارضاء أسيادهم والمثال الصارخ هو موجة التطبيع مع الكيان الصهيوني.

العربية، وقد شكلت القوى الخارجية محورين مهمتهما مواجهة التحركات الشعبية العربية المطالبة بالتغيير السلمي، المحور الأول السعودي الإماراتي، والمحور الثاني التركي القطري، على أن دور كل من المحورين يختلف عن الآخر، بحيث يتبنى الأول طابعاً قمعياً عنيفاً، في حين يتبنى الثاني طابع الاحتواء[٩٠].

الفرع الأول: محور القمع :

تمثل دور هذا المحور في المواجهة العنيفة المباشرة للتحركات الشعبية وقمعها بمختلف الوسائل، وذلك من خلال الوقوف إلى جانب الحكام ومساندتهم للحفاظ على بقائهم في السلطة، وتوفير كافة مستلزمات القمع، والأموال اللازمة لاستمرار الحكام ممسكين بزمام السلطة في بلدانهم، وعلى رأس هذا المحور السعودية والامارات، فقد كان لهما دور بارز في الأحداث التي شهدتها تونس وليبيا وسوريا ومصر والسودان واليمن، وقد تمكن هذا المحور من قمع الاحتجاجات الشعبية في بعض هذه البلدان من خلال الدعم والمساندة مالياً وعسكرياً وإعلامياً، ومن ثم مصادرة نتائج تلك الاحتجاجات لصالح نسخة جديدة من الحكام التابعين للقوى الخارجية، في حين لم تتمكن من احتواء الاحتجاجات في بلدان أخرى.

الفرع الثاني :محور الاحتواء

أسندت القوى الخارجية إلى هذا المحور مهمة احتواء الحكومات الناتجة عن نجاح الاحتجاجات الشعبية في البلدان العربية، وعلى رأس هذا المحور تركيا وقطر، وتأتي مهمته بعد فشل المحور الأول في قمع الاحتجاجات الشعبية ووأدها في مهدها، ولقد تمكن هذا المحور بالفعل من احتواء الحكومات الناتجة عن الاحتجاجات الشعبية في تونس وليبيا، ولا يزال هذا المحور يعمل في سوريا والسودان إلى جانب المحور السعودي الإماراتي في بعض البلدان العربية التي عجز كل من المحورين عن تحقيق الوظائف المناطة به بمفرده وبتنسيق ورعاية من جانب القوى الخارجية المشغلة للمحورين معا.

ورغم أن المحورين قد عملا معا في اليمن فإن أي منهما لم يتمكن من قمع الاحتجاجات الشعبية والقضاء عليها ومصادرة نتائجها أو احتواء الحكومة الناتجة عنها، فلم يتمكن المحور السعودي الإماراتي من اسناد النظام الحاكم في العاصمة صنعاء، رغم الدعم الكبير الذي قدمته الرياض وأبو ظبي للرئيس الأسبق[٩١]، ولخلفه من بعده[٩٢]، وكان المحور السعودي الإماراتي يعتقد أن تنصيبه لهادي حاكماً موالياً

٩٠ – تعمل اسرائيل من خلف هذين المحورين سواء فيما يتعلق بالقمع أو الاحتواء

٩١ – على عبدالله صالح

٩٢ – عبدربه منصور هادي

وتابعاً لهذا المحور قد مثل نجاحاً له في القضاء على التحرك الشعبي ومصادرة نتائجه، غير أن هذا الاعتقاد سرعان ما تبدد عندما استأنف الشعب اليمني تحركاته الشعبية واحتجاجاته التي أدت إلى اسقاط ترتيبات

المحور السعودي الإماراتي:

وكان الأصل وفقا للدور الوظيفي لكل من المحورين أن يفسح المحور السعودي الإماراتي المجال للمحور التركي القطري لاحتواء حكومة الثورة في العاصمة صنعاء، كما حصل في تونس وليبيا الا أن المحور السعودي الإماراتي ونظراً لخصوصية نجاح الثورة في اليمن قد تجاوز الدور الداعم والمساند للحكام إلى التدخل العسكري المباشر من خلال قيادة وتمويل تحالف دولي شن حرباً عدوانية على اليمن استمرت حتى الان لما يقرب من سبع سنوات.

ومع أن قطر قد انسحبت من تحالف العدوان لتجد لها موطئ قدم تستطيع من خلاله تنفيذ وظيفتها المرسومة لها المتمثلة في الاحتواء لحكومة الثورة في صنعاء، غير أن التوجه المعلن من جانب قيادة الثورة بضرورة انتزاع سيادة اليمن واستقلاله وانهاء كافة مظاهر التبعية والارتهان لأي قوى خارجية، قد جعل من وظيفة المحور التركي القطري غاية في الصعوبة، بل جعلها في حكم المستحيلة.

الفصل الثاني

ثورة اليمن ومبدأ السيادة الشعبية

لم يكن نظام الحكم في اليمن استثناءً من الأنظمة العربية ذات الصبغة الديمقراطية بل يمكن القول إن نظام الحكم في اليمن كان أسوأ حالاً من حيث تكريس مبدأ السيادة الشعبية من الناحية النظرية، ومن حيث تبعية نظام الحكم في اليمن لقوى دولية خارجية، وما ترتب على ذلك من تأثير على مبدأ السيادة الشعبية، ومصادرة إرادة الشعب، وحقه في اختيار حكامه بطريقة ديمقراطية حقيقية، وظل على هذه الحالة لعقود من الزمن.

ولم يكن الشعب اليمني استثناءً من الشعوب العربية التي ثارت على حكامها، ولم تكن أيضاً ثورته الشعبية استثناءً من ثورات الربيع العربي، التي تعرضت للالتفاف عليها ولمصادرة نتائجها لصالح قوى محلية تدين بالولاء والتبعية لقوى أجنبية، بل يمكن القول إن ما تعرضت له ثورة الشعب اليمني يفوق بكثير

ما تعرضت له ثورات بعض الشعوب العربية على أنظمتها الديمقراطية الشكلية، حيث تكالبت قوى دولية وإقليمية ومحلية على ثورة الشعب اليمني لإجهاضها أولاً في مهدها، وللقضاء عليها ثانياً بعد أن تمكنت الثورة من التغلب على كل الصعاب والعقبات والمؤامرات التي حاكتها تلك القوى بهدف إجهاض الثورة لتنتقل تلك القوى الخارجية من مرحلة التآمر على الثورة، إلى مرحلة العمل العسكري المعلن لإسقاط الثورة وما كانت الحرب العدوانية التي شنها تحالف دولي إلا تجسيدا لذلك التآمر والتكالب على الثورة من جانب القوى الخارجية والقوى الداخلية المحلية.

ولمزيد من تسليط الضوء على كل ما سبق سنتناول هذا الفصل في عدد من المباحث، على النحو الآتي:

المبحث الاول:مبدأ السيادة الشعبية في الدساتير اليمنية :

ستكون دراستنا لهذا المبحث في مطلبين نخصص أولهما لمبدأ السيادة الشعبية في الدساتير اليمنية قبل ٢٢ مايو ١٩٩٠ في شمال اليمن وجنوبه ، في حين نخصص المطلب الثاني لدراسة المبدأ في دستور الجمهورية اليمنية، على النحو الآتي:

المطلب الاول:مبدأ السيادة الشعبية في دساتير شمال اليمن وجنوبه:

قبل عام ١٩٩٠م صدرت في شطري اليمن عدد من الدساتير والإعلانات الدستورية، كرس بعضها مبدأ السيادة بشكل صريح، وبعضها اكتفى بإسناد السلطات جميعها إلى الشعب، كما هو الحال بالنسبة للإعلان الدستوري الصادر سنة ١٩٦٢م، الذي نص على أن (جميع السلطات مصدرها الشعب

اليمني[٩٣]، وجاء الدستور المؤقت للجمهورية العربية اليمنية الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٣/١٤م بشكل مغاير حيث ورد فيه ما نصه (الشعب اليمني يحكم نفسه بنفسه وهو مصدر جميع السلطات في الدولة)[٩٤].

ولم يسند الدستور الدائم الأول الصادر سنة ١٩٦٤م السيادة للشعب، بل اسندها للأمة، وذلك بنصه على أن (السيادة للأمة وتكون ممارستها على الوجه المبين في هذا الدستور)[٩٥]، أما الدستور المؤقت الثاني فقد نص على أن (الشعب مصدر السلطات جميعاً ويزاول سلطاته على طريق نوابه في مجلس الشورى)[٩٦]، وذات النص ورد في الدستور المؤقت الثالث الصادر سنة ١٩٦٧م، الذي نص على أن (الشعب مصدر السلطات جميعاً، ويزاول سلطاته عن طريق نوابه في مجلس الشورى)[٩٧]، في حين أختزل الدستور الدائم الثاني الصادر سنة ١٩٧٠م العبارات السابقة وأوجزها في ثلاث كلمات بنصه وبشكل عام على أن "الشعب مصدر السلطات[٩٨].

وأغفل الدستور الصادر في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٠م الإشارة إلى مبدأ السيادة الشعبية ضمن المبادئ العامة، واكتفى بالنص في المادة الأولى على أن (.... جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة)[٩٩] في حين ذهب الدستور المعدل الصادر في جنوب الوطن سنة ١٩٧٨م مذهباً مغايراً تماماً لما ذهبت إليه الدساتير والإعلانات الدستورية السابقة، فلم يغفل مبدأ السيادة الشعبية فحسب، بل اسندها إلى الحزب الاشتراكي اليمني بنصه على أن (الحزب الاشتراكي اليمني المتسلح بنظرية الاشتراكية العلمية هو القائد، والموجه للمجتمع والدولة، وهو الذي يحدد الأفق العام لتطور المجتمع وخط السياسية الداخلية والخارجية للدولة)[١٠٠] ونص كذلك على أن (يمارس الشعب العامل كل السلطة والسياسية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية)[١٠١].

٩٣- المادة (٢) من الإعلان الدستوري .

٩٤-المادة (٢) من الدستور.

٩٥- المادة (٢) من الدستور الدائم الأول.

٩٦- المادة (٢) من هذا الدستور.

٩٧- المادة (٢) من هذا الدستور.

٩٨- المادة (٤) من هذا الدستور.

٩٩- المادة (١) من الدستور

١٠٠ - المادة(٢) من الدستور المعدل سنة ١٩٧٨.

١٠١ -المادة (٦) من الدستور.

ومما سبق يتضح أن تكريس مبدأ السيادة الشعبية في الوثائق الدستورية في اليمن قبل مايو ١٩٩٠ أو إغفال هذا المبدأ لم يكن في حقيقته دالاً على توجه قائم لدى السلطات في شطري اليمن على إقامة أي اعتبار للإرادة الشعبية من خلال تجسيد وتكريس مبدأ السيادة الشعبية وإسناد حق اختيار الحكام إلى الشعب بإرادته الحرة، فقد كانت الدساتير تصدر وتعدل وتتغير في أوقات متقاربة جداً، أو تعطل وتفعل بدلاً عنها إعلانات دستورية.

والمؤكد أن تلك المرحلة التي صدرت فيها الدساتير والإعلانات الدستورية في شطري اليمن لم تكن مرحلة سيادة شعبية، وإنما مرحلة سيادة فردية وفي أحسن الأحوال مرحلة سيادة حزبية، كما هو الحال بالنسبة لدستور جنوب اليمن الذي أسند للحزب الاشتراكي اليمني قيادة الدولة والمجتمع، وتحديد أفق التطور، وإن نص على أن الشعب هو من يمارس السلطة؛ إلا أن ذلك لا يغير من الحقيقة الماثلة على أرض الواقع، وهي أن السيادة الحقيقية للحزب بل لقيادات الحزب، وتحديداً لرئيس الحزب، والوضع في شطري اليمن لا يختلف إلا من ناحية لفظية فحسب.

المطلب الثاني: مبدأ السيادة الشعبية في دستور دولة الوحدة:

إذا كان ما سبق يجسد موقف نظامي الحكم في كل من شطري اليمن من موضوع السيادة الشعبية فإن هذا الوضع لم يتغير بعد تحقيق الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، خصوصاً أن الوحدة الاندماجية قد ترتب عليها إلغاء دستوري نظامي الشطرين اللذين كانا يمثلان نظامين شموليين، وإن كرسا في النصوص الدستورية عبارات تؤكد صراحة أو ضمناً مبدأ السيادة الشعبية.

ولم يكن أي من النظامين يتجه فعلاً لإسناد حق اختيار الحكام إلى الشعب بإرادته الحرة المنفردة، ومع كل ذلك انسحب الوضع السابق في دستوري النظامين إلى الوضع الجديد في دستور دولة الوحدة الصادر سنة ١٩٩٠م، حيث تضمن هذا الدستور فيما يتعلق بموضوع السيادة الشعبية النص على أن (الشعب مالك السلطة ومصدرها، ويمارسها بشكل مباشر عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة، كما يزاولها بطريقة غير مباشرة عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية وعن طريق المجالس المحلية المنتخبة)[١٠٢].

وعقب الحرب بين شريكي الوحدة حزب المؤتمر الشعبي العام وحلفائه والحزب الاشتراكي اليمني وحلفائه، وانتهاء تلك الحرب بخروج الحزب الاشتراكي من السلطة، وتولي الطرف الآخر تعديل الدستور بما يكفل

١٠٢ – المادة (٤) من هذا الدستور.

تكريس مكاسبه في الحرب، غير أنه لم يتعرض للنص الوارد في المادة الرابعة، وتم نقل المادة برقمها وصيغتها وألفاظها كما هي[١٠٣]، وكذلك الحال لم يمس تعديل ٢٠٠١م المادة السابقة، فقد ظلت كما هي برقمها وصيغتها وألفاظها[١٠٤].

والملاحظ أنه ورغم أن هذا الدستور قد حدد في صيغته الأولى مدة رئاسة الجمهورية بدورة واحدة مدتها خمس سنوات، فإن اندلاع الحرب بين شريكي السلطة قد حجب موقفهما من مدى احترام النص الدستوري؛ إلا أن ما بعد حرب ١٩٩٤م قد أفصح على الأقل عن موقف الطرف المنتصر في الحرب من احترام مبدأ السيادة الشعبية، ففي الوقت الذي قضى التعديل الدستوري لسنة ١٩٩٤م بتحديد مدة ولاية رئيس الدولة بدورتين كل منها خمس سنوات، وقبل أن تنتهي مدة الدورة الثانية تم تعديل الدستور فيما يتعلق بمدة الرئاسة، حيث تم مدها من خمس سنوات إلى سبع سنوات ولدورتين متتاليتين[١٠٥].

بذلك يتضح أن الشعب ليس مالكاً للسلطة، وليس مصدراً لها كما وردت ذلك المادة (٤) من الدستور في صيغته الأولى والمعدلة عامي ١٩٩٤م، ٢٠٠١م، وأن إرادة الشعب لم تحترم في الاختيار، وأصبح الزعيم هو الضرورة، وهو الحزب والحزب هو، وهو مالك السلطة وهو مصدرها، ويؤكد ذلك تمسكه بها، ورفضه التخلي عنها، واستعداده إبادة الشعب في سبيلها، بعد أن طالبه بالرحيل عنها في ثورته الربيعية العربية[١٠٦].

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة على حق الشعب اليمني في فرض سيادته الشعبية:

خلال العقود الستة الماضية رهن القائمون على نظام الحكم في اليمن الإرادة الشعبية اليمنية بيد قوى أجنبية، بل إن هؤلاء الحكام كانوا تابعين ووكلاء لتلك القوى، يعملون على تحقيق مصالحها في اليمن على

١٠٣ – المادة (٤) من الدستور المعدل عام ١٩٩٤م نصت على أن (الشعب مالك السلطة ومصدرها ، ويمارسها بشكل مباشر عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة ، كما يزاولها بطريق فير مباشر عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وعن طريق المجالس المحلية).

١٠٤ – المادة (٤) من الدستور المعدل عام ٢٠٠١ نصت على أن (الشعب مالك السلطة ومصدرها ، ويمارسها بشكل مباشر عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة ، كما يزاولها بطريق فير مباشر عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وعن طريق المجالس المحلية).

١٠٥ – فرنسا تم تخفيضها من سبع إلى خمس، وهو عكس ما حدث في تعديل ٢٠٠١، حيث تم رفع المدة من خمس إلى سبع سنوات.

١٠٦ – أول مطالب ثورة الشباب إسقاط النظام القائم بكل رموزه ، وعزل جميع المقربين من الرئيس واسرته من المراكز القيادية في المؤسسة العسكرية والمدنية، ينظر وثيقة مطالب ثورة الشباب الصادرة عن المجلس التنسيقي لشباب ثورة التغيير، بتاريخ ٧ أبريل ٢٠١١.

حساب مصلحة الشعب اليمني، الذي ظل عاجزاً لعقود من الزمن عن الدفاع عن مصالحه وانتزاعها من بين فكي حكامه الذين قدموا الشعب ومصالحه لقمة سائغة للقوى الأجنبية.

ورغم تبنِّي نظام الحكم في اليمن للديمقراطية والتعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة[١٠٧] منذ ١٩٩٠م فإن ذلك لم يكن سوى وهم وسراب، إضافة إلى أن الشعب اليمني ابتلى بحاكم عسكري سامه سوء العذاب لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن، مستخدماً أبشع وسائل القمع والتجويع للشعب ليظل الشعب في حالة عجز عن القيام بالدفاع عن حقوقه ومصالحه في مواجهة نظام حكم يزعم الديمقراطية، ويروج لها زيفاً وتضليلاً، في حين أن القائم على رأس ذلك النظام حاكم عسكري يدين بالولاء والتبعية لقوى أجنبية تفرض من خلاله وصايتها على الشعب واختياراته في جميع المجالات.

ومع كل ذلك أصر الشعب اليمني على انتزاع حقه في السيادة على أرضه ورفض الوصاية والارتهان للقوى الخارجية، رغم إدراكه أن ثمن ذلك سيكون باهظاً جدا، فإن ذلك لم يثنِ الشعب اليمني عن المضي نحو تحقيق غايته مستعدا لدفع ثمنها، فواجه النظام الحاكم بكل عزيمة وإصرار رغم إسراف ذلك النظام المجرم في سفك الدماء، ورغم التأمر الداخلي والخارجي على الثورة الشعبية، فإنها واجهت كل الصعوبات والتحديات الداخلية والخارجية، ولمزيد من التفصيل لما سبق ستكون دراستنا لهذا المبحث في عدد من المطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول:التدخلات الخارجية في الشؤون اليمنية:

اتخذ التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للشعب اليمني عدداً من المظاهر، أبرزها البعثات العسكرية، والقروض والهبات والمنح والمساعدات العسكرية والأمنية[١٠٨]، وغيرها من المساعدات في الجوانب الزراعية والصناعية والثقافية، وبطبيعة الحال فإن المساعدات بجميع مظاهرها موجهة لخدمة الدول المتدخلة، وتهدف أساساً إلى تدمير البديل المحلي لهذه المساعدة، لتظل الدولة المتلقية للمساعدة مرتهنة للدولة المقدمة لهذه المساعدات، كما هو الحال بالنسبة للوكالة الأمريكية للتنمية[١٠٩]، وما لعبته من دور تدميري في المجال

١٠٧ – المادة الخامسة من الدستور تنص على أن (يقوم النظام السياسي في للجمهورية على أساس التعددية السياسية والحزبية بهدف تداول السلطة سلميا، وينظم القانون الاحكام والاجراءات الخاصة بتكوين التنظيمات والاحزاب السياسية، وممارسة النشاط السياسي، ولا يجوز تسخير الوظيفة العامة أو المال العام لمصلحة خاصة بحزب أو تنظيم سياسي).

١٠٨ – تم انشاء جهاز الأمن القومي بناء على توجيهات امريكية، وكان المبرر أن جهاز الامن السياسي مخترق من القوى الارهابية ولا بد من ثم من انشاء جهاز مخابرات بمواصفات ومعايير خاصة، وقد جاء ضمن مطالب شباب الثورة الغاء جهازي الأمن السياسي والقومي، واستبدالهما بجهاز جديد يتم دمجهما فيه، وأكدت على ذلك مخرجات مؤتمر الحوار الوطني.

١٠٩ – كان مقر الوكالة الأمريكية للتنمية في العاصمة صنعاء، وكان تركيز هذه الوكالة على منع أي توجه نحو زراعة المحاصيل الاستراتيجية في المناطق الواعدة بزراعة هذه المحاصيل، كما هو الحال بالنسبة لمحافظة الجوف ومنطقة تهامة التي انشئت فيها =

الزراعي في اليمن من خلال هيئة تطوير تهامة التي تعد في حقيقتها هيئة لتدمير تهامة.

وكذلك بالنسبة للمجالات الأخرى الأمنية والعسكرية، وأكثر من ذلك ينطبق على تدخل النظام السعودي في الشأن اليمني، الذي أستخدم المساعدات الاقتصادية وسيلة لهذا التدخل، بل إن هذا التدخل لم يقتصر على الجانب الرسمي حيث تعداه إلى الجانب الاجتماعي بتخصيص مرتبات شهرية من اللجنة الخاصة التابعة لمجلس الوزراء السعودي، التي ضمت الآلاف من وجهاء القبائل وكذلك كبار موظفي الدولة مدنيين وعسكريين.

وبهذا التدخل تمكنت السعودية ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية من العبث بأخص خصوصيات الشعب اليمني، وكانت بهذا التدخل تستطيع أن تفرض أي موظف عام يروق لها في مستويات السلطة العامة ذات الأهمية، أو تمنع من لا يروق لها في أي مستوى من مستويات السطلة العامة للدولة، وتمكنت بهذا التدخل من إثارة اشكاليات في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث بإمكانها وبمجرد إشارة إلى أدواتها تحريك الأوضاع بالاتجاه الذي تريد، بل إن رئيس الدولة كان يعلن أثناء حروب صعدة أنه شن هذه الحروب – رغم أنها ضد أبناء شعبه- حماية للمملكة العربية السعودية[١١٠].

وحين طرد الشعب اليمني في ثورته في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م عملاء السعودية، سواءً من كان في السلطة أم المعارضة، كانت السعودية هي الحضن الدافئ الذي ارتموا جميعهم فيه، ولم يختلف الأمر في ذلك بين مدنيين وعسكريين[١١١]، بين إسلاميين وقوميين[١١٢]، وحين أعلنت السعودية تحالفها العدواني ضد اليمن كان أولئك الذين ارتموا في حضنها جزءاً من جيشها البري، يقاتلون في صفوفها ضد وطنهم وأبناء شعبهم.

ولا شك أن تدخل السعودية ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية في الشأن الداخلي اليمني قد أدى إلى التأثير سلباً على الإرادة الشعبية لأبناء الشعب اليمني، وأهدر مبدأ السيادة الشعبية وحق الشعب في اختيار حكامه بإرادته الحرة، ولعل التجويع الذي اتبعه القائمون على نظام الحكم بحق الشعب اليمني وبدعم من النظام السعودي ومن ورائه الولايات المتحدة الأمريكية كان له أبلغ الأثر في انصراف السواد الأعظم من أبناء الشعب اليمني لانتظار ما يأتي من مساعدات من السعودية والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من

الهيئة العامة لتطوير تهامة بمحافظ الحديدة، والتي نفذت سياسة تدمير وليس تطوير لتهامة خدمة للتوجهات الأمريكية.

١١٠- صرح الرئيس الأسبق علي عبدالله صالح في غير مرة أثناء حروب صعدة أنه إنما يدافع عن الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية، وكان دافعه لمثل هذه التصريحات الابتزاز واستدرار المزيد من أوجه الدعم المقدم من السعودية، مقابل الحروب العدوانية التي شنها على أبناء محافظة صعدة وغيرها من المحافظات المجاورة.

١١١- على رأس العسكريين الجنرال على محسن، وعلى رأس المدنيين الرئيس المنتهية ولايته غير الشرعية عبد ربه منصور.

١١٢ – قيادات الاحزاب الاشتراكية والناصرية والبعثية ، والسلفية والاخوانية.

الدول الغربية، دون انشغال بالجوانب السياسية، وإن كان لهذه الجوانب أي نصيب من وقت أبناء الشعب اليمني فينصب على ما يخدم توجهات وكلاء السعودية وسياساتها في اليمن.

المطلب الثاني: الحاكم العسكري:

ابتلي اليمن منذ بداية الستينات من القرن الماضي بحكام عسكريين تعاقبوا على رئاسة الدولة حتى منتصف العقد الثاني من القرن الحالي[١١٣]، ولم يكن أغلب هؤلاء الحكام يحظى بقدر من التعليم والمعرفة الواجب توافرها فيمن يشغل منصب رئاسة الدولة، وبسبب ذلك فقد ظلت البلاد في حالة تخلف في مختلف المجالات، واهتم الحكام بشؤونهم الخاصة فحسب، وتنمية ممتلكاتهم وأموالهم في الداخل والخارج، التي تعد من حيث الأساس أموال الشعب، بل إن بعضهم لم يكتف بسياسة التجويع والإفقار للشعب حيث عمد إلى إثارة الصراعات والاقتتال الداخلي ودعم أطرافه بالمال والسلاح[١١٤]، وأمسك بيده الخيوط المحركة لتلك الأحداث المؤسفة بين القبائل في مختلف مناطق اليمن، لإشغالها بالصراعات البينية، ويتفرغ هو لنهب ثروات الشعب، كما هو الحال بالنسبة لصفقات النفط والغاز[١١٥]' وإهدار الثروات المعدنية الأخرى، وتركها نهباً مباحاً للنافذين من حاشيته[١١٦].

ولإحكام السيطرة المطلقة وزع الرئيس أصناف القوات المسلحة على أسرته، فالحرس الجمهوري من نصيب نجله الأكبر[١١٧]، وأكبر فرقة عسكرية كانت من نصيب أخيه(١١٨)، والطيران من نصيب أخيه

١١٣- الرئيس السلال، والرئيس الحمدي، والرئيس الغشمي، والرئيس صالح، والرئيس هادي جميعهم عسكريين بغض النظر عن جهود بعضهم في خدمة البلاد، غير أنها ظلت ترزح لعقود من الزمن تحت حكم العسكر، وحتى بعد الثورة ورغم شغل المنصب من جانب مدنيين فإن عقلية بقايا نظام العسكر فرضت على البعض أن يكون عسكريا، وأصرت على تقليده أعلى الرتب العسكرية، رغم أنه لم يكن في يوم من الايام عسكريا ولا التحق بكلية عسكرية .

١١٤- من أجل استمرار بقائه في سدة الحكم اعتمد الرئيس الاسبق علي عبدالله صالح سياسة زرع بذور النزعات بين مختلف مكونات المجتمع اليمني، وعمل على تمويل تلك النزعات من المال العام لتصل في نهاية المطاف إلى صراعات دامية اعتقادا منه أن انشغال مكونات المجتمع اليمني بالصراعات البينية سيوفر له ولأولاده وأحفاده الهدوء اللازم لاستكمال ترتيبات الاستيلاء على سلطة الدولة والمال العام.

١١٥- وصل الأمر إلى بيع قطاعات نفطية وبيع الثروة الغازية بسعر بخس مقارنة بالأسعار العالمية لهذه المادة.

١١٦-عمل أفراد أسرته واقاربه وحاشيته على تأسيس شركات خدمات نفطية وتسويق للنفط، كما هو الحال بالنسبة لشركة اركاديا، وكذلك شركات لاستخراج المعادن، وان كانت هذه الشركات مؤسسة في دول أجنبية، ولم يكن هناك أي نسبة مشاركة في الانتاج للدولة.

١١٧- احمد على عبدالله صالح الذي كان ممسكا بقيادة الحرس الجمهوري للسيطرة العسكرية واحتياطا شغل منصب عضوا =

الآخر[١١٩]، ومناطق وفرق وألوية أخرى كانت من نصيب أقاربه[١٢٠]، وذات الأمر ينطبق على أجهزة الأمن، فكان الأمن المركزي من نصيب أخيه[١٢١]، والأمن القومي من نصيب أبن أخيه[١٢٢]، وكذلك الحال بالنسبة لغيرها من المناصب.

ولم يكتف بذلك بل اتجه كل هؤلاء الذين يشغلون مناصب عليا في الدولة إلى الاستثمار في مختلف المجالات[١٢٣]، ولم يتركوا للشعب حتى سيارات التكسي، التي أنشؤوا شركات تستثمر فيها[١٢٤]، وبذلك ظل الشعب اليمني يتجرع الجوع ويكابد الصعاب لتوفير لقمة العيش، ولم يعد الشعب معنياً أبداً بحقه في اختيار من يحكمه تجسيداً لمبدأ الإرادة الشعبية، فلقد عمل العسكر بكل جهدهم على مصادرة حقوق الشعب لصالح فئة قليلة من النافذين المنتفعين المقربين من الحاكم، الذين عملوا ليلاً ونهاراً على تكريس وجود هذا الحاكم في السلطة، وروجوا لتوريثها لأولاده وأحفاده من بعده.

ولم ينفك الحاكم العسكري عن السلطة باختياره، بل كان يعلن زهده في السلطة فيخرج النافذون الأتباع ليروجوا للمخاطر التي تهدد الشعب في حال ترك الحاكم العسكري الزعيم للسلطة، ويتمكنون من التضليل على فئات وقطاعات واسعة من أبناء الشعب، ويخرجوهم في مسيرات كبيرة مطالبة باستمرار الحاكم العسكري الزعيم في السلطة، وتُرفع في المسيرات لافتات تدعو الحاكم إلى عدم التخلي عن الشعب، والصبر على تحمل العناء من أجله، من خلال الاستمرار في السلطة فيعلن الحاكم العسكري الزعيم قبوله البقاء في السلطة مكرها، نزولاً عند رغبة الشعب.

وهكذا تبدأ دورات رئاسته جديدة فيها من النهب والعبث بمقدرات الشعب مالا يتسع الحديث والصفحات لسرده وذكره، وبهذه الأساليب التضليلية المخادعة ظل الشعب لعقود يرزح تحت نير الفقر والحرمان والتضليل والخداع ويتجرع المرارة وحاكمه يعبث بثرواته وخيراته ومقدراته.

مجلس النواب فيما لو كان ثمة توجه بإسناد منصب رئاسة الدولة الى شخص مدني .

١١٨- الجنرال محسن صالح الاحمر.

١١٩- محمد صالح الاحمر وأخرين..

١٢٠- الجنرال مهدي مقولة ومحمد اسماعيل.

١٢١- محمد عبدالله صالح.

١٢٢- عمار محمد عبدالله صالح.

١٢٣ - النفطية والعقارية والتجارية والزراعية والنقل والمواصلات والاتصالات وغيرها من المجالات.

١٢٤- شركة تكسي العاصمة التي نافست سائقي سيارات الاجرة.

ورغم أن ثورة اليمن في ١١ فبراير ٢٠١١م قد أثمرت إزاحة الحاكم العسكري من منصب رئاسة الدولة فإنه ظل يحن للعودة إلى سدة الحكم بكل الأساليب والوسائل، وكان كل أنصاره وأعوانه لا يزالون في مفاصل حساسة في السلطة عسكرية ومدنية، لكنه لم يكتفِ بذلك، وظل يتوق للعودة إلى السلطة بأي ثمن، حتى لقي حتفه عقب إعلانه صراحة الوقوف إلى جانب العدوان وطلبه من أبناء الجيش واللجان الشعبية إلقاء السلاح والاستسلام.

المطلب الثالث:إصرار الشعب اليمني على انتزاع حقه في السيادة الشعبية:

تفاعل الشعب اليمني مع ثورات الربيع العربي وخرج إلى الساحات والميادين العامة، معليا شأن مبدأ السيادة مطالباً الحاكم العسكري الزعيم بالرحيل عن السلطة، وتسليمها لحكومة مدنية فكانت هذه المطالب الشعبية في وقعها على الحاكم كالصاعقة، وكان يعتبر المطالبة بتنحيه عن السلطة ومغادرتها بمثابة كفر الشعب بنعمة أنعمها الله عليه، وهي وجود واستمرار وجود الحاكم العسكري الزعيم في سدة الحكم، وقد لجأ إلى تأديب الشعب بوسائل متعددة منها صناعة الأزمات واخفاء السلع والمستلزمات المعيشية، لكن الشعب لم يقم أي اعتبار لكل أساليب العقاب والتي من بينها القتل والاخفاء، وغيرها من الوسائل.

واستمرت الاحتجاجات السلمية والاعتصامات في الساحات والميادين العامة في مختلف محافظات الجمهورية، وقد أثمرت الضغوط الشعبية، وضيقت الخناق على الحاكم العسكري الزعيم، الذي استنجد بالقوى الاجنبية لإنقاذه، ولم يتوان الخارج في التدخل لإنقاذ تابع مخلص من اتباعه، وتم بالفعل الالتفاف على الثورة الشعبية ومصادرتها من خلال ما عرف بالمبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية[١٢٥]، وحين أدرك الشعب خطورة مصادرة ثورته واصل مسيرة الثورة، واسقط المؤامرات الخارجية على ثورته ولم تكن القوى الخارجية لتقبل بتحرر الشعب اليمني والتخلص من التبعية للقوى الأجنبية، فأعلنت حرباً عدوانية على الشعب اليمني في ٢٦ مارس ٢٠١٥م، ولتستمر هذه الحرب لما يقرب من ست سنوات، وهدفها كسر إرادة الشعب اليمني، وإعادته إلى عباءة التبيعة للقوى الأجنبية.

١٢٥ – جاءت المبادرة الخليجية لإنقاذ عملاء السعودية في السلطة والمعارضة من تفاقم حالة الصراع المحموم بينهم على المال العام ومناصب السلطة العامة، حيث تضمنت المبادرة الخليجية إعادة صياغة معادلة التقاسم بين الطرفين، التي نتج عنها تشكيل حكومة الوفاق الوطني، التي وزعت المناصب في مستوياتها العليا بين العملاء بالتساوي .

ولتسليط الضوء على ما سبق سنتناول هذا المطلب في عدد من الفروع، على نحو الآتي:

الفرع الأول: الاحتجاجات الشعبية السليمة :

انطلقت الاحتجاجات الشعبية السلمية في ١١فبراير ٢٠١١ مطالبة رأس السلطة الحاكم العسكري أو ما عرف بالزعيم بالتنحي ومغادرة منصبه، ليتسنى للشعب اختيار حكومة مدنية تدير الشأن العام باسم الشعب ولحسابه، فكان وقع هذه المطالب وكما ذكرنا آنفاً على الحاكم كالصاعقة[١٢٦]، وكون الربيع العربي كان يجتاح أغلب الأنظمة الديمقراطية العربية الشكلية وأسقط القائمين عليها فأدرك الحاكم العسكري أن مصيره المحتوم لن يختلف عن مصير نظرائه، غير أنه قاوم بخبث ودهاء، وحاول بالترغيب والترهيب إفشال الاحتجاجات الشعبية الثورية، التي تحولت إلى اعتصامات مفتوحة في الميادين والساحات العامة[١٢٧].

وبعد استنجاده بالقوى الخارجية التي القت له طوق النجاة، والذي تمثل في المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية وآليتها التنفيذية، وتضمنت هذه المبادرة تنحي الرئيس عن السلطة وتسليمها لنائبه[١٢٨]، وعلى أن يصدر مجلس النواب قانوناً يحصن الرئيس ومن عمل معه خلال فترة رئاسته من الملاحقة الجنائية[١٢٩]، وتم كل ذلك بالفعل واستلم نائب الرئيس السلطة، وجرت عقب ذلك مسرحية انتخابية هزيلة بمرشح واحد، تم فيها انتخاب نائب الرئيس رئيساً للبلاد لمدة عامين وفقاً للمبادرة الخليجية[١٣٠]، التي خالفت الدستور

١٢٦ – تضمنت وثيقة مطالب الثورة الشبابية الشعبية ثلاثة عشر مطلبا أولها تنحي الرئيس وإزاحة أقاربه من مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية.

١٢٧ – ثلاثة عوامل دخيلة على الاحتجاجات الثورية مثلت انتكاسة للثورة، هي: العامل العسكري والعامل القبلي والعامل السياسي، وكلها مرتبطة ببعضها، وهدفها احتواء ومصادرة نتائجها لصالح هذه العوامل.

١٢٨– نص البند الرابع من المبادرة الخليجية على أن (في اليوم الثلاثين من بداية الاتفاق وبعد إقرار مجلس النواب بما فيه المعارضة لقانون الضمانات يقدم الرئيس استقالته إلى مجلس النواب ويصبح نائب الرئيس هو الرئيس الشرعي بالإنابة بعد مصادقة مجلس النواب على استقالة الرئيس).

١٢٩– نصت المادة (١) من القانون رقم ١لسنة ٢٠١٢ بشان منح حصانة من الملاحقة القانونية والقضائية على أن (يمنح الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية الحصانة التامة من الملاحقة القانونية والقضائية).

ونصت المادة (٢) من ذات القانون على أن (تنطبق الحصانة من الملاحقة القانونية والقضائية على المسؤولين الذين عملوا مع الرئيس في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والأمنية فيما يتصل بأعمال ذات دوافع سياسية قاموا بها أثناء أدائهم لمهامهم الرسمية، ولا ينطبق ذلك على أعمال الارهاب).

١٣٠– نص البند خامسا من المبادرة الخليجية على أن(يدعو الرئيس بالإنابة إلى انتخابات رئاسية في غضون ستين يوماً بموجب الدستور).

والقوانين النافذة، وكان لها العلو عليها[١٣١].

وبهذه الخطوة تم مصادرة الثورة الشعبية[١٣٢]، خصوصاً بعد تشكيل حكومة تم فيها تمثيل القوى السياسية التي أيدت الاحتجاجات الشعبية، وتم فعلاً إفراغ الاحتجاجات الثورية من محتواها، وإدخال الشعب في متاهة كبيرة، بعد رفع الاعتصامات، تمثلت في تشكيل مؤتمر للحوار الوطني بإشراف دول الخليج، وما سمي بالدول الراعية[١٣٣]، لينتهي هذا المؤتمر بمقترحات لتقسيم البلاد إلى ستة أقاليم وهي مكونات الدولة الفيدرالية الجديدة على أنقاض الدولة البسيطة الموحدة القائمة[١٣٤]، وتم تشكيل لجنة[١٣٥]، لصياغة دستور للدولة الاتحادية[١٣٦].

١٣١- نص البند رقم ٨ من الألية التنفيذية للمبادرة الخليجية على أن (يكون اتخاذ القرارات في مجلس النواب خلال المرحلتين الأولى والثانية بالتوافق، وفي حال تعذر التوصل إلى توافق حول أي موضوع يقوم رئيس مجلس النواب برفع الأمر إلى نائب الرئيس في المرحلة الأولى وإلى الرئيس في المرحلة الثانية الذي يفصل في الأمر ويكون ما يقرره ملزماً للطرفين).

ونص البند ١٢ منها على أن (تتخذ حكومة الوفاق الوطني قراراتها بتوافق الآراء، وإذا لم يكن التوافق الكامل موجوداً بشأن أي قضية يتشاور رئيس الوزراء ونائب الرئيس أو الرئيس عقب الانتخابات الرئاسية المبكرة للتوصل إلى توافق، وفي حال تعذر التوافق بينهما يتخذ نائب الرئيس أو الرئيس عقب الانتخابات الرئاسية المبكرة القرار النهائي).

١٣٢ – علي شرف المحطوري ، ثورة ٢١ سبتمبر اسقطت وصاية، دار المسيرة ، للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الاولى ٢٠٢١ ص ٥٣ وما بعدها.

١٣٣ – نص البند عاشرا من المبادرة الخليجية على أن (تكون دول مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوربي وروسيا الاتحادية شهودا على تنفيذ هذا الاتفاق).

ونص البند ٢٨ من الألية التنفيذية للمبادرة الخليجية على أن (ضماناً للتنفيذ الفعال لهذه الآلية، يدعو الطرفان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومجلس الأمن الدولي إلى دعم تنفيذها ويطلبان دعم دول مجلس التعاون الخليجي والدول دائمة العضوية في مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي ودول الاعضاء في تنفيذ المبادرة الخليجية وهذه الآلية).

ونص البند ٣٠ من الألية على أن (يحضر التوقيع الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي والأمين العام للأمم المتحدة أو من يمثلهم وممثلو دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وممثلو الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي والجامعة العربي)ة

١٣٤- الجمهورية اليمنية دولة بسيطة موحدة دستورها واحد وقوانينها واحدة موحدة وسلطاتها واحدة تشريعية وتنفيذية وقضائية.

١٣٥ – صدر بتشكيل لجنة صياغة الدستور قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧ لسنة ٢٠١٤.

١٣٦ – نصت المادة (٢) من قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦لسنة ٢٠١٤ بشأن تحديد آلية عمل لجنة صياغة الدستور على أن (يجب أن تفضي عملية صياغة الدستور إلى إعداد دستور جديد للجمهورية اليمنية كدولة اتحادية مؤلفة من ستة أقاليم =

وأدرك قطاع كبير من الشعب أن الثورة الشعبية قد تم الالتفاف عليها ومصادرتها[١٣٧] فاستعاد الثوار زمام المبادرة وعادت الاحتجاجات من جديد والاعتصامات المنادية بتطبيق مطالب الثورة الشعبية[١٣٨]، غير أن هذه الاحتجاجات تم مواجهتها من جانب الحكومة الجديدة بشتى أساليب العنف[١٣٩]، بهدف قمعها واسكاتها، إلا أن هذه الاحتجاجات ازدادت قوة واتساعاً، وتحولت إلى اعتصامات أغلقت الساحات والميادين العامة وأجبرت الحكومة على التوقيع مع قيادة الثورة على اتفاق السلم والشراكة[١٤٠]، الذي تضمن تصويب مسار الثورة الشعبية وتطبيق مطالبها.

وكان هذا التوقيع من جانب الحكومة القائمة هدفه امتصاص الغضب الشعبي ورفع الاعتصامات من الساحات والميادين العامة، حيث اتضح عقب ذلك تراجع الحكومة عن تطبيق بنود الاتفاق[١٤١] فكان الشعب حاضراً للرد على هذه الخطوة، وسنتعرف على مظاهر الرد الشعبي من خلال الفرع الثاني:

الفرع الثاني: العودة لمسار الثورة الشعبية:

استمرت الحكومة التوافقية في مسار الخداع والتضليل عقب توقيع اتفاق السلم والشراكة مع قيادة الثورة، وسارت الحكومة في طريق التنصل عن مضامين اتفاق السلم والشراكة الذي وقعته مع قيادة الثورة، وعملت

وفقا لقرار لجنة تحديد الاقاليم).

١٣٧ – لم يقتصر التآمر على الثورة من جانب أطراف السلطة بل جرى التبرير لذلك التآمر من جانب من علماء السلطة من سموا أنفسهم علماء اليمن حيث ورد في ذلك ...كما اقترح علماء اليمن في بيانات سابقة لهم إقامة حكومة وحدة وطنية مؤقتة بالتوافق تتوزع فيها الحقائب الوزارية السيادية بين الحزب الحاكم والمعارضة)، لمزيد من التفصيل ينظر بيان علماء اليمن بشأن الواجب تجاه البلاد والعباد الصادر بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٣٣هجرية الموافق ٢٠١١/١٢/٢٤م ص ٤ وما بعده.

١٣٨ – تم نصب مخيمات الثورة في شارع المطار واستمرت الاحتجاجات الثورية تتصاعد ما أدى إلى تصاعد حالة القلق والإرباك في صفوف حكومة الائتلاف المكونة من أدوات النظام السابق ذاته، سواء من انضم إلى الاحتجاجات الثورية وانقلب عليها أو من استمر في مواجهة تلك الاحتجاجات.

١٣٩ – كانت مذبحتا مجلس الوزراء والأمن القومي من أبشع المذابح التي ارتكبتها حكومة الائتلاف بحق المحتجين ولم يترتب على تلك المذبحتين تراجع المحتجين بل إن وتيرة الاحتجاجات ازدادت بشكل كبير، وتصاعدت بشكل متسارع وكان لتلك المذبحتين أثرهما الواضح في التعجيل بتحول الاحتجاجات إلى ثورة جرفت عملاء القوى الخارجية .

١٤٠– نص البند العاشر من اتفاق السلم والشراكة الوطنية على أن (تعمل الهيئة الوطنية عبر الاشراف على لجنة صياغة الدستور ضمن قضايا أُخرى على معالجة قضية شكل الدولة بطريقة تلتزم مخرجات مؤتمر الحوار الوطني الشامل، ينظر نص الاتفاق في صحيفة الثورة العدد ١٨٢٠٤بتاريخ ٢٧ذو القعده١٤٣٥ الموافق ٢٢سبتمبر ٢٠١٤.

١٤١ – تحديدا ما يتعلق بالجانب الامني والاقتصادي

على فرض تقسيم البلاد كأمر واقع، رغم قبولها بإعادة النظر في موضوع الأقاليم[١٤٢]،غير أنها وبشكل منفرد وبعيداً عن القوى الثورية ذهبت باتجاه فرض مشروع التقسيم على أرض الواقع، فكان رد الفعل الشعبي قوياً نتج عنه استقالة الحكومة[١٤٣]، ورئيس الدولة[١٤٤]، وكانت الاستقالة المتزامنة بمثابة خطة شيطانية هدفها احداث حالة انهيار لمؤسسات الدولة، وتحميل قيادة الثورة مسؤولية الانهيار، وما ينتج عنه من فوضى عارمة وأعمال عنف وسلب ونهب، غير أن هذا المخطط لم يكتب له النجاح حيث تمكنت قيادة الثورة من السيطرة على الأوضاع، وحماية مؤسسات الدولة من الانهيار وحفظ الأمن والسكينة العامة، واستمرار مرافق الدولة في تقديم خدماتها للمواطنين.

وكانت الحكومة وكذلك الرئيس عقب الاستقالة قد ألتزموا منازلهم وتركوا مواقعهم ولم يؤدوا واجباتهم في تصريف الأعمال الاعتيادية للدولة لحين تشكيل حكومة بديلة[١٤٥]، واختيار رئيس جديد[١٤٦]، وتعد الترتيبات الدستورية من جانب الحكومة ورئيس الدولة فيما يتعلق بالاستقالة انتهاكاً لأحكام الدستور[١٤٧]،

١٤٢ – شكل الدولة المنصوص عليه في البند العاشر من اتفاق السلم والشراكة الوطنية

١٤٣ – أعلن رئيس الحكومة خالد بحاح استقالة حكومته بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٥.

١٤٤ – جاءت استقالة الرئيس هادي في ذات اليوم عقب استقالة الحكومة.

١٤٥– تنص المادة(١٤٠) عند استقالة الوزارة أو إقالتها أو سحب الثقة منها تكلف الوزارة بتصريف الشئون العامة العادية ماعدا التعيين والعزل حتى تشكل الوزارة الجديدة.

١٤٦–تنص المادة (١١٥) على أن يجوز لرئيس الجمهورية أن يقدم استقالة مسببة إلى مجلس النواب، ويكون قرار مجلس النواب بقبول الاستقالة بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه فإذا لم تقبل الاستقالة فمن حقه خلال ثلاثة أشهر أن يقدم الاستقالة وعلى مجلس النواب أن يقبلها.

١٤٧ – تنص المادة (١٢٨) من الدستور على أن " يكون اتهام رئيس الجمهورية بالخيانة العظمى أو بخرق الدستور أو بأي عمل يمس استقلال وسيادة البلاد بناء على طلب من نصف أعضاء مجلس النواب ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثي أعضائه ويبين القانون إجراءات محاكمته فإذا كان الاتهام موجهاً إلى رئيس الجمهورية ونائبه تباشر هيئة رئاسة مجلس النواب مهام رئاسة الجمهورية مؤقتاً حتى صدور حكم المحكمة، ويجب أن يصدر القانون المشار إليه خلال دور الانعقاد العادي الأول لمجلس النواب التالي لسريان هذا الدستور وإذا حكم بالإدانة على أي منهما اعفي من منصبه بحكم الدستور مع عدم الإخلال بالعقوبات الأخرى وفي جميع الحالات لا تسقط بالتقادم أي من الجرائم المذكورة في هذه المادة.

وتنص الفقرة و من المادة (٢) من قانون رقم (٦) لسنة ١٩٩٥م بشأن إجراءات اتهام ومحاكمة شاغلي وظائف السلطة التنفيذية العليا في الدولة على أن " خرق الدستور : مخالفة نص من نصوص الدستور أو تعليقه أو تعديله دون إتباع الإجراءات المحددة فيه.

وكان الهدف كما أسلفنا هو أن تنهار مؤسسات الدولة بخلو مناصبها العليا ممن يديرونها[١٤٨]، لتحل مظاهر الفوضى في مؤسسات الدولة محل الإجراءات النظامية فيها.

ولذلك فقد عملت قيادة الثورة على إصدار إعلان دستوري[١٤٩] نظم شؤون الحكم في المرحلة الانتقالية، وشكلت لجنة ثورية عليا من القوى السياسية المشاركة في الثورة[١٥٠]، لتطبيق الإعلان الدستوري وإدارة المرحلة الانتقالية وفقا لما أسنده إليها الإعلان من اختصاصات[١٥١].

١٤٨ – تنص المادة (١١٦) من الدستور على أن " في حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو عجزه الدائم عن العمل يتولى مهام الرئاسة مؤقتاً نائب الرئيس لمدة لا تزيد عن ستين يوماً من تاريخ خلو منصب الرئيس يتم خلالها إجراء انتخابات جديدة للرئيس، وفي حالة خلو منصب رئيس الجمهورية ونائب الرئيس معاً يتولى مهام الرئاسة مؤقتاً رئاسة مجلس النواب، وإذا كان مجلس النواب منحلاً حلت الحكومة محل رئاسة مجلس النواب لممارسة مهام الرئاسة مؤقتاً، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية خلال مدة لا تتجاوز ستين يوماً من تاريخ أول اجتماع لمجلس النواب الجديد.

١٤٩– جاءت خطوة الإعلان الدستوري في يوم الجمعة الموافق ٦فبراير ٢٠١٥ عقب فشل القوى السياسية المتحاورة بإشراف الامم المتحدة في التوصل إلى اتفاق يخرج البلاد من الأزمة الشاملة التي تمر بها، وبعد إمهال قيادة الثورة للقوى السياسية المتحاورة لعدة أيام للوصول لاتفاق يجنب البلاد الازلاق إلى الفوضى.

١٥٠– لم يكن هدف الثورة الشعبية الشبابية السيطرة على مقاليد السلطة كما هو الحال بالنسبة لغيرها من الثورات، بل إن هذه الثورة عقب نجاحها – في ٢١ سبتمبر– بطرد مراكز النفوذ التي فرت خارج البلاد، وبعد أن عاثت فيها فساداً عقب ذلك سعت قيادة الثورة إلى الدعوة لإصلاح أوضاع سلطات الدولة بما يخدم المواطنين جميعاً ويحقق الشراكة والعدالة في السلطة والثروة، غير أن هذه الدعوات لم تقابل بأي استجابة من القوى السياسية خصوصا المؤثرة منها في المشهد اليمني وممثليها في مؤسسات الدولة القائمين على إدارة هذه المؤسسات نظراً لارتباطاتهم جميعاً بقوى خارجية، لكل ذلك ظلت الأوضاع في البلاد تراوح مكانها بل ازدادت الأوضاع الاقتصادية تدهوراً بفعل تنفيذ القائمين على مؤسسات الدولة وبعض القوى السياسية في البلاد لأجندات قوى خارجية، وبهدف تحميل الثورة وقيادتها تبعات الانهيار في مختلف جوانب حياة المجتمع اليمني الاقتصادية والسياسية والأمنية، ولكل ذلك فقد بادرت قيادة الثورة وبهدف الحفاظ على مؤسسات الدولة اليمنية من الانهيار المتعمد والمخطط له خصوصاً بعد استقالة الحكومة ورئيس الدولة، ورفضهم جميعاً الاستمرار في ممارسة مهام وظائفهم، فكان لا بد من أن تعمل قيادة الثورة على إيجاد سلطة بديلة مؤقتة تمثلت هذه السلطة في اللجنة الثورية العليا التي تولت مقاليد الحكم في البلاد بموجب نص المادة (٥) من الإعلان الدستوري التي جاء فيها(اللجنة الثورية العليا هي المعبر عن الثورة وتتفرع عنها اللجان الثورية في المحافظات والمديريات في أنحاء الجمهورية) وقد باشرت اللجنة الثورية العليا مهامها في إدارة شؤون الحكم اعتباراً من يوم ٦ / فبراير ٢٠١٥م يوم إعلان العمل بأحكام الإعلان الدستوري.

١٥١– حددت المادة (١٣) من الاعلان الدستوري المرحلة الانتقالية بعامين تعمل خلالها السلطات الانتقالية على مراجعة مسودة الدستور وليس ذلك فحسب، بل إنها معنية بسن القوانين التي تتطلبها المرحلة التأسيسية وكذلك الاشراف على عملية الاستفتاء على الدستور تمهيداً لانتقال البلاد من الوضع المؤقت إلى الوضع الدائم وإجراء الانتخابات النيابية والرئاسية وفقاً =

ولم يرق هذا الوضع للقوى الخارجية التي عملت على تهريب الرئيس المستقيل المنتهية ولايته غير الدستورية من العاصمة صنعاء إلى مدينة عدن ليعلن من هذه المدينة تراجعه عن استقالته[١٥٢]، وعودته لممارسة مهام منصبه كرئيس للدولة، وإعلان مدينة عدن عاصمة مؤقتة للبلاد[١٥٣]، وكل ذلك بإيعاز من القوى الخارجية خدمة لأهدافها ومطامعها التي سنوضحها تالياً.

الفرع الثالث: مواجهة تدخلات القوى الخارجية :

ذكرنا آنفاً أن القوى الخارجية[١٥٤] لم يرق لها ذلك الانجاز الذي حققه الشعب اليمني كنتاج لثورته، وبخاصة في جانب تحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على مؤسسات الدولة، من خلال تشكيل سلطة مؤقتة عملت على تطبيق أحكام الإعلان الدستوري لإدارة المرحلة الانتقالية، فعمدت القوى الخارجية إلى تحريك أدواتها الارهابية في الداخل لزعزعة الأمن والاستقرار وإفشال السلطة القائمة على إدارة المرحلة الانتقالية وإدخال المجتمع في حالة من الفوضى حيث استهدفت القوى الارهابية المساجد[١٥٥]، والمعسكرات[١٥٦]، والمدراس

لأحكام الدستور الجديد، إضافة الى مهامها الاساسية المتمثلة في حماية أمن الوطن والمواطنين ومواجهة تحالف ومواجهة تحالف العدوان الخارجي بقيادة السعودية والامارات.

١٥٢ – عندما أعلن الرئيس هادي استقالته بتاريخ ٢٢ / يناير/٢٠١٥ ولزم منزله زارته الكثير من الوفود والشخصيات الدولية وعرضت عليه رغبة قيادة الثورة في العودة الى مزاولة مهام منصبه غير أنه تذرع بأنه مريض ولم يعد يقوى على ممارسة مهام منصب رئاسة الجمهورية وأه يرغب مغادرة البلاد للعلاج في الخارج ، وبعد إدراك قوى التأمر على اليمن فشل خطتها المترتبة على الاستقالة المتزامنة للرئيس وحكومته في إيصال الاوضاع في البلاد الى حالة فوضى شاملة بانهيار مؤسساتها حينها عملت تلك القوى على التخطيط لتهريب الرئيس هادي وهربته فعلا وبوصوله إلى مدين عدن أعلن تراجعه عن استقالته وعودته لممارسة مهام منصب رئاسة الجمهورية من العاصمة المؤقتة عدن، لتبدأ بذلك حلقة جديدة من حلقات مخطط قوى العدوان الخارجية بحق اليمن.

١٥٣ – مثل إعلان الرئيس الفار المستقيل والمنتهية ولايته لمدينة عدن عاصمة مؤقتة للجمهورية اليمنية بقرار منه انتهاكا أخر لأحكام الدستور الذي نص صراحة في المادة (١٥٧) منه على أن صنعاء هي عاصمة الجمهورية اليمنية ، ونص هذه المادة لا يجوز تعديله الا باستفتاء شعبي .

١٥٤ – أوفدت الولايات المتحدة الامريكية الى صنعاء مساعد الرئيس للشؤون الداخلية ، واكدت واشنطن دعمها للرئيس الانتقالي هادي وادانتها لما اسمته الحشود الحوثية، لمزيد من التفصيل ينظر المخطوري على شرف ، ٢١ سبتمبر ثورة اسقطت وصاية ، مرجع سابق ص ١٢١ .

١٥٥– أقدمت القوى الارهابية وفي وقت متزامن على تنفيذ جرائم ارهابية بحق المصلين في عدد من المساجد في العاصمة صنعاء ومحافظة صعدة وقد ترتب على الجريمة الارهابية في مسجدي بدر والحشحوش في العاصمة صنعاء استشهاد عشرات المصلين وجرح المئات منهم ، وجرح عدد من أفرد اللجان الشعبية في محافظة صعدة الذي حالوا دون تنفيذ القوى الارهابية

والكليات العسكرية[١٥٧]، وأماكن تجمعات المواطنين[١٥٨]، وحافلات الطلاب[١٥٩]، غير أن يقظة قوات الجيش والأمن واللجان الشعبية تمكنت من التغلب على التحديات الامنية، حين وجهت ضربات قاصمة للقوى الإرهابية، أوشكت على أثرها هذه القوى على الإنهيار.

وهذه النتائج الحاسمة التي حققتها قوات الجيش والأمن واللجان الشعبية في مواجهة القوى الإرهابية أقلقت القوى الخارجية التي أعلنت على الفور عن قيام تحالف دولي بقيادة السعودية قوامه عشر دول[١٦٠]، ومن وراء هذا التحالف دول كبرى[١٦١]، ومن العاصمة الأمريكية واشنطن أعلن هذا التحالف بدء عمليات عسكرية ضد اليمن في تاريخ ٢٦/ مارس ٢٠١٥م، تحت مبرر استعادة الشرعية، والقضاء على الانقلاب، وتدمير القدرات العسكرية للجيش اليمني.

المبحث الثالث:إنجازات الثورة اليمنية والعوائق التي واجهتها:

لأن الحرب على بلادنا ليست حربا عادية كغيرها من الحروب التي تنقسم فيها الدول ذات المصالح إلى قسمين، قسم يدعم طرفاً وقسم يدعم طرفاً آخر سياسيا واقتصاديا وعسكريا بما يحقق مصالحه، أما في هذه الحرب فكانت الدول كلها داعمة لطرف واحد في الحرب، إما بشكل مباشر، وإما بشكل غير مباشر، وكل

لجريمتها بحق المصلين في جامع الهادي ؟

١٥٦ – اقتحمت القوى الإرهابية عددا من معسكرات الجيش في عدد من محافظات الجمهورية كما هو الحال بالنسبة لمحافظتي أبين وشبوة وتمكنت القوى الإرهابية من السيطرة على تلك المعسكرات بكافة عددها وعتادها، وذبحت عشرات الجنود من منتسبي تلك المعسكرات.

١٥٧– في سبيل إعاقة الثورة وإحداث حالة من الفوضى ضربت القوى الإرهابية التي مثلت أياد للقوى الخارجية في كل مكان فعملت على توجيه عملياتها الإرهابية لاستهداف الطلاب المتقدمين للالتحاق بكلية الشرطة أثناء تجمعهم امام بوابتها، وقد نتج عن العملية الإرهابية عشرات الضحايا من الطلاب .

١٥٨– لم تكن تجمعات المواطنين المدنيين مستثناة من جرائم القوى الإرهابية التي استهدفت بجرائمها عددا من أماكن التجمعات للمواطنين في ميدان التحرير وغيره من الميادين الساحات .

١٥٩ – امتدت جرائم القوى الإرهابية إلى حافلات طلاب المدارس في الصفوف الابتدائية حين استهدفت عملية إجرامية للقوى الإرهابية حافلة طلاب في محافظة البيضاء.

١٦٠ – التحالف بقيادة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وشاركتها في العدوان المباشر على اليمن دولة الكويت ومملكة البحرين ودولة قطر والمملكة المغربية والسودان و مصر والأردن وغيرها من الدول.

١٦١– الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني وعدد من الدول التي زودت تحالف العدوان بمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة التي تم استخدامها في قتل المواطنين اليمنيين وتدمير مقومات حياتهم.

الدول ذات المصالح استفادت دون استثناء من دعم طرفها الثري، فالدولة التي لم تحصل الفائدة نظير مواقفها السياسية الداعمة تحصلت على فوائد نظير بيعها للسلاح والمعدات العسكرية، في حين ظل الطرف المواجه للعدوان محاصراً من جميع الدول فلا مواقف سياسية داعمة، ولا توريد للسلاح، ولا غير ذلك من المواقف التي يمكن أن يكون لها تأثير إيجابي لصالح هذا الطرف في أي مجال من المجالات، فكانت ثورة هذا الطرف ومواجهته للعدوان غير عادية بكل ما تعنيه.

المطلب الأول:انجازات الثورة اليمنية:

سنقسم دراستنا لهذا المطلب إلى عدد من الفروع، على النحو الآتي:

الفرع الأول: المحافظة على مؤسسات الدولة من الانهيار:

يعد من أهم إنجازات ثورة ٢١ سبتمبر المحافظة على مؤسسات الدولة من الإنهيار، فقد اقتضت الخطة الشيطانية للقوى الخارجية إيصال مؤسسات الدولة الى حالة الإنهيار ودخول المجتمع اليمني من ثم في حالة فوضى عامة، واقتتال داخلي بين مختلف مكوناته، وعلى مختلف المستويات، وقد كانت خطة الانهيار لمؤسسات الدولة البديل عن خطة التدمير الذاتي التي كانت ستلي مباشرة مرحلة الاستفتاء على مشروع الدستور الجديد، فقد كان مخططا لها وفقا لبذور الصراع التي تضمنها مشروع الدستور، ليس على مستوى الأقاليم أو الولايات فحسب وإنما على مستوى المديريات[١٦٢].

ولما فشلت خطة القوى الخارجية في إيصال اليمن إلى مرحلة التدمير الذاتي من خلال اقتتال اليمنيين على الموارد والمناصب، بمجرد الاستفتاء على الدستور انتقلت هذه القوى إلى الخطة الشيطانية البديلة، حين أوعزت إلى حكومة هادي تقديم استقالتها، وأوعزت في ذات الوقت إلى الرئيس هادي تقديم استقالته هو أيضا، لترك البلاد تواجه مصيرا مظلما وتحميل الثورة وقيادة الثورة مسؤولية الانهيار الكبير، وقد كانت تلك الخطة الشيطانية تقتضي إحجام الحكومة عن الاضطلاع بواجباتها الدستورية عقب تقديم استقالتها لتصريف الشؤون العامة للبلاد لحين تشكيل حكومة بديلة وفقا للترتيبات الدستورية، فحين يحل الفراغ في كافة مناصب السلطة العامة العليا تتعطل الحياة العامة، ويحدث الانهيار بشكل تلقائي.

فإذا ما توقف مرفق الدفاع انقسمت المؤسسة العسكرية وفقا لترتيبات القوى الخارجية سياسيا ومناطقيا،

١٦٢ – كان مشروع الدستور قد أسند ضمن نصوصه إلى المستويات الأدنى في الدولة استثمار وتطوير جميع موارد الثروة الموجودة في هذا المستوى، والتوقيع على عقود الاستغلال مع الشركات العالمية، ولن يكون للإقليم والحكومة الاتحادية سوى نسبة سيتم الاتفاق عليها بين المستويات الثلاثة، كما أجاز مشروع الدستور للمستوى الأدنى حق الاقتراض من مؤسسات وصناديق النقد الدولية لتمويل المشاريع المحلية، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الجوانب السياسية.

وفي المقابل تنقسم المؤسسة الأمنية وفقا لذات الترتيبات، وكذلك الحال بالنسبة لبقية مؤسسات الدولة خدمية وإنتاجية، والأمر المنطقي وفقا لتلك الخطة وفي حال نجاحها سيادة الفوضى والعنف والسلب والنهب وانهيار السلطة العامة في الدولة، وما يتبع ذلك من سقوط للدولة ذاتها في مستنقع العنف، بحيث لا تقوم لها قائمة بعد السقوط المخطط له، كما حصل في بداية عقد التسعينات في الصومال بل أسوأ من ذلك.

ومع أن الظروف كانت مهيئة للقوى الخارجية لنجاح أجنداتها وخططها بشأن إسقاط اليمن في دوامة العنف، لتظل تلك القوى في موقف الداعم للقوى المتصارعة، أو لعملائها على الأقل، ودون أن تنخرط في الصراع بشكل مباشر، مع كل ذلك تمكنت الثورة وبفضل الله تعالى وحنكة وحكمة قيادتها من إفشال مخططات القوى الخارجية، وتجنيب اليمن الفوضى المدمرة التي كان مخططا له الدخول فيها.

الفرع الثاني: إنهاء نظام الوصاية والعمالة والتبعية:

لم يتمكن اليمن من الخروج من عباءة الوصاية والتبعية للقوى الخارجية منذ عقد الستينات من القرن الماضي وحتى قيام ثورة ٢١ من سبتمبر سنة ٢٠١٤، حيث كان خلال ما يقرب ستة عقود من الزمن يرزح تحت وصاية نظام آل سعود، ومن ورائه قوى استعمارية كبرى، عملت على إبقاء اليمن في حالة ضعف، رغم ما يملكه من موارد مالية وبشرية تكفل النهوض به إلى مصاف الدول المتقدمة في حال أمسكت بزمام الحكم سلطة وطنية تعمل على تسخير الموارد العامة في خدمة نهضة شاملة، ولقد ظل اليمن خلال العقود الماضية تحت مجهر المراقبة للقوى الخارجية لرصد أي مشروع نهضوي يمكن أن ينتشل اليمن من واقع التردي الذي فرضته عليه القوى الخارجية خدمة لأهدافها الاستعمارية.

وتجدر الإشارة إلى أن شؤون اليمن كانت خلال العقود الماضية تدار من جانب القوى الخارجية بواسطة سفاراتها التي مثلت أوكارا استخبارية تحصي على اليمنيين أنفاسهم، وتحدد لهم القدر اللازم الذي يحفظ لهم حياتهم عند درجة محددة من النمو والتطور، ودون أن يتم تجاوزها، ولم يكن القائمون على سلطات الدولة في مسستوياتها العليا يملكون صلاحية إدارة الشؤون العامة الا بالقدر الذي تحدده القوى الخارجية، بل إن شغل أي منصب من مناصب الدولة في مستوياتها العليا والمتوسطة لا يتم إلا بموافقة مسبقة من تلك القوى.

وكان نظام آل سعود قد كرس سيطرته على مؤسسات الدولة مدنية وعسكرية من خلال القائمين عليها إضافة إلى سيطرته على الوجاهات الاجتماعية، فكان الجميع يدين لآل سعود بالولاء والتبعية، فنظام آل سعود الذي يملك طفرة مالية كبيرة خصص فتاتا منها عبر اللجنة الخاصة لاستمالة ضعاف النفوس[١٦٣] من

١٦٣ – اللجنة الخاصة السعودية تتبع مجلس الوزراء السعودي، وتعنى بصرف الاستحقاقات الشهرية أو السنوية لمن يتم =

أبناء الشعب اليمني في مؤسسات الدولة ممن ارتضوا التضحية بمصلحة الوطن العليا في سبيل مصالحهم الذاتية الدنيا، وقبلوا أن يكونوا أتباعا أذلاء للأجنبي وأدوات بيده ينفذون سياساته التدميرية لبلدهم.

الفرع الثالث: تدمير أوكار التجسس :

كانت القوى الخارجية تحيك خططها وتشرف على تنفيذها من خلال سفاراتها في العاصمة صنعاء التي مثلت أوكارا للتجسس والتخريب، ولقد أدركت تلك القوى أن نجاح الثورة يمثل خطرا جسيما عليها وعلى عملائها، فبادرت إلى تدمير كافة الوثائق خشية من أن تضع الثورة يدها عليها وتكشف من خلالها كل خيوط مؤامراتها وعبثها بأمن اليمن واستقراره، وتخريبها لاقتصاده، ومساسها بسيادته واستقلاله، وفضح أدواتها في الداخل التي تعمل على تنفيذ أجنداتها.

ولقد شاهد الجميع أعمدة الدخان ترتفع من محارق سفارات القوى الإجرامية تفوح منها رائحة المؤامرات والخيانة، وكذلك تدمير كافة المعدات المستخدمة في تنفيذ خططها الشيطانية، وبعد أن اطمأنت تلك القوى إلى حماية نفسها وعملائها بتدمير الوثائق التي كانت بحيازتها في أوكارها التأمرية الإجرامية بادرت إلى ربط وترتيب حقائب سفرها والاتجاه نحو مطار صنعاء الدولي مستقلة طائرات الرحلات الخاصة المغادرة، منهية بذلك عقوداً من التآمر والعبث والتخريب لكل مقومات حياة المجتمع اليمني، ظل اليمن خلالها تابعا مطيعا تديره سفارات القوى الخارجية، ولا يديره ابناءه فأنهت الثورة كل ذلك العبث، لتنقل البلاد من حالة التبعية للقوى الخارجية إلى حالة السيادة والاستقلال والإدارة الوطنية من جانب أبنائه.

الفرع الرابع: تحجيم دور القوى الإرهابية:

عقب مغادرة القوى الخارجية لأوكارها في العاصمة صنعاء، التي كانت من خلالها تدير الشأن العام اليمني بكل تفاصيله، أطلقت العنان لأدواتها الارهابية، التي حولت المساجد والساحات والميادين العامة إلى حمامات دم بهدف بث الرعب والذعر في أوساط الشعب اليمني، لإيصال رسالة مفادها أن نجاح الثورة وبال على الشعب بمختلف مكوناته، لكن إفراط القوى الإرهابية في العنف وسفك الدم لم يدم طويلا، حيث تمكنت الثورة من توجيه ضربات قاصمة للقوى الإرهابية في أوكارها وسرعان ما بدأت تلك القوى في الترنح استعداداً للسقوط المدوي، ولأن القوى الخارجية قد وضعت كل ثقلها في أدواتها الإرهابية في الداخل لتحقيق الاهداف التدميرية التي عجزت تلك القوى عن تحقيقها.

تجنيدهم من الوجاهات الاجتماعية، والقيادات الحكومية المدنية والعسكرية في مختلف مستويات السلطة العامة، ليعملوا مقابل ما يحصلون عليه من أموال من هذه اللجنة على تنفيذ أجندة المملكة وسياساتها التمزيقية لنسيج الشعب اليمني.

ولذلك لم يكن الأمر سهلا على القوى الخارجية التي أعلنت هزيمتها أمام الثورة اليمنية بانسحابها من أوكارها أن تقبل بهزيمة أدواتها التي علقت عليها كل الآمال في تنفيذ مخططاتها، وقبل أن تلفظ القوى الإرهابية انفاسها الأخيرة مدتها القوى الخارجية بكل أسباب الحياة لتستمر في تنفيذ مخططاتها، لكنها لم تنجح في إعادة حال القوى الإرهابية إلى ما كان عليه قبل الضربات المميتة التي تلقتها من جانب الجيش واللجان الشعبية، فظلت تلك الأدوات الإرهابية تعمل بوتيرة منخفضة في بعض المناطق التي فر إليها بعض عناصرها(١٦٤).

واستمر الجيش واللجان الشعبية في ملاحقة العناصر الإرهابية الإجرامية في عدد من المناطق التي تحصنت فيها تلك العناصر، وتلقت ضربات قوية أفقدتها توازنها وقدرتها على تنفيذ عمليات إرهابية تهدد حياة المواطنين، وأصبحت خائفة متخفية لا تجرؤ على الإعلان عن نفسها وعن المناطق التي تتواجد فيها، كما كان عليه الحال سابقا حين كانت تجاهر بارتكاب جرائمها وتنفيذها في الأسواق والساحات العامة وفي أوساط تجمعات المواطنين، لتحقيق الردع وبث الرعب والخوف في نفوسهم حتى ينقادوا لها صاغرين أو يكون مصير كل معترض التمثيل بجثته أمام عامة النا.

المطلب الثاني:العوائق التي واجهت الثورة اليمنية:

نتناول في هذا المطلب بحث العوائق الداخلية التي واجهت الثورة في الفرع الأول ونخصص الفرع الثاني للاستهداف الخارجي للثورة اليمنية، ووسائله، ونتناول في الفرع الثالث استعصاء الثورة اليمنية على المخططات الخارجية، ونختم هذا المطلب بالتطرق لدور منظمة الأمم المتحدة المتماهي مع العدوان، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: العوائق الداخلية

١- الاستقالة المتزامنة للحكومة ورئيس الدولة

الأصل أن تقديم الاستقالة سواء بالنسبة للحكومة أو رئيس الدولة حق، غير أن استخدام هذا الحق محاط بعدد من الضوابط الصارمة، قررها المشرع الدستوري حماية للمصلحة العليا للدولة، وحفاظا على أمن وسلامة المواطنين، فإذا ما قدمت الحكومة استقالتها لأي سبب من الأسباب فإن ذلك حقها، غير أن واجبها وفقا للترتيبات الدستورية أن تظل تمارس مهامها إلى أن يبت رئيس الدولة في طلب الاستقالة، فإذا ما قرر قبول استقالة الحكومة فإنها تتحول منذ لحظة قبول رئيس الدولة لاستقالتها من حكومة عاملة إلى حكومة تصريف أعمال حتى وإن لم يصدر قرار من رئيس الدولة بتكليفها بتصريف الأعمال واقتصر الأمر

١٦٤ – مثلما كان عليه الحال بالنسبة لمحافظة البيضاء.

على قبول الاستقالة فقط، فإن واجبها الدستوري يقتضي أن تستمر في تصريف الشؤون العادية للدولة إلى أن يتم تشكيل حكومة بديلة عنها، وذات الحكم ينطبق على حق رئيس الدولة في الاستقالة.

وما حدث عندما قدمت حكومة بحاح استقالتها إلى رئيس الدولة أنها بمجرد تقديم الاستقالة التزم جميع أعضائها منازلهم، وأصبحت مناصب الحكومة في حالة فراغ، وفي المقابل فقد أعلن رئيس الدولة استقالته ولزم منزله، وقد مثل ذلك التصرف من جانب الحكومة ومن جانب رئيس الدولة خرقا للدستور يستوجب خضوع الحكومة بجميع أعضائها وكذلك رئيس الدولة لمحاكمة دستورية، لارتكابهم جميعا جريمة خرق الستور، وكان الواجب أن يوضعوا جميعا في السجن تمهيدا لمحاكمتهم .

وباعتبار أن شغل مناصب السلطة العامة ليس امتيازا متى ما أراد البعض ترك المنصب الذي يشغله دون سابق إشعار، فإن الواجب الدستوري يحتم على كل شاغل منصب البقاء في منصبه إلى أن يتم تعيين بديل عنه، إذا ما رغب في الاستقالة لأي سبب كان، وإلى أن يتم البت في طلب الاستقالة بالقبول أو الرفض، ففي حالة القبول يتحول شغله للمنصب بصفة مؤقتة يصرف فيها الاختصاصات العادية لمنصبه باعتبار ارتباط المصلحة العامة للمجتمع به، وكذلك المصلحة الخاصة للمواطنين، وإذا ما كان القرار في شان الاستقالة هو الرفض اعتبرت الاستقالة كأن لم تكن، ويتوجب على شاغل المنصب ممارسة مهام منصبه بشكل اعتيادي، وعليه أن يتبع الإجراءات المقررة دستوريا وقانونيا فيما يتعلق بإعادة تقديم الاستقالة[١٦٥].

والواضح من تقديم الاستقالة المتزامنة للحكومة ورئيس الدولة والتزام الجميع منازلهم أن الهدف من ذلك هو إحداث انهيار شامل لمؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، وهذا الهدف لا يمكن بحال من الأحول أن يكون ظرفيا أو طارئا أو محليا، بل هو هدف يخدم قوى خارجية بامتياز، ومن قاموا بالتنفيذ كانوا على يقين من نجاح الانهيار، وأنه لن تكون هناك سلطة لمحاسبتهم، وأن أسيادهم سينقلونهم وأسرهم بوسائلهم الخاصة إلى مراتع الخيانة والعمالة في الدول التي سيقضون حياتهم واسرهم فيها ثمنا لجرائمهم بحق وطنهم وشعبهم، وتفانيهم في خدمة أسيادهم.

ومع أن الخونة والعملاء لم ينالوا جزاءهم العادل من خلال محاكمة دستورية وجنائية بسبب جسامة

١٦٥ – تنص المادة (١١٥) من الدستور النافذ على أن (يجوز لرئيس الجمهورية أن يقدم استقالة مسببة إلى مجلس النواب، ويكون قرار مجلس النواب بقبول الاستقالة بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه، فإذا لم تقبل الاستقالة فمن حقه خلال ثلاثة أشهر أن يقدم الاستقالة وعلى مجلس النواب أن يقبلها، وتنص المادة (١٤٠) على أن (عند استقالة الوزارة أو إقالتها أو سحب الثقة منها تكلف الوزارة بتصريف الشؤون العامة العادية ما عدا التعيين والعزل حتى تشكل الوزارة الجديدة.)

جرائمهم، وفي المقابل فإن المخطط الشيطاني لم يكتب له النجاح ولم تنهر مؤسسات الدولة بل بقيت قائمة تؤدي خدماتها لجمهور المواطنين ولو في حدها الأدنى فقد تمكنت الثورة وبفضل الله تعالى وحنكة وحكمة قيادتها وإخلاص وتفاني الثوار من الحفاظ على تماسك مؤسسات الدولة ومواجهة تحالف العدوان وعملائه ومرتزقته في ذات الوقت، فكان ذلك من أهم الإنجازات والمكاسب الثورية.

٢- تدني مستوى الاستيعاب لمضمون الإعلان الدستوري:

كانت التحركات الشعبية السابقة لثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م تهدف إلى إجبار الحكومة على اتخاذ إجراءات من شأنها تحسين الوضع المعيشي للمواطنين والحد من الجرع السعرية، أو في أسوأ الاحتمالات إسقاط الحكومة، وتشكيل حكومة توافقية تمثل فيها جميع القوى السياسية غير الممثلة في الائتلاف القائم حينها، غير أن تسارع وتيرة الأحداث وتدهور الأوضاع الاقتصادية وتهاوي القائمين على الحكومة والرئاسة بالاستقالة المتزامنة للحكومة ورئيس الدولة، وما ترتب على ذلك من مخطط لإسقاط مؤسسات الدولة وانهيار بنيانها لوضع قيادات الاحتجاجات الشعبية أمام الشعب وتحميلهم مسؤولية الانهيار.

وكذلك ما قد يترتب عليه من أعمال عنف وسلب ونهب، ليعقب ذلك عودة رموز السلطة المستقيلين إلى المشهد السياسي كمنقذين للأوضاع بعد احتراق صورة قيادة الاحتجاجات الشعبية، غير أن خيبة أمل دهاقنة السلطة في حدوث ما خططوا له من انهيار خدمة لأجندات أجنبية، وتحول الاحتجاجات الشعبية إلى ثورة أخذت قيادتها على عاتقها مهمة الحفاظ على الأمن والسكينة العامة، والحفاظ على ما تبقى من مؤسسات الدولة من الانهيار، وإدارة المرافق العامة بالحد المتاح، واستمرارها في تقديم خدماتها للمواطنين، وهو ما أحرج القوى الخارجية الداعمة والمراقبة للوضع المتهاوي ليتسنى لها الانقضاض بعد ذلك، وكذلك أحرج الوضع الجديد المنفذين الداخليين للسياسة والأجندات الخارجية.

وهذا الوضع المستقر لم يرق للقوى الخارجية التي قررت- مسبقا- التدخل العسكري بشكل مباشر، لإيصال الوضع الداخلي إلى حالة الانهيار المخطط له، تحت مبرر إعادة الشرعية، وكان التركيز على المنشآت الاقتصادية والخدمية العامة والخاصة بهدف إحداث حالة من التذمر الداخلي، بما يخدم توجه القوى الخارجية نحو تفجير الأوضاع داخلياً وتحميل الثورة من ثم مسؤولية مستجدات الوضع الداخلي الناتج عن التدمير الشامل لقوى العدوان لمقومات حياة الموطن.

ولكل ذلك اقتصر مفهوم المرحلة لدى قيادة الثورة واللجنة الثورية العليا على الحفاظ على ما تبقى من مؤسسات الدولة، وضرورة العمل على استمرار المرافق عامة في تقديم خدماتها للمواطنين وفقاً للإمكانات المتاحة في ظل العدوان.

ولم يكن مطروحاً على الطاولة العمل على تطبيق الأحكام الواردة في الإعلان الدستوري المتعلقة بتنظيم شؤون الحكم في المرحلة الانتقالية، بل تحولت مهمة اللجنة الثورية العليا من سلطة الأصل أن تعمل أولاً على تفعيل نصوص وأحكام الإعلان الدستوري في الواقع إلى مجرد العمل على المحافظة على الوضع الراهن على ما هو عليه، ولم تشكل حكومة ثورة ولم يشكل مجلس رئاسي انتقالي، ولم يشكل المجلس الوطني الانتقالي[١٦٦]، ورغم أن اللجنة الثورية العليا استمرت في السلطة قرابة العامين وهي الفترة ذاتها المحددة في الإعلان الدستوري كمرحلة انتقالية كان الأصل أن يتم خلالها انجاز العديد من المهام غير أن اللجنة الثورية لم تتخذ إجراءات عملية تذكر فيما يتعلق بسلطات الدولة الانتقالية[١٦٧].

ويبدو أن عدم تشكيل اللجنة الثورية العليا حكومة تؤدي نيابة عنها الأعمال التنفيذية والإدارية وتبقى للجنة الثورية مهمة الإشراف والمتابعة، هو الأمر المهم الذي أعاق تنفيذها للإعلان الدستوري، حيث ظلت اللجنة الثورية هي من تتحمل تبعات القصور، والفشل الناتج عن أداء حكومة القائمين بالأعمال، وهذه الحكومة المكونة من وكلاء الوزارات، والمكلفة من جانب اللجنة الثورية العليا لم تعتبر نفسها حكومة مسؤولة وإنما مجرد قائمين بأعمال يعتقدون أنه لا صلاحية لهم، ولذلك كان كل إخفاق تتحمل مسؤوليته اللجنة الثورية العليا.

ولا شك أن هذا الوضع ناتج عن تدني مستوى فهم أعضاء اللجنة الثورية العليا لمقتضيات ومتطلبات ومضامين أحكام ونصوص الإعلان الدستوري، ولو أن اللجنة الثورية العليا بادرت إلى تشكيل حكومة كفاءات وحملتها مسؤولية الأعمال التنفيذية وتولت اللجنة الثورية مهمة الاشراف والمتابعة والمحاسبة للحكومة، لتحركت فعلاً عجلة العمل الحكومي، لكن ذلك لم يحدث، وظلت اللجنة الثورية العليا تعمل كمحرك سيارة ومستهلك الوقود، ودون أن يكون هناك عجلات أو دواليب هواء تجسد عمل المحرك كحركة على أرض الواقع.

٣- إعلان عدد من القوى السياسية عن عمالتها للقوى الخارجية

أعلنت عدد من القوى السياسية في الساحة اليمنية وعلى رأسها حزب التجمع اليمني للإصلاح تأييدها

١٦٦ – لمزيد من التفصيل يراجع المواد من (٦–١٠) من الإعلان الدستوري الصادر في السادس من فبراير سنة ٢٠١٥.

١٦٧– كان يمكن للجنة الثورية العليا تشكيل حكومة مصغرة يرأسها رئيس اللجنة الثورية العليا، واتخاذ إجراءات بحق الأحزاب السياسية المؤيدة للعدوان والمنخرطة تحت قيادته، غير أن هذه المقترحات وغيرها لم تلق تفاعلات يذكر من جانب اللجنة الثورية العليا.

الكامل لتحالف العدوان منذ اليوم الأول لبدء العمليات العسكرية[١٦٨] ولم تكتف قوى العمالة والخيانة، والارتهان بمجرد تأييدها للعدوان، بل إنها جندت عناصرها للقتال في صفوفه بوصفها جزءاً من الجيش البري لدول تحالف العدوان .

وكانت القوى السياسية المؤيدة للعدوان والمنخرطة للقتال في صفوف قواته تهدف من مواقفها المؤيدة والمساندة للعدوان إيصال رسالة إلى الرأي العام في الداخل اليمني وإلى الخارج مضمونها أن الانقسام حاد في المجتمع اليمني، وأن الثورة لا تمثل سوى فئة قليلة، وأنها لن تصمد طويلا، وسوف تتلاشى خلال أيام قلائل، وكما صرح بذلك المتحدث العسكري للعدوان أحمد عسيري، بأن العمليات العسكرية لن تستغرق وقتا طويلا، وأن قوات التحالف ستكون خلال خمسة عشر يوما في العاصمة صنعاء[١٦٩].

ووفقا للمفهوم السابق فقد تم وصف الثورة من جانب العدوان وعملائه بأنها انقلاب، باعتبار أن الانقلاب تنفذه فئة قليلة، ولذلك سعت تلك القوى محاولة تسطيح مفهوم الثورة، وتكريس مفهوم الانقلاب بهدف خلق حراك شعبي داخلي رافض للثورة، يصطف إلى جانب القوى السياسية المؤيدة للعدوان وإلى جانب تحالف العدوان ذاته، الذي استمر في تنفيذ غارات جوية مكثفة على العاصمة صنعاء وعدد من المحافظات، مستخدما افتك أنواع القنابل وأشدها تدميرا لبث حالة من الرعب والخوف في أوساط المجتمع الحاضن للثورة، لكي يعلن تخليه عن تأييدها تحت تأثير حدة الانقسام الداخلي، والقصف الجوي لطيران تحالف العدوان الخارجي.

١٦٨ – وجه عدد من الأحزاب السياسية اليمنية التي وصفت نفسها بأنها مساندة للشرعية والتحالف العربي، رسالة إلى الرئيس الأمريكي باراك أوباما بمناسبة انعقاد القمة الخليجية الامريكية، وقد عبرت هذه الأحزاب عن شكرها وتقديرها لجهود الولايات المتحدة الداعمة لحق الشعب اليمني في التغيير السياسي، وكذلك دعمها اللوجستي لتحالف العدوان وقد وقع الرسالة عن حزب المؤتمر الشعبي العام أحمد عبيد بن دغر، وعن التجمع اليمني للإصلاح عبد الوهاب الانسي، وعن حزب العدالة والبناء عبدالعزيز جباري، وعن الحراك السلمي الجنوبي ياسين مكاوي، وعن التنظيم الوحدوي الناصري سلطان العتواني، وعن حزب الرشاد السلفي عبدالوهاب الحميقاني، وعن حزب التضامن الوطني جلال فقيرة ، وعن الحزب الاشتراكي محمد المخلافي، ختمت الرسالة بالمطالبة بإلحاح شديد على إنهاء ما اسموه بالانقلاب والتمرد طالبوا أيضا باستمرار التدخل في شؤون اليمن بمبرر محارب الارهاب.

١٦٩ – مر على بدء العدوان سبع سنوات، ولم يتمكن التحالف ليس من دخول صنعاء ولكن من المحافظة على وضعيته التي شن العدوان وهو فيها حيث اصبح عمق دول تحالف العدوان هدفا سهلا للصواريخ والطائرات المسيرة للجيش اليمني واللجان الشعبية.

٤- تربص القوى الداخلية التي لم تعلن صراحة تأييد العدوان:

أغلب القوى السياسية الفاعلة في الساحة اليمنية أفصحت عن عدم رضاها عن الخطوة التي أتخذها أنصار الله بإصدار اللجنة الثورية العليا للإعلان الدستوري، وحالة عدم الرضا هذه بالنسبة لبعض القوى كما هو حال حزب التجمع اليمني للإصلاح والحزب الناصري يمكن الحديث عنها فقط قبل إعلان التحالف بقيادة السعودية عدوانه على اليمن، أما بعد هذا العدوان فقد تحولت هذه القوى إلى جيش بري يتبع تحالف العدوان يأتمر بأمره في مواجهة الجيش اليمني واللجان الشعبية، وقد اتضح أنه وبالرغم من حرص قيادة الثورة حتى بعد صدور الإعلان الدستوري على اشراك جميع القوى السياسية في السلطة لإدارة شؤون البلاد وتجنب الانزلاق إلى حرب أهلية، رغم كل ذلك تمكن تحالف الحرب على اليمن من استخدام القوى السياسية المعارضة للإعلان الدستوري كجزء أساس في جيشه البري ليطبع هذه الحرب العدوانية بطابع الحرب الأهلية.

ومع أن قوى سياسية أخرى ظلت تعبر عن عدم رضاها عن الثورة والإعلان الدستوري في ظل الحرب العدوانية، ورغم المحاولات الحثيثة من قيادة الثورة لإقناع قيادة المؤتمر الشعبي العام للوصول إلى شراكة وطنية تحت مظلة الإعلان الدستوري أو أي صيغة أخرى يتم الاتفاق عليها، فإن تلك الجهود والمحاولات ما كان يكتب لها النجاح، وكانت أهم هذه المحاولات في بداية شهر مايو من عام٢٠١٥م، حيث تم تشكيل لجنة من المؤتمر الشعبي العام ومكون أنصار الله لإعداد صيغة اتفاق، وبعد انجاز اللجنة لصيغة الاتفاق، وبعد مرور عشرة أيام من بدء اللجنة لمهمتها وانجازها لها تم عرض مشروع صيغة الاتفاق على قيادة الطرفين[١٧٠]، وفي الوقت الذي وافق فيه المخولون من قيادة أنصار الله على مشروع صيغة الاتفاق، وفي المقابل فقد تم رفض هذا المشروع من جانب حزب المؤتمر الشعبي العام، ومن رئيسه تحديداً.

ويبدو أن زعيم حزب المؤتمر الشعبي العام كان يراهن على انهاك الحرب لمكون أنصار الله، بعد خروج أكبر منافس سياسي وعسكري له حزب الإصلاح وعلى محسن الأحمر من الساحة السياسية والميدان العسكري، يبدو أنه كان يتوقع انهيار أنصار الله أو على الأقل ضعفهم، ومن ثم يمكنه احتواؤهم بعد عودته للسيطرة على السلطة، غير أن رفضه للاتفاق لم يغير من الأمر شيئاً، واستمر الجيش واللجان الشعبية في الصمود

١٧٠ – تضمن المشروع عددا من النقاط الأساسية تتمثل في دعوة مجلس النواب للانعقاد لممارسة ثلاثة اختصاصات هي :

– اقرار برنامج الحكومة .

– توجيه الاتهام بالخيانة العظمى لهادي وحزمته.

– التخاطب مع برلمانات العالم حول العدوان على اليمن.

والاستبسال في مواجهة تحالف العدوان، وتحقيق انجازات عسكرية أذهلت الداخل والخارج، وظل حزب المؤتمر الشعبي العام على حالته من عدم الرضا عن اللجنة الثورية والإعلان الدستوري، وأختار أن يلتزم الحياد في الظاهر والتعاون مع العدوان في الخفاء، وتحديداً دولة الإمارات العربية المتحدة.

ورغم أنه وبعد مرور ما يقرب من عامين على بدء العدوان أضطر المؤتمر الشعبي العام على الموافقة على صيغة اتفاق شراكة مع مكون أنصار الله، لكنه ورغم توقيع هذا الاتفاق ظل يتعامل وكانه معارضا ويحمل أنصار الله المسؤولية، وقد صرح بذلك رئيس المؤتمر في حينه، أنه يساعد فقط أنصار الله، وأنهم هم المعنيون وهم المسؤولون عن السلطة وأوضاع البلاد، ومواجهة العدوان، وأقر في غير مرة بعدم مشاركته وحزبه في الدفاع عن الوطن، بل إنه قد طلب نظير المشاركة في الدفاع عن الوطن أموالا ليجهز عشرين ألف مقاتل.

ولم تمنعه شراكته في السلطة مع أنصار الله من التآمر عليهم مع قوى العدوان، حيث أعلن مبادرة تسليم الموانئ والمنافذ للأمم المتحدة[١٧١]،

١٧١ – تم تسمية هذه المبادرة بمبادرة مجلس النواب بشأن الأوضاع الراهنة التي تعيشها اليمن وقد نصت على الآتي:
نظراً لما تعانيه اليمن من أوضاع انسانية كارثية تهدد الحياة الإنسانية بخطر المجاعة، حيث يُعاني أكثر من (١٧) مليون شخص في اليمن من انعدام الأمن الغذائي، ويواجه (٧) ملايين آخرون إمكانية المجاعة. كما يُعاني (٤٦٢) ألف طفل من سوء التغذية الحاد، وقد وصف بيان رئيس مجلس الأمن خطر المجاعة في اليمن بأنها أكبر حالة من حالات الطوارئ المتعلقة بانعدام الأمن الغذائي في العالم، وكل ذلك يعكس جسامة الأزمة الانسانية في اليمن جراء الحرب والأعمال العسكرية على الأراضي اليمنية التي خلفت آثاراً مأساوية راح جراءها آلاف الضحايا من المدنيين، جلهم من الأطفال والنساء والشيوخ، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من المصابين، وتدمير البنية التحتية من الموانئ والمطارات والطرق والجسور والمصانع والمزارع وآبار المياه، والمستشفيات والمراكز الصحية والمدارس والجامعات، ومحطات الكهرباء، ومراكز الاتصالات، ومؤسسات وشركات القطاع الخاص والمنشآت الحكومية، وغيرها من الممتلكات العامة والخاصة المذكورة في التقارير والإحصائيات الصادرة عن المنظمات الانسانية والحقوقية والإغاثية المحلية والدولية ومنها

- منظمة الغذاء العالمي.
- منظمة الأمم المتحدة للطفولة.
- مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة.
- منظمة الصحة العالمية.

إضافة إلى انتشار الأوبئة القاتلة، ومنها وباء الكوليرا الذي أدى إلى وفاة أكثر من (١,٧٠٠) شخص، كما سجلت نحو (٢٩٧,٤٣٨) حالة اشتباه في إصابتها بالكوليرا في (٢٨٨) مديرية وأثنين وعشرين محافظة في اليمن حتى ٢٠١٧/٧/٢٠م وما يقارب من (١٦) مليون شخص لا يحصلون على المياه الكافية وخدمات الصرف الصحي والنظافة الصحية، مما يجعلهم عرضة للوقوع ضحايا الكوليرا في ظل عدم توفر الإمكانات لمواجهة هذا الوباء الخطير. =

وفي أغسطس ٢٠١٧م في ذكرى تأسيس المؤتمر الشعبي العام حين حاول أن يطرح مشروعه السابق على الجماهير الحاضرة في ميدان السبعين للاستفتاء على تسليم البلاد للأجنبي.

وقد أدت الإجراءات المضادة من جانب اللجنة الثورية العليا التي حشدت الجماهير إلى مداخل العاصمة صنعاء، إلى محاصرة زعيم المؤتمر الشعبي العام، وجعل خياراته محدودة، وأنسحب عدم الرضا عن اللجنة الثورية العليا إلى عدم الرضا عن بقاء أنصار الله في السلطة، وإعلان استياءه وتذمره من الشراكة معهم، ومن

واستجابة مع التوجهات والمبادرات التي تطلقها عدد من الدول الشقيقة والصديقة والمنظمات الدولية والإنسانية بأهمية الحفاظ على الوحدة اليمنية ووقف كافة الأعمال العسكرية في اليمن وإنهاء الحصار البري والبحري والجوي المفروض على اليمن والدعوه الى الحوار الشامل والبناء.

تماشياً مع ما ورد في البيانات الصادرة عن رئاسة مجلس الأمن الدولي وإحاطات السيد أوبراين الممثل المقيم للأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، وعلى وجه الخصوص ما تناوله بيان مجلس الأمن الدولي الذي أدلى به رئيس المجلس في جلسة مجلس الأمن رقم (٧٩٧٤) المنعقدة في ٢٠١٧/٦/١٥م. بشأن الدعوة إلى استئناف عملية سياسية شاملة لجميع الأطراف.. وتشديده على أهمية الحفاظ على تشغيل جميع الموانئ اليمنية باعتبارها شريان حياة بالغ الأهمية للدعم الإنساني وغيره من الإمدادات الأساسية.. وتأكيد البيان على التزام مجلس الأمن بوحدة اليمن وسيادته واستقلاله وسلامته الإقليمية.

وانطلاقاً من المسؤولية الوطنية لمجلس النواب تجاه الشعب اليمني بكافة أطيافه السياسية كونه يمثل جميع أبناء اليمن في الداخل والخارج فإن مجلس النواب بالجمهورية اليمنية يقدم المبادرة التالية:

١- دعوة جميع الأطراف لوقف الحرب وكافة الأعمال العسكرية، ورفع الحصار البري والبحري والجوي الروض على اليمن.

٢- دعوة الأمم المتحدة إلى وضع آلية مناسبة لمراقبة سير العمل في كافة المنافذ البرية والموانئ البحرية والمطارات الجوية في أنحاء الجمهورية اليمنية دون استثناء.. لضمان تحصيل إيراداتها إلى البنك المركزي اليمني وبما يكفل مواجهة كافة الالتزامات الحكومية من صرف مرتبات موظفي الدولة وتوفير المواد الغذائية والدوائية ومواجهة شبح الأوبئة القاتلة التي تفتك بأبناء الشعب اليمني في مختلف محافظات الجمهورية اليمنية.

٣- دعوة مجلس الأمن إلى أن يضطلع بدوره الإنساني والقانوني بشأن إلغاء كافة القرارات والإجراءات التي اتخذت خلال الفترة الماضية وأدت وتؤدي إلى تمزيق وتشتيت اللحمة الوطنية وعدم الاستقرار الغذائي والصحي وتمزيق وحدة الوطن وتشتيت الإيرادات العامة للدولة.

٤- دعوة الأطراف المعنية إلى حوار بناء وشامل بدون شروط مسبقة وبإشراف دولي وصولاً إلى حل سياسي عادل يضمن تحقيق السلام والاستقرار لليمن والمنطقة والوصول إلى شراكة وطنية وسياسية حقة.

ختاماً:

يدعو مجلس النواب كافة الأطراف لوضع المصلحة العليا للوطن فوق كل المصالح والمشاريع الصغيرة والقبول بالآخر لإنهاء معاناة اليمنيين من ويلات الحرب المدمرة، والحصار الخانق والأوبئة القاتلة.

ثم العمل على حياكة المؤامرات مع الأعداء ضدهم وضد الوطن، وكان يعتقد أن الظرف قد أصبح مواتياً والفرصة سانحة للتخلص من أنصار الله والقضاء عليهم.

وقد اختار لتفجير الأوضاع في أمانة العاصمة والمحافظات ذكرى المولد النبوي الشريف لتنفيذ هذه المهمة التي طال انتظارها بالنسبة له ومن كلفه بها، فدعا في خطاب متلفز جماهير الشعب إلى الانقضاض على من أسماهم الحوثيين، ودعاء الموظفين في جميع مؤسسات الدولة إلى عدم الانصياع إلى التوجيهات من جانب قيادات هذه المؤسسات التي تتبع لمكون أنصار الله، ودعا أبناء الجيش ومن أسماهم المغرر بهم من أبناء اللجان الشعبية إلى وقف النار وإلقاء السلاح، ودعا من أسماهم الأشقاء – وهم الأعداء– إلى فتح صفحة جديدة، غير أن كل هذا التحريض وما تبعه من تفجير للأوضاع عسكرياً لم يجدِ نفعاً ولم يلقَ أي استجابة تذكر من جانب أبناء الجيش واللجان الشعبية، ومن جانب الشعب باستثناء بعض الغوغاء الذين تمكن من التأثير عليهم، وانتهت فتنته التي أشعلها خلال أيام، وكفى الله اليمن شره وشرها، وانتهى به الحال صريعاً مع بعض الخونة من قيادات حزبه على أيدي أبناء الجيش واللجان الشعبية.

الفرع الثاني: الاستهداف الخارجي للثورة اليمنية:

لم يكن الاستهداف الخارجي لثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤ وليد اللحظة، بل إن هذا الاستهداف وفقا لأجندة القوى الخارجية مرتبط بعدد من المعطيات لوضع اليمن وفقا لها تحت مجهر هذه القوى التي ظلت على الدوام تراقب من خلاله الوضع الذي رسمته لليمن، وهو أن يبقى متخلفا وتابعا لتلك القوى اقتصاديا وسياسيا، وأن محاولة بروز أي مشروع نهضوي يمكن أن توظف من خلاله موارد الشعب اليمني البشرية والمادية، وموقعه الجغرافي الاستراتيجي في خدمة نهضة شاملة فإن القوى الخارجية على استعداد تام لمواجهة مثل هذا المشروع بمختلف الوسائل.

أولا: أسباب الاستهداف الخارجي للثورة اليمنية :

السبب الأول: المشروع النهضوي:

تكمن مشكلة اليمن مع القوى الخارجية في قيام سلطة وطنية تحتضن الشعب اليمني وتوظف موارده الطبيعية وموقعه الاستراتيجي في خدمة التنمية الشاملة، ولذلك فقد عملت القوى الخارجية جاهدة على منع أي مشروع نهضوي من الخروج إلى الحيز العملي، وعملت تلك القوى من خلال عملائها وأيضا بشكل مباشر على إجهاض تلك المشاريع في مهدها، ففي فترة حكم الرئيس إبراهيم الحمدي كان التوجه المعلن هو النهوض باليمن ليأخذ مكانه بين شعوب المنطقة والعالم، والاستقلال باليمن عن التبعية للقوى الخارجية، ولكن سرعان ما تدخلت هذه القوى وأجهضت ذلك المشرع.

ومع بداية التسعينات من القرن الماضي تحديدا عند إعادة تحقيق وحدة شطري اليمن، حيث مثل هذا الحدث التاريخي قلقا للقوى الخارجية من أن يشكل دمج جيشي الشطرين ليصبح قوة عسكرية موحدة، وكذلك الحال بالنسبة لاقتصاد الشطرين مثل قلقا أيضا لتلك القوى، وكذلك النظامان السياسيان من أن يشكل كل منهما دعما للآخر، وبما يؤدي إلى أن يبرز اليمن كقوة اقتصادية وعسكرية وسياسية في المنطقة تخرج عن السيطرة.

لذلك فقد عملت السعودية ومن ورائها القوى الخارجية صاحبة المصلحة في إجهاض أي مشروع نهضوي على تدمير الجيش اليمني في حرب سنة ١٩٩٤، وبالنتيجة تدمير الجانب الاقتصادي والسياسي في اليمن، وظلت السعودية خلال الفترة التالية لحرب ١٩٩٤ تعبث بكرسي الحكم إلى أن أجبرت الرئيس على عبد الله صالح على التنازل لها عن الأراضي اليمنية بموجب اتفاقية جدة لسنة ٢٠٠٠، التي ألغت أحكام اتفاقية الطائف لسنة ١٩٣٤، التي حافظت على الأرض اليمنية لأكثر من ستين عاما.

وكان المشروع الأكثر إقلاقا بالنسبة للقوى الخارجية هو المشروع الفكري النهضوي للسيد حسين بدر الدين الحوثي سلام الله عليه، حيث أدركت القوى الخارجية أن هذا المشروع لا يهدف إلى مجرد النهوض باليمن اقتصاديا فحسب، بل إن هذا المشروع فكري تحرري يرفض ويقاوم الهيمنة والطغيان والارتهان للقوى الخارجية، و كانت هذه القوى تدرك أن مشروع السيد حسين رضوان الله عليه هو مشروع أمة توعوي تنويري إذا ما كتب له النجاح فلن يقف أثره ومداه من حيث الزمان عند مرحلة معينة، ومن حيث المكان عند جغرافية محددة، ولن يكون مرتبطا وجوده بوجود مؤسسه، بل إن هذا المشروع سيستمر ويزداد قوة [١٧٢].

ولذلك فقد عملت القوى الخارجية بكل ما لديها من قوة وباستخدام أدواتها المحلية[١٧٣] على محاربة هذا

١٧٢ – ما حصل بالفعل عقب استشهاد السيد حسين بدر الدين الحوثي حين تولى السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي قيادة المجاهدين في مواجهة النظام العميل.

١٧٣ – كانت السعودية قد أسست لجنة خاصة تتبع مجلس الوزراء مهمتها توزيع الأموال على عملائها في الداخل اليمني من الوجاهات الاجتماعية وقيادات الدولة مدنية وعسكرية في مختلف مستوياتها، و يؤكد ذلك ما تحدث به حميد الأحمر في حوار تلفزيوني مطول بعنوان (رحلة العمر) مع مذيع قناة معين عارف الصرمي حول استلام والده وإخوته مرتبات من السعودية فكان سؤال المذيع سؤل (الشيخ عبدالله) يوما إن كان يتقاضى أموالا من المملكة العربية السعودية من اللجنة الخاصة، فكانت إجابته تستحق التوقف حين قال ما أحد يكره الخير لصاحبه، كيف تفسر هذا الأمر؟ فرد حميد الأحمر حرفيا قائلا (سؤل الوالد الشيخ عبد الله رحمة الله عليه من قبل الإعلامي اللبناني المشهور الذي كان يعمل في قناة الجزيرة =

المشروع، ومحاولة وأده في مهده، وخنقه في مكان نطلاقه، وتمكنت بالفعل هذه القوى من قتل مؤسسه السيد حسين بدر الدين الحوثي- رضوان الله عليه- اعتقادا منها أنها قد سبقت الزمن وقضت على أخطر مشروع يهدد نفوذها في اليمن، لكنها ما لبثت أن أدركت خطأ تقديرها حين وثب حملة هذا المشروع بقوة وبقيادة السيد عبد الملك بن بدر الدين الحوثي لمقارعة الطغاة والمستكبرين، فخاضوا في مواجهتهم خمس حروب بعد استشهاد مؤسس المشروع السيد حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه- في الحرب الأولى، وليصبح بعد ذلك هذا المشروع الحامل الاساس لقضية الوطن، والمدافع عن حقوق أبناء الشعب في مواجهة الطغاة والفاسدين، فقد كان أنصار هذا المشروع قوة أسياسية في تحريك عجلة ثورة ٢٠١١ إلى جانب بعض القوى الأخرى.

وحين تم الالتفاف على الثورة الشعبية ومصادرتها تولى حملة هذا المشروع زمام المبادرة لاستعادة الثورة من خاطفيها، وطرد قوى الفساد والعمالة والارتهان، ومن ثم مواجهة الادوات الارهابية للقوى الخارجية، ومواجهة القوى الخارجية ذاتها، وقد ظل موقع اليمن وثرواته هاجسا يؤرق القوى الخارجية خشية تمكن الشعب اليمني من الاستفادة من موقعه الجغرافي وثرواته الطبيعة.

السبب الثاني: موقع اليمن الاستراتيجي:

تمتد حدود اليمن البحرية جنوبا وغربا ٢٥٠٠ كيلومتر، وقد سمح له هذا الامتداد بالتحكم في أحد أهم المضايق البحرية، وهو مضيق باب المندب، إضافة الى امتلاك اليمن لعدد كبير من الجزر المهمة، وعلى مدار العقود الماضية عملت القوى الخارجية، على إضعاف السلطة في اليمن حتى لا يكون لها دور في السيطرة على مضيق باب المندب، وظلت هذه السيطرة للقوى الخارجية، بهدف حرمان اليمن من الاستفادة من موقعه الجغرافي الاستراتيجي، وما يمكن أن تمثله السيطرة عليه من مكانة وتأثير سياسي لليمن، فمضيق باب

وأصبح الآن في قناة الميادين (سامي كليب) حول هل تستلم شيئا يا شيخ عبد الله من المملكة ؟ والشيخ عبد الله رد نعم أتقاضى مقررا شهريا من المملكة، وهذا الأمر ليس سرا وما زال يستلم كثير من أبناء اليمن وعلي عبد الله صالح كان يستلم وهو رئيس للدولة بل إن الرئيس ... فقاطعه المذيع قائلا ألا ينتقص هذا من السيادة في أنكم أنتم والرئيس تستلمون أموالا من دولة أجنبيه، فرد حميد الاحمر قائلا (المشائخ ما كان عندهم سيادة حتى نقول تنتقص، هم مواطنون يمنيون في ظل دولة فقيرة، هؤلاء تربطهم بالمملكة روابط قبيلة، ومن باب الرابطة القبلية، ونحن قبائل، وكان الأمير سلطان رحمة الله عليه دائما يتحدث عن الوشائج القبلية، فقاطعه المذيع يعني كانوا يدفعون لكم لأجل القبيلة أو لأجل وشائج قبلية، أم لأجل النفوذ السياسي؟ فرد حميد الأحمر قائلا (لا الاخوة في المملكة يؤمنوا بالقبيلة أيضا ويرون أن جزءا مما أعطاهم الله يعني يمكن أن يحافظ على هذا البنيان القبلي الذي يعتقدون أنه بنيان إيجابي، وتلك نظرتهم التي نشكرهم عليها).

المندب يعد من أهم المضايق العالمية التي تتحكم في طرق التجارة الدولية.

السبب الثالث: ثروات اليمن الهائلة :

تحوي الأرض اليمنية ثروات طبيعية هائلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتمتع اليمن بمناخ متنوع، ما يسمح له بإنتاج زراعي متنوع على مدار العام، وهو ما يمثل مادة خاما مهمة للصناعات الغذائية، التي ستغطي الاحتياج المحلي، وتصدير الفائض إلى دول الجوار، وغيرها من الدول، إضافة إلى الثروة الحيوانية والثروة السمكية المتنوعة في البحر الأحمر والبحر العربي، وفوق كل ذلك يملك اليمن ثروة بشرية هائلة مقارنة بدول الخليج، ولو أن السلطة القائمة في اليمن خلال العقود الخمسة الماضية قد استثمرت في الثروة البشرية لتمكن اليمن بالفعل من حيازة وصف صين العرب، باعتبار أن العنصر البشري في اليمن يملك القدرة على الإبداع والابتكار، وتحمل أعباء العمل في مختلف المجالات مقارنة بالعنصر البشري في دول الخليج.

ولم تكن حاجة العنصر البشري في اليمن – لكي ينتج في مختلف المجالات – إلا لتأهيل وصقل بعض مهاراته، من خلال معاهد متوسطة للتدريب المهني، والملاحظ أن تحالف العدوان السعودي ومن ورائه أمريكا قد ركز بشكل لافت على تدمير معاهد التدريب المهني.

وكذلك تدمير المدارس والجامعات وهو ما يؤكد خوف العدوان من العنصر البشري في اليمن، الذي يمكن أن ينهض بالوطن في فترة وجيزة في مختلف المجالات بحصوله على قدر يسير من التأهيل، وخير دليل على ذلك هو قدرة العنصر اليمني على الصمود والتحمل في ساحات المواجهة مع العدوان رغم الفارق الكبير في العدة والعتاد، وكذلك قدرة العنصر اليمني على الابداع فيما يتعلق بالإنتاج والابتكار والتطوير في مجال الصناعات العسكرية .

ثانيا: وسائل القوى الخارجية لاستهداف الثورة اليمنية:

تدرّجت القوى الخارجية في استخدامها لوسائل مواجهة الثورة اليمنية، وقد جاء استخدام هذه الوسائل نتيجة خشية القوى الخارجية من أن يؤدي نجاح الثورة اليمنية إلى خروج اليمن من عباءة الوصاية والتبعية لهذه القوى، ومن تأثيرات الثورة العابرة للحدود، ومن وجود سلطة مستقلة تحتضن الشعب اليمني وتوظف موارده الطبيعة للنهوض بالشعب في مختلف المجالات.

ولذلك فقد واكبت القوى الخارجية مراحل الثورة اليمنية، واستخدمت لكل مرحلة الوسيلة التي تناسبها، ففي المرحلة التي تمكنت فيها القوى العميلة بالتعاون مع القوى الخارجية من الالتفاف على الثورة اليمنية استخدمت القوى الخارجية المبادرة الخليجية لصناعة ثورة تتفق وأجندات هذه القوى، وفي مرحلة تالية استخدمت وسيلة أخرى تؤدي إلى اقتتال داخلي وتفكك يؤدي إلى التدمير الذاتي، من خلال زراعة بذور

الصراع بأيدٍ أجنبية.

واستخدمت القوى الخارجية في مرحلة تالية القوى الإرهابية لزعزعة الاستقرار الداخلي، وفرض هذه الدول لأجنداتها المشبوهة عن طريق هذه الوسيلة القذرة، وتوجت القوى الخارجية وسائلها المستخدمة في مواجهة ثورة ٢١ سبتمبر بإعلان التدخل العسكري المباشر، وجاء استخدام هذه الوسيلة عقب إفشال المخلصين من أبناء الشعب اليمني لكل وسائل القوى الخارجية الهادفة إلى احتواء الثورة والتدمير الذاتي لليمن بأيدي أبنائه، واستخدام القوى الخارجية لأدواتها الإرهابية، وهو ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في النقاط التالية:

الوسيلة الأولى: محاولة احتواء الثورة اليمنية من خلال المبادرة الخليجية

عقب اندلا ع الاحتجاجات الشعبية في فبرار ٢٠١١ عملت قوى العمالة في الداخل على التواصل مع القوى الخارجية لتنسيق الجهود من أجل احتواء الثورة اليمنية، التي كانت في حال نجاحها ستؤدي الى خسارة القوى العميلة في الداخل لمصالحها، ولذلك فقد كانت أولى خطوات هذا التنسيق دخول الجنرال على محسن الأحمر على خط الثورة بمبرر حمايتها وكذلك دخول بعض القوى السياسية التي أكدت قيادتها أنها تواصلت مع من أسمتهم بالأشقاء في السعودية، وأنها طمأنت الشقيقة الكبرى من عدم مساس الثورة في اليمن بمصالح السعودية وأمنها[١٧٤].

ولذلك فقد ترتب على دخول العسكر وبعض الأحزاب الانتهازية على خط الثورة وقف تحرك الثوار، وحصرهم في نطاق مكاني محدد، وحدوث اشتباكات مسلحة بين قوات الجنرال على محسن الأحمر وقوات الحرس الجمهوري، كان هدف هذه الاشتباكات إرهاب الثوار، ومنع اتساع الاحتجاجات، واستحداث ساحات وميادين اعتصام جديدة، وفي ذات الوقت جرى الترتيب لإنجاز صيغة اتفاق يحفظ مصالح الطرفين بعيدا عن الثوار.

وقد تمثل هذا الاتفاق في ما سمي بالمبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، وتم بالفعل تجسيد ما ورد فيها من خطوات متعلقة بنقل السلطة من الرئيس الى نائبه[١٧٥]، وتقاسم الحقائب الوزارية والمناصب العليا في الدولة

١٧٤ – وجاء في كلمة أمين عام حرب الاصلاح بمناسبة ذكرى تأسيسه ما نصه " لقد تواصلنا مع الاخوة في المملكة العربية السعودية وتم طمأنتهم بعدم مساس الثورة بمصالح المملكة".

١٧٥ – ورد في البند رابعا من المبادرة الخليجية ما نصه (في اليوم الثلاثين من بداية الاتفاق، وبعد إقرار مجلس النواب بما فيهم المعارضة لقانون الضمانات يقدم رئيس الجمهورية استقالته إلى مجلس النواب، ويصبح نائب الرئيس هو الرئيس الشرعي بالإنابة بعد مصادقة مجلس النواب على استقالة الرئيس.

مدنية وعسكرية بين الطرفين[١٧٦]، وتم بالنتيجة إقصاء الثوار، ومصادرة ثورتهم، وتحويلها من صيغة ثورة شعبية إلى انقلاب ناقص، باعتبار أن من دخلوا على خط الثورة هم جزء من السلطة القائمة، التي كان الأصل أن تشملهم الثورة جميعا، وكان نتيجة دخولهم إعادة صياغة معادلة التقاسم بين الطرفين، التي كانت قد اختلت في الفترة الماضية بسبب تغول الرئيس الصريع عفاش وإقصاء شركائه في السلطة من بعض المناصب المهمة في الدولة.

وقد تمكن أولئك من اقتناص فرصة زلزلة الثورة لكرسي الحكم ليفرضوا على شريكهم ومن خلال المبادرة الخليجية إعادة صياغة معادلة التقاسم بينهما، وإلى هنا اعتقدت القوى الخارجية وأدواتها في الداخل أنها قد تخلصت من الثورة، وأثارها المحتملة بما تضمنته المبادرة الخليجية حلول توفيقيه بين أدواتها المتصارعة، وما ترتب على ذلك من تشكيل حكومة ائتلافية، أما فيما يتعلق بالقوى الحرة المشاركة في الثورة، والتي تم اقصاؤها من أي مشاركة حقيقية في السلطة، وتم في ذات الوقت تجريف مخيمات اعتصاماتها في الساحات والميادين العامة، فإن مواجهة هذه القوى الحية في حال محاولتها التحرك من جديد لإشعال جذوة الثورة ستتم من خلال حكومة الائتلاف، التي نصفها قوى سياسية وعسكرية دخلت على خط الثورة لحمايتها، وسيتم قمع أي تحرك، وهو ما حصل فعلا، إضافة إلى استهداف كوادرها من جانب الأدوات الإرهابية للقوى الخارجية.

الوسيلة الثانية: محاولة إيصال اليمن لمرحلة التدمير الذاتي :

لم تكتف القوى الخارجية بمجرد مصادرة ثورة فبراير سنة ٢٠١١، بل إنها ذهبت أبعد من ذلك حين عملت على استدعاء خلافات ومآسي اليمنيين السابقة في مؤتمر الحوار الوطني، هذه المآسي التي تعد القوى الخارجية سببا رئيسا لها، وهذا الاستدعاء لم يكن القصد منه معالجة تلك المآسي بل تأجيجها من جديد، بهدف إدخال اليمن في دورات عنف جديدة تبدأ بمقترحات تجزئة اليمن، وما سيترتب عليها من خلافات واشكالات تؤدي إلى اقتتال اليمنيين، فقد كانت مشكلة اليمن تكمن في الاستحواذ على السلطة والثروة من جانب قلة قليلة من الجشعين، وأيضا إقصاء الآخرين وكان يمكن ببساطة حل مشكلة السلطة.

ولم تكن المشكلة في شكل الدولة، وبدلا من حل مشكلة السلطة ذهبت القوى الخارجية باتجاه تفكيك اليمن إلى كانتونات صغيرة متناحرة، وقد تم تمرير مشروع تقسيم خارطة اليمن جغرافيا الى ستة أقاليم تحت

١٧٦ – جاء في البند أولا من المبادرة الخليجية ما نصه (منذ اليوم الأول للاتفاق يكلف رئيس الجمهورية المعارضة بتشكيل حكومة وفاق وطني بنسبة (٥٠%) لكل طرف على ان تشكل الحكومة خلال مدة لا تزيد عن سبعة أيام من تاريخ التكليف.

مسمى الدولة الاتحادية، وكان واضحا ما تضمنته أجندة القوى الخارجية حين تم تشكيل لجنة لصياغة الدستور مهمتها الأساسية تكريس تقسيم اليمن إلى ستة أقاليم في صلب الدستور، وزرع بذور الصراع إلى أدنى مستويات إدارة الدولة بحيث أنه وبمجرد الاستفتاء على الدستور سيبدأ الاقتتال بين اليمنيين على الموارد الاقتصادية ليس بين الأقاليم ولا بين الولايات فيما بينها فحسب بل بين المديريات.

وبذلك المخطط كانت القوى الخارجية تعتقد أن اليمن سيصل في هذه الحالة إلى مرحلة التدمير الذاتي بواسطة أبنائه، وما على القوى الخارجية إلا أن تمسك بخيوط اللعبة وتحرك المتصارعين وفقا لما يخدم أجندتها، لكن لم يكتب لهذه الخطة الشيطانية أن ترى النور، حين تم إحباطها بنجاح ثورة ٢١ سبتمبر، التي أجبرت القوى الخارجية وأدواتها في الداخل على التوقيع على اتفاق السلم والشراكة، الذي تضمن معالجات حقيقة لمشاكل اليمن المزمنة في جوانبها المختلفة، وأهمها مشروع التقسيم الجديد لليمن إلى ستة أقاليم حيث تضمن الاتفاق إعادة النظر في شكل الدولة[١٧٧].

وحين حاولت أدوات القوى الخارجية التملص من تطبيق بنود اتفاق السلم والشراكة، وإصرارها على تمرير مشروع التقسيم وفرضه كأمر واقع، وما كشفته مكالمات الرئيس مع مدير مكتبه من نوايا خبيثة تجاه الوطن وأمنه واستقراره وسلامة أراضيه خدمة للقوى الخارجية، تمكن الثوار من إحباط ذلك التآمر، غير أن القوى الخارجية التي تدرجت في استخدام وسائلها التخريبية لأمن اليمن واستقراره لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه إحباط مخططاتها فأوعزت إلى أدواتها في الداخل بإحداث انهيار عام لمؤسسات الدولة، تمثل ذلك في استقالة الحكومة، واستقالة الرئيس، ولزوم الجميع لمنازلهم ورفضهم الاستمرار في تصريف شؤون الدولة وفقا للدستور.

وكان الهدف من إحداث انهيار عام لمؤسسات الدولة، وما يترتب عليه من تفكك المؤسسة الامنية والعسكرية، وتعطل الخدمات العامة، ودخول المجتمع من ثم في حالة فوضى عارمة يُعرف أولها ولا يُعرف أخرها، وتحميل مسؤولية ذلك الانهيار وما يترتب عليه من فوضى لثورة ٢١سبتمبر ٢٠١٤، التي سيقضي عليها السخط الشعبي، وتتلاشى هذه الثورة حسب مخطط القوى الخارجية في أتون الفوضى العارمة، التي ستعصف بالمجتمع اليمني، لكن خيبة أمل هذه القوى من إفشال الثورة لمخططاتها جعلها تنتقل لوسائل أخرى أكثر عنفا ودموية.

١٧٧ – ينظر نص البند العاشر من اتفاق السلم والشراكة.

الوسيلة الثالثة: مواجهة القوى الخارجية لثورة ٢١سبتمبر بالأعمال الإرهابية:

ذكرنا آنفاً أن القوى الخارجية لم يرق لها ذلك الإنجاز الذي حققه الشعب اليمني كنتاج لثورته، وبخاصة في جانب تحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على مؤسسات الدولة من الانهيار، عقب استقالة الحكومة ورئيس الدولة، من خلال تشكيل قيادة الثورة لسلطة مؤقتة عملت على تطبيق أحكام الإعلان الدستوري لإدارة المرحلة الانتقالية، فعمدت القوى الخارجية إلى تحريك أدواتها الإرهابية في الداخل لزعزعة الأمن والاستقرار وإفشال السلطة القائمة على إدارة المرحلة الانتقالية، وإدخال المجتمع في حالة من الفوضى، حيث استهدفت القوى الإرهابية المساجد والمعسكرات والمدارس والكليات العسكرية وأماكن تجمعات المواطنين وحافلات الطلاب، غير أن يقظة قوات الجيش والأمن واللجان الشعبية مكنتها من التغلب على التحديات الامنية، حين وجهت ضربات قاصمة للأدوات الإرهابية التابعة للقوى الخارجية أوشكت على إثرها هذه الأدوات على الانهيار.

الوسيلة الرابعة: التدخل العسكري المباشر لمواجهة ثورة ٢١ سبتمبر:

أقضّت النتائج الحاسمة التي حققتها قوات الجيش والأمن واللجان الشعبية في مواجهة الأدوات الإرهابية مضاجع القوى الخارجية، التي أعلنت على الفور عن قيام تحالف دولي بقيادة السعودية[١٧٨]، ومن وراء هذا التحالف دول كبرى، ومن العاصمة الأمريكية واشنطن أعلن هذا التحالف بدء عمليات عسكرية ضد اليمن في تاريخ ٢٦ مارس ٢٠١٥م، تحت مبرر استعادة الشرعية والقضاء على الانقلاب، وتدمير القدرات العسكرية للجيش اليمني، الذي واجه مسنودا باللجان الشعبية عنجهية وهمجية تحالف العدوان لما يقرب من سبع سنوات، أسقط من خلالها الاقنعة المستعارة، والشعارات الزائفة، محليا وإقليميا ودوليا، حول الهيبة والقوة وحقوق الانسان.

وكان يمكن للشعب اليمني أن ينجز هذه الاستحقاق في وقت قياسي وبثمن أقل كلفة لولا التحاق بعض القوى السياسية والقيادات والألوية العسكرية والوجاهات الاجتماعية بصفوف تحالف العدوان، وهو الأمر الذي صعب من مهمة الشعب اليمني في استعادة سيادته واستقلاله التي رهنها الحكام السابقون بيد القوى الخارجية، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إن قوى سياسية عميلة مرتهنة أوهمت قيادة الثورة أنها

١٧٨ – شاركت في تحالف العدوان على اليمن إلى جانب السعودية الإمارات العربية المتحدة والبحرين وإسرائيل وأمريكا والكويت ومصر والأردن والمغرب والسودان والسنغال ومالي وكينيا وفرنسا وبريطانيا، إضافة إلى عدد من الدول التي اختلفت مشاركتها في العدوان حسب مقتضيات مصالحها مع السعودية وأمريكا.

ضد العدوان ومستعدة للعمل في صفوف الشعب اليمني لمواجهته، غير أن هذه القوى العميلة وعلى رأسها قيادات مدنية وعسكرية[١٧٩]، كانت تلتحق تباعا بصفوف العدوان، وفي مراحل متقدمة من مواجهة الشعب اليمني بجيشه ولجانه الشعبية لهذا العدوان.

ولا شك أن هذه الخيانة وغيرها من السلوكات السلبية أخرت مهمة الشعب اليمني في إنجاز الاستحقاق الوطني المتمثل في استعادة حقه في السيادة والاستقلال، وحقه في اختيار حكامه ونظام حكمه بإرادته الحرة المستقلة، بعيدا عن التبعية للقوى الخارجية.

الفرع الثالث: فشل القوى الخارجية في قمع أو احتواء الثورة اليمنية:

استعصت ثورة الشعب اليمني على القمع أو الاحتواء من جانب أي من محوري قوى الهيمنة الخارجية، ونتيجة لذلك شكلت هذه القوى مدفوعة بفشلها تحالف عدوان دولي لوأد ثورة الشعب اليمني في مهدها، متذرعة بمساندة الشرعية ضد الانقلاب، وقد ارتكب تحالف العدوان ومنذ اليوم الأول وطوال سنوات عدوانه على الشعب اليمني مئات المجازر بحق المدنيين[١٨٠] وتدميرا واسعا لبنيته التحتية، غاية المجازر والدمار كسر إرادة الشعب اليمني، وثنيه عن الاستمرار في ثورته وتحقيق أهدافه، وإعادة الشعب اليمني إلى عباءة التبعية للقوى الخارجية، وهذا هو الهدف الذي فشلت في تحقيقه القوى الخارجية بمختلف الوسائل، فعمدت إلى الإفراط في استخدام القوة المسلحة وارتكاب المجازر البشعة بحق المدنيين لتحقيق هذا الهدف، غير أن الشعب اليمني وعلى مدار سنوات الحرب ظل صامداً متماسكا متمسكاً بحريته واستقلاله وإرادته في تصميمه على انتزاع حقه في حماية سيادته الشعبية على أرضه، واستقلاله عن القوى الخارجية وإنهاء التبعية لهذه القوى مهما كان الثمن باهظاً[١٨١].

١٧٩ – منهم الرئيس السابق علي عبدالله صالح الذي أعلن خيانته للثورة والعمل لمصلحة تحالف العدوان لتحول جزء كبير من جهود الجيش والأمن واللجان الشعبية لمواجهة الخيانة والقضاء عليها، ومن ثم معالجة ما ترتب عليها من أثار

١٨٠ – تضمنت التقارير الصادرة عن المنظمات والمراكز الحقوقية المحلية والخارجية، وكذلك التقارير الصادرة عن الجهات الرسمية ومنها التقارير الصادرة عن وزارة حقوق الإنسان مئات المجاز التي ارتكبها طيران تحالف العدوان خلال سبع سنوات، ضحيتها عشرات الألاف من القتلى المدنيين أغلبهم من النساء والأطفال.

١٨١ – للمزيد من التفصيل حول جرائم تحالف العدوان ينظر :

– التقرير الأول للفريق الوطني المكلف بالتعامل مع فريق الخبراء الدوليين من ٢٦ مارس ٢٠١٥ وحتى ٣٠ يونيو ٢٠٢٠ ، مطابع الهيئة العامة للمساحة والتخطيط العمراني، صنعاء، ص ٧٤ وما بعدها..

– وزارة العدل، الادانات الدولية لجرائم التحالف السعودي الأمريكي على اليمن، الجزء الأول ٢٠١٧، ص ٩ وما بعدها.

– وزارة العدل، التوصيف القانوني لجرائم تحالف العدوان الامريكي السعودي الاماراتي على اليمن،٢٠١٨ ص ٢٧٠ وما بعدها =

ولعل ما هو أبعد من الأسباب الواردة في الفرع السابق وأقساها على الشعب اليمني وأشدها إيلاما له، واثقلها وطأة عليه، هو تعطيل أسلحته الردعية الاستراتيجية[١٨٢] وتدمير قدراته الدفاعية، وقد جسد جزء من ذلك ما بثته القنوات الاعلامية من مشاهد تدمير منظومات الدفاع الجوي[١٨٣] بأيدي خبراء أمريكيين وتحت إشرافهم المباشر، وبحضور مسؤول جهاز الأمن القومي[١٨٤].

ولم يكن استهداف الكفاءات العسكرية[١٨٥] والمدنية[١٨٦] إلا جزءا من مخطط خارجي لإفراغ البلد من كوادره المؤهلة في جميع المجالات بالتوازي مع تدمير قدراته العسكرية وبنيته التحتية.

= – وزارة العدل، العدوان السعودي الأمريكي على السلطة القضائية، الإصدار الأول ص ٩٣ وما بعدها .

– وزارة التربية والتعليم، التعليم في اليمن، أربعة أعوام من الصمود في وجه العدوان، إصدار وزارة التربية والتعليم، مارس ٢٠١٩، ص ٧٥ وما بعدها.

١٨٢ – جرى تعطيل منظومة الصواريخ البالستية التي كانت بحوزة الجيش اليمني بإشراف خبراء أمريكيين وأردنيين تحت ما سمي بإعادة الهيكلة لتصبح تلك المنظومات من طراز اسكود وتوشكا غير فعالة وغير صالحة للإطلاق، ولم يكتف مشروع الهيكلة بتعطيل منظومة الاسلحة الاستراتيجية، بل جرى اغتيال ممنهج لعدد من القيادة والخبرات العسكرية المتخصصة في هذا المجال.

١٨٣ – بثت قناة المسيرة وعدد من القنوات اليمنية مشاهد لتدمير صواريخ دفاع جوي من طراز سام ٧ روسية الصنع كان اليمن قد حصل عليها من الاتحاد السوفيتي خلال فترة الحرب الباردة، قبل إعادة تحقيق الوحدة اليمنية، وقد جرى تدمير منظومات الدفاع الجوي بإشراف خبراء عسكريين أمريكيين وبحضور وكيل جهاز الأمن القومي للجمهورية، وعدد من منتسبي وزارة الدفاع اليمنية من ألوية الصواريخ، وكان مشهد تدمير تلك المنظومات الدفاعية محزنا خصوصا أن وكيل جهاز الأمن القومي كان يتبادل مع العسكريات الأمريكيات الابتسامات العريضة أثناء عمليات تفجير تلك المنظومات، لمزيد من التفصيل ينظر موقع قناة المسيرة على الرابط :

https://Youtu.be/VULeyPTFlf0

١٨٤ – الأصل أن مهمة جهاز الأمن القومي حماية أمن الدولة في مختلف المجالات الأمنية والدفاعية والغذائية والدوائية والسياسية والثقافية والاجتماعية، فهو جهاز معني بأمن الدولة بمفهومه الواسع، وإذا ما كان هذا هو سلوك الجهاز الأمني الأول المعني بحماية أمن الدولة والمرتبط مباشرة بأعلى سلطة فيها فكيف سيكون حال غيره من الاجهزة الأمنية؟.

١٨٥ – تعرض العشرات من كوادر القوات المسلحة والامن للقتل بعمليات اغتيال من جانب القوى الارهابية التكفيرية التي عملت لحساب القوى الخارجية.

١٨٦ – شملت عمليات الاغتيال والتصفية الجسدية الموجهة ضد الكفاءات المدنية كوادر إعلامية وسياسية ودينية وأكاديمية .

الفرع الرابع: تماهي منظمة الأمم المتحدة مع تحالف العدوان:

إننا عندما نتحدث عن مسؤولية منظمة الأمم المتحدة إنما نستند في ذلك إلى كونها تمثل شخصية مستقلة عن الدول المكونة لها، وبموجب هذه الشخصية القانونية فلمنظمة الأمم المتحدة حق اكتساب الحقوق وفقاً لميثاقها وعليها واجب التحمل بالالتزامات وفقاً لأحكام هذا الميثاق، وعلى رأس هذه الالتزامات منع العدوان وقمعه إن لزم الأمر بما تمتلكه من وسائل خولها ميثاقها عبر مجلس الامن الدولي.

ومع ذلك فكثيرة هي الحالات وكثيرة هي الأمثلة التي تعرضت فيها الشعوب للغزو والاحتلال والتدمير لمقومات دولها من جانب قوى البغي والاستكبار لتحل الفوضى والاقتتال الداخلي بين شعوب تلك الدول المدمرة تنفيذاً لمخططات قوى الهيمنة والاستكبار والاستعمار، وفي ظل صمت مخزٍ وتنصل فاضح من جانب منظمة الأمم المتحدة عما ترتكبه قوى الإجرام من فضائع بحق الشعوب الآمنة المستقرة لتحول بنيتها إلى ركام وسكانها إلى نازحين ولاجئين ومشردين، ولأن عمليات التدمير للدول وتفكيك الشعوب من جانب دول العدوان لم تستغرق وقتاً يذكر بسبب انهيار جيوشها وقواتها المسلحة وتحولها إلى مجموعات تتقاتل بينها، كما هو حاصل في بعض الدول في منطقة الشرق الأوسط، بدلاً عن توحيد تلك القوى لمواجهة العدوان.

لكل ذلك لم تثر مسؤولية منظمة الأمم المتحدة تجاه دول العدوان وما ارتكبته من جرائم حرب، وفظائع بحق الشعوب في تلك الدول وتدميرها بشكل كلي لمقومات حياتها بهدف تفرد دول الاستعمار بنهب خيراتها ومقدراتها في ظل عدم وجود سلطة وطنية تحمي مقدرات الدولة وثروات الشعب، أو في ظل وجود سلطة عميلة مرتهنة لقوى الهيمنة والاستعمار، والشعب اليمني كان عرضةً للتدمير والتفتيت بهدف الاحتلال والسيطرة على موقعه الاستراتيجي.

وتؤكد ذلك المعطيات السابقة على العدوان بشكل واضح وجلي، ولو أن دول العدوان تمكنت من حسم الحرب وفقاً لما خططت له في أيام أو أشهرٍ وفرضت على الشعب اليمني الاستسلام، أو فرضت عليه سلطة عميلة مرتهنة، لما أثيرت هنا مسؤولية منظمة الأمم المتحدة، ولما كانت محلاً للبحث والنقاش، فالفضل لله تعالي ثم للقياد الإيمانية الوطنية الحكيمة للسيد عبد الملك بن بدر الدين الحوثي، ولصمود الشعب اليمني بجيشه ولجانه الشعبية في وجه العدوان ولما يقرب من سبعة أعوام، هذا الصمود هو الذي فضح عملاء الداخل والإقليم لقوى الهيمنة والاستكبار.

ولم يقف الانكشاف عند هذا الحد، بل إن المدى الزمني للعدوان لما يقرب من ست سنوات قد كشف الكثير من المواقف الدولية، وأوجد الأرضية الملائمة لدراسة هذه المواقف وتقييمها محلياً وإقليمياً ودولياً، وعلى رأسها مواقف منظمة الأمم المتحدة من العدوان وجرائمه بحق الشعب اليمني، حيث تنصلت عن

التزاماتها القانونية، بل وتماهت مع العدوان وغطت جرائمه.

ومنظمة الأمم المتحدة كما هو معلوم ليست منظمة الصليب الأحمر ولا منظمة الهلال الأحمر، حتى يقتصر دورها على بعض الجوانب الإنسانية المشوهة أحياناً، بل إن هذه المنظمة محكومة بقواعد قانونية دولية آمرة وملزمة ليس لها مخالفتها، وواجبها قمع الدول التي تنتهكها وهي تملك الوسائل اللازمة لذلك وفقاً لميثاقها.

ومع أن منظمة الأمم المتحدة قد أعلنت بشكل واضح في القرارات الستة[١٨٧] الصادرة عن مجلس أمنها عن التزامات تجاه اليمن، تتمثل هذه الالتزامات في:

١- وحدة اليمن وسيادته واستقلاله:

ما هو الحاصل اليوم في الواقع، هذا الالتزام مكتوب ومدون في قرارات الأمم المتحدة الستة وتؤكد عليه هذه القرارات، لكن الواقع أن وحدة اليمن واستقلاله يتعرض للتفتيت وسيادته تتعرض للانتهاك، بشهادة وتواطؤ منظمة الأمم المتحدة.

٢- حماية حقوق الإنسان من الانتهاك:

كانت الأمم المتحدة في قراراتها تؤكد على حماية حقوق الإنسان من الانتهاك، حقوق الإنسان التي كانت مصانة لم تكن منتهكة، كانت تتحدث عن حقوق بسيطة، عن خدمات بسيطة... المياه.. الصحة.. كانت مؤسسات المياه قائمة وتعمل وتؤدي خدمات المياه، والمؤسسات الصحية قائمة وتعمل وتؤدي الخدمات الصحية للمواطنين، ومنظمة الأمم المتحدة في ذلك الحين ترفع صوتها عالياً أن هناك انتهاكاً لحقوق الإنسان، كانت هناك اعتقالات بسيطة، صحيح كانت هناك بعض الإجراءات التعسفية، لكن ما الذي حصل اليوم؟ ما هو الحاصل اليوم؟ وأين الأمم المتحدة اليوم؟ حق الإنسان في الحياة منتهك، وصمتت الأمم المتحدة في كل هذه الظروف، صمتت منظمة الأمم المتحدة لأكثر من ست سنوات من جرائم الحرب والابادة والجرائم ضد الإنسانية، بل وغطت منظمة الأمم المتحدة جرائم العدوان السنوات

١٨٧ – صدر عن مجلس الأمن الدولي بشأن اليمن القرارات الآتية :

- ٢٠١٤ / ٢٠١١
- ٢٠٥١ / ٢٠١٢
- ٢١٤٠ / ٢٠١٤
- ٢٢٠١ / ٢٠١٥
- ٢٢٠٤ / ٢٠١٥
- ٢٢١٦ / ٢٠١٥

الماضية، ولا زالت على حالها تمد الغطاء كلما تمادى العدوان في ارتكاب جرائمه بحق أبناء الشعب اليمني.

٣-مواجهة تنامي ظاهرة الإرهاب:

كانت الأمم المتحدة تبدي في كل قراراتها قلقها وخشيتها من تنامي ظاهرة الإرهاب وتأثيرها على اليمن وعلى المنطقة وعلى العالم، اليوم الأمم المتحدة بأم عينيها تتفرج على إلقاء السلاح للعصابات الإرهابية ولقوى الإرهاب، تتفرج على دعم قوى الإرهاب من جانب دول عظمى دائمة العضوية في مجلس أمنها، تدعم قوى الإرهاب بشتى الوسائل بالمال والسلاح، والدعم اللوجستي، وكل أنواع الدعم يُقدم للقوى الإرهابية، وصمتت الأمم المتحدة بعد أن كانت تتحدث عن خطورة القوى الإرهابية عندما كان تأثيرها محدودا للغاية، أما الآن وبعد ما يقرب من سبع سنوات من الدعم وبعد أن تغولت القوى الإرهابية صمتت الأمم المتحدة، ورمت بالمبادئ الواردة في ميثاقها عرض الحائط.

٤- الحد من تفاقم الحالة الإنسانية:

كانت الأمم المتحدة تصرخ أن الحالة الإنسانية في اليمن متفاقمة، لم يكن هناك حصار وكانت الأمور على ما يرام، وكانت الأمم المتحدة تصرخ أن الحالة الإنسانية متفاقمة، وأنه يجب الوقوف إلى جانب الشعب اليمني، وأنه يجب جمع المزيد من الأموال لدعم الشعب اليمني، ولرفع مستوى الخدمات للشعب اليمني، ولعدم تعريض الإنسان لمخاطر المجاعة وما شابه ذلك، واليوم وبعد ما يقرب من سبع سنوات والحصار قائم جواً وبراً وبحراً صمتت الأمم المتحدة، لم تعد تتحدث عن الحد من تفاقم الحالة الإنسانية، وبعلمها تدخل أدوية ومواد فاسدة لمزيد من مفاقمة الحالة الإنسانية.

٥- رعاية العملية السياسية وحق اليمنيين في إدارتها:

لطالما رددت منظمة الأمم المتحدة في القرارات الصادرة عن مجلس أمنها عن رعايتها للعملية السياسية في اليمن، وأنها فقط تشرف على إدارة اليمنيين لهذه العملية السياسية، باعتبار أن العملية السياسية حق للشعب اليمني، وليس لأي كان أن يتدخل، ومع أنه في ذلك الحين كانت هناك فقط ضغوطات وتدخلات غير مباشرة من جانب بعض القوى الإقليمية والدولية، لكن اليوم بعد أن أصبح التدخل أمراً واقعاً وفرض سلطة ودعم سلطة وترديد شرعية سلطة فاقدة للشرعية ولا قيمة لها صمتت الأمم المتحدة ولم تكتف بالصمت، بل إن الأمم المتحدة تتبنى مزعوم هذه الشرعية.

٦-منع التدخل الخارجي في شؤون اليمن:

كانت الأمم المتحدة توصي الدول المجاورة وغيرها من الدول ألا تتدخل في شؤون اليمن ولا يجوز التدخل في شؤون اليمن، كان تدخلاً غير مباشر، تدخل سافر صحيح لكنه غير مباشر، الآن ومنذ ما يقرب من سبع

سنوات أصبح التدخل مباشرا، تدخل بالقوة العسكرية، تدخل بالمال، تدخل بجلب المرتزقة، تدخل بجلب الجيوش لشن عدوان على الشعب اليمني، ومع ذلك صمتت الأمم المتحدة ولم تعد ترى هذا القصف وهذا العدوان الإجرامي تدخلاً، بينما كانت ترى في الماضي أن مجرد تصريح من هنا أو هناك يعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية للشعب اليمني. هذه هي الأمم المتحدة التي عملت على رفع السعودية من القائمة السوداء للدول المنتهكة لحقوق الطفولة، ولأكثر من مرة، منذ بداية الحرب العدوانية قبل ما يقرب من سبع سنوات والى اليوم، وهو ما يمثل وصمة عار في جبينها لدورها المتماهي مع العدوان، بل ويوفر له الغطاء السياسي والقانوني للاستمرار في ارتكاب المزيد من الجرائم بحق أبناء الشعب اليمني في مقابل استمرار دول العدوان في إدرار الأموال إلى خزائن المنظمة الدولية .

الخاتمة:

نخلص من خلال بحث موضوع مبدأ السيادة الشعبية وثورات الربيع العربي الى عدد من النتائج والتوصيات، على النحو الآتي:

أولا: نتائج البحث:

١- أن مبدأ السيادة الشعبية الذي كرسته دساتير الأنظمة العربية التي تبنت – نظريا — المبادئ الديمقراطية، لا يعدو عن كونه نظريا، لا صلة له بما هو قائم من ممارسات الحكام على أرض الواقع.

٢- لم تستفد الأنظمة العربية التي تبنت– نظريا– المبادئ الديمقراطية مما هو سائد من تطبيق عملي لمبدأ السيادة الشعبية في ظل الديمقراطيات الغربية، رغم مرور عقود من الزمن على انطلاق التجارب الديمقراطية للأنظمة العربية.

٣- عمل الحكام العرب في الأنظمة التي تبنت المبادئ الديمقراطية على سلب الشعوب العربية كامل حقوقها السياسية، بل وحقوقها المدنية، رغم أنها ضمنت صراحة دساتيرها مبدأ السيادة الشعبية، واعتمد الحكام العرب لتحقيق أهدافهم سياسة إفقار وتجويع الشعوب العربية، لتظل هذه الشعوب تلهث وراء لقمة العيش، رغم ما يتوافر لها من موارد وثروات طبيعية .

٤- عمل الحكام العرب في الأنظمة ذات القناع الديموقراطي على التحايل والتلاعب والتضليل للشعوب العربية ليستمروا في سدة الحكم، خلافا لما يقضي به مبدأ السيادة الشعبية، وذلك عبر المسرحيات الانتخابية الهزلية، التي تفضي في كل دورة انتخابية إلى إعادة انتخاب الحكام أنفسهم وبنسبة تفوق ٩٩%، إضافة إلى تعديل وتمديد الدورات الانتخابية وتصفيرها.

٥- عمل الحكام العرب في الأنظمة التي تبنت — نظريا – المبادئ الديموقراطية على إدخال الشعوب العربية في دورات صراع وعنف مفتعلة وممولة من المال العام، لتظل مكونات الشعوب منشغلة بالصراعات البينية، في الوقت الذي يتفرغ فيه الحكام لترتيب أوضاعهم وتثبيت وجودهم في السلطة.

٦- لم يقتصر عبث الحكام العرب في الأنظمة العربية الشكلية على تكريس وجودهم في السلطة، بل تبع ذلك سعي حثيث لتوريث السلطة لأولادهم وأحفادهم، في انتهاك صارخ لمبدأ السيادة الشعبية.

٧- اعتمد الحكام العرب في الأنظمة الديمقراطية الشكلية في تثبيت وجودهم في السلطة على إسناد أهم المناصب في الدولة وفي مختلف مستويات السلطة العامة إلى أبنائهم وأقاربهم ومن يدينون لهم شخصيا بالولاء.

٨- اعتمد الحكام العرب كذلك في تثبيت وجودهم وأبنائهم في سدة الحكم على الاستحواذ على الموارد العامة، وتسخيرها فيما يخدم استمرارهم وبقاءهم وأولادهم في السلطة.

٩- لم يكتف الحكام العرب بالاستحواذ بالمناصب المهمة والحساسة في الدولة والاستئثار بالموارد والثروات العامة للشعوب العربية بل إنهم فوق ذلك عملوا على إسكات كل صوت معارض ومدافع عن حقوق الشعوب العربية.

١٠- تمكن الحكام العرب في الأنظمة الديموقراطية الشكلية من توثيق علاقاتهم مع أجهزة الاستخبارات التابعة لقوى الهيمنة الخارجية وجعلوا الشعوب العربية ساحات مفتوحة لها تسرح وتمرح، وتعبث بماضي الشعوب العربية وحاضرها ومستقبلها، خدمة لأجندات دولها، في مقابل دعم الحكام للاستمرار في مناصبهم على رأس الأنظمة العربية.

١١- سخر الحكام العرب في الأنظمة الديمقراطية الشكلية موارد الشعوب العربية وثرواتها الطبيعية لخدمة قوى الهيمنة الخارجية، التي لم تخف رضاها عن الحكام العرب، رغم ممارساتهم القمعية التي تتناقض مع مبدأ السيادة الشعبية، الذي تلتزم به وتطبقه حرفيا أنظمة الحكم القائمة في الدول الغربية.

١٢- عمل الحكام العرب في الأنظمة الديموقراطية الشكلية على تسهيل عمليات نهب ثروات الشعوب العربية ومواردها الطبيعية من جانب الشركات الرأسمالية التابعة لقوى الهيمنة الخارجية، في مقابل رضا هذه القوى عن الحكام واستمرارهم على رأس أنظمة الحكم القائمة في الشعوب العربية.

١٣- سهل الحكام العرب لأجهزة المخابرات التابعة لقوى الهيمنة الخارجية مهمة إفساد حياة الشعوب العربية في مختلف جوانبها.

١٤- عملت قوى الهيمنة الخارجية بشكل مباشر –عندما شعرت بمستوى الغليان الشعبي ضد أنظمة الحكم في الدول العربية – على مسارين الأول استمرار دعم عملائها في الأنظمة العربية لقمع أي احتجاجات مناوئة لتلك الأنظمة، والثاني العمل قدر الامكان على احتواء تلك الاحتجاجات.

١٥- عندما تحركت الاحتجاجات الشعبية على ممارسات الحكام سنة ٢٠١١، وتحولت من ثم إلى ما عرف بثورات الربيع العربي، لم تقف قوى الهيمنة الخارجية مكتوفة الأيدي، بل إنها ركبت موجة ثورات الربيع العربي بعد أن أدركت تلك القوى أن وسائل حمايتها لعملائها في أنظمة الحكم العربية أصبحت شبه منعدمة، حينها قررت التضحية بهم، ورفعت صوتها منادية بحقوق الشعوب العربية، ومنددة بقمع الاحتجاجات الشعبية.

١٦- عملت قوى الهيمنة الخارجية على تشكيل محورين لتنفيذ أجنداتها في مواجهة ثورات الربيع العربي ومحاصرتها وإجهاضها وتوظيف نتائجها لما يخدم أهدافها والمحوران هما: محور القمع، ومحور الاحتواء، تشكل الأول من السعودية والامارات، والثاني من تركيا وقطر، وقد عمل المحوران بشكل مستقل بحسب ما هو مرسوم لكل منهما، مع بعض التداخلات والتدخلات بينهما.

١٧- رغم كل ما طفا على سطح الساحة السياسية من خلافات وتباينات بين المحورين وصلت إلى حد القطيعة فإن تلك الخلافات كانت موجهة، وتحت سيطرة قوى الهيمنة الخارجية، التي أمسكت بخيوطها وحركتها صعودا وهبوطا بما يخدم أهدافها.

١٨- تمكن المحوران بالفعل من أداء المهام الموكلة لكل منهما، فالمحور القمعي بقيادة السعودية وفر الأموال والسلاح اللازم لإشعال الصراعات في عدد من دول الربيع العربي، واستمر ذلك لسنوات حتى أُنهكت الشعوب العربية ودُمر اقتصادها وخُربت مدنها وسُفك دماء أبنائها وهُجر وشُرد الملايين من مواطنيها، لتصل بذلك قوى الهيمنة الخارجية إلى إقناع الشعوب العربية بنتيجة مفادها أن عبودية الشعوب للحكام العملاء أفضل من سعيها لاسترداد سيادتها الشعبية، وكذلك الحال فقد تمكن محور الاحتواء من توظيف نتائج ثورات الربيع العربي – لما يخدم توجهات قوى الهيمنة الخارجية– في الدول التي نجحت شعوبها في إزاحة الحكام وسلم اقتصادها من الانهيار، ومدنها من الدمار، وابناؤها من نتائج الاقتتال.

١٩- عمل المحوران معا فيما يتعلق بثورة اليمن، فقد شكل المحور القمعي تحالفا دوليا لإجهاض ثورة الشعب اليمني ووأدها في مهدها، بعد أن فشلت جهود المحور الثاني في احتواء الثورة والسيطرة على توجهاتها خدمة لقوى الهيمنة الخارجية ، وقد ساند المحوران بعضهما في الحرب العدوانية على الشعب اليمني، وبذريعة إعادة الشرعية، إلى خليط غير متجانس من عملاء المحورين، ومع ذلك لم ينجح أي من المحورين في مهامه، ولم ينجح المحوران معا ومن ورائهما قوى الهيمنة الخارجية في احتواء أو إجهاض ثورة الشعب اليمني، التي واجهت بصبر وثبات الحرب العدوانية لما يقرب من سبع سنوات.

٢٠- أن صمود الشعب اليمني وصبره في مواجهة الحرب العدوانية يعني بشكل واضح وصريح إصراره على انتزاع سيادته الشعبية من بين فكي قوى الهيمنة الخارجية وعملائها الاقليميين والمحليين.

٢١- يمكن إرجاع ثبات وصمود وإصرار الشعب اليمني ولما يقرب من سبع سنوات في مواجهة تحالف الحرب العدوانية إلى شجاعة وحكمة وحنكة ودراية قيادة الثورة التي جسدت فعلا لا قولا الإرادة الصلبة للشعب اليمني في المواجهة والثبات والصمود والتصدي للعدوان من خلال الإدارة الحكيمة الواعية المستنيرة لمختلف ساحات وميادين المواجهة للحرب العدوانية.

ثانيا : التوصيات:

١- لأن أزمة الشعوب العربية مثلت أزمة نخبة اختارت أن تضع نفسها تحت تصرف الحكام العملاء المتسلطين، وأخذت على عاتقها أيضا مواجهة كل صوت حر ومعاونة الحكام لإسكاته، فإنه يتوجب على النخبة الجديدة في الوقت الراهن أن تستفيد من السلوك السلبي للنخب السابقة خلال العقود الماضية، وأن تعمل بجد واخلاص وإيمان على توعية الشعوب بحقوقها العامة، وعلى رأسها الحق في السيادة الشعبية، وما يترتب عليه من استقلال في مواجهة الدول الأخرى، خصوصا تلك التي تسعى جاهدة للهيمنة على مقدرات الشعوب ونهب ثرواتها ومواردها.

٢- العمل بشكل مستمر على فضح الأساليب المتطورة لقوى الهيمنة الخارجية التي تعمل من خلالها على اختراق بنية الشعوب العربية حكاما ومحكومين، ومن ثم ضربها من نقاط ضعفها.

٣- على النخب العربية الجديدة عدم الانخداع بالأساليب الجذابة التي تروج لها قوى الهيمنة حول الديمقراطية والحقوق والحريات، وخصوصا ما يتعلق بحقوق النساء والأطفال، فقد اتضح جليا زيف ذلك الترويج فالنساء والأطفال وبمئات الألاف هم وحدهم ضحايا ذلك الترويج الزائف، الذي مثل مجرد طعم للإيقاع بالشعوب العربية، وأن الديمقراطية لم تعدُ كونها نسخة مزيفة لا قيمة لها مقارنة بالنسخة المطبقة في ظل أنظمة الحكم في الدول الغربية.

٤- ندعو قيادة الثورة في بلادنا إلى العمل وبشكل حثيث على تفعيل الآليات الكفيلة باشراك الشعب عمليا في إدارة الشؤون العامة، وفي مختلف مستويات السلطة العامة.

٥- ندعو قيادة الثورة في بلادنا إلى العمل وبشكل حثيث على تأهيل وتدريب كوادر وطنية والاستفادة من تجارب الدول العربية والإسلامية الحرة في مختلف المجالات، وعدم الاعتماد مستقبلا على كوادر أجنبية غربية فعن طريق تلك الكوادر تمت عملية الاختراق لأجهزة ومؤسسات الدولة، وما تلاه من عبث وتخريب لكل مقومات الشعوب العربية.

٦- ندعو قيادة الثورة إلى الإعلان – وبشكل فوري– عقب توقف الحرب العدوانية عن تأسيس جامعة بمسمى جامعة الاستقلال، تتبع مباشرة قيادة الثورة تضطلع هذه الجامعة بتأهيل كوادر وطنية في مختلف المجالات وفقا لشروط قبول غاية في الصرامة.

٧- ندعو قيادة الثورة إلى الاستفادة القصوى في الوقت الراهن من الكوادر الكفؤة في مختلف المجالات مع إعمال صارم لمبدأ الثواب والعقاب.

٨- ندعو قيادة الثورة إلى عدم السماح ببروز أي تكتلات مناطقية أو أُسرية أو جهوية في مؤسسات الدولة، وأن يكون العنوان العام لشغل منصب السلطة العامة رجال للوظائف لا وظائف للرجال.

المصادر المراجع:

أ. د. متولي عبد الحميد – وهو يشير في مؤلفه لعدد من الفقهاء الغربيين – أزمة الأنظمة الديمقراطية، مطبعة بروكشيا الإسكندرية، سنة١٩٥٤.

أ. د. بدوي ثروت ، النظم السياسية ،دار النهضة العربية القاهرة،٢٠٠٥ ص ٤٢ وما بعدها.

د. رسلان أنور أحمد ، الوجيز في النظم السياسية، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة،

د. عبدالله عبدالغني بسيوني ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٧.

جبيروم أ. بارون وآخرين الوجيز في القانون الدستوري ، المبادئ الاساسية للدستور الامريكي ترجمة محمد مصطفى غنيم ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة العربية الاولى١٩٩٨.

المحطوري علي شرف ، ثورة ٢١ سبتمبر اسقطت وصاية، دار المسيرة، للنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الاولى ٢٠٢١.

الدساتير

الدستور الالماني

الدستور الامريكي

الدستور الفرنسي

الدستور الهندي

الدستور المملكة المغربية النافذ

الدستور التونسي الصادر سنة ٢٠١٤

النظام الاساسي للمملكة العربية السعودية.

دستور مملكة البحرين النافذ.

الدستور المصري لسنة ٢٠١٤.

الدستور السوداني لسنة١٩٩٨

لإعلان الدستوري الصادر سنة ١٩٦٢م

الدستور المؤقت للجمهورية العربية اليمنية الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٣/١٤

الدستور الدائم الأول الصادر سنة ١٩٦٤

الدستور المؤقت الثالث الصادر سنة ١٩٦٧م

الدستور الدائم الثاني الصادر سنة ١٩٧٠م

دستور جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الصادر في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٠ المعدل

دستور الجمهورية اليمنية الصادر في ٢٢ مايو ١٩٩٠ المعدل

الاعلان الدستوري في يوم الجمعة الموافق ٦فبراير ٢٠١٥

تقرير منظمة العفو الدولية ١٩٩٣، منشورات منظمة العفو الدولية، لندن ،مطابع الاهرام التجارية ، الطبعة الاولى .

– حقوق الانسان في الوطن العربي ، تقرير المنظمة العربية لحقوق الانسان في الوطن العربي ، القاهرة ،١٩٩٥.

– حقوق الانسان في الوطن العربي ، تقرير المنظمة العربية لحقوق الانسان في الوطن العربي ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٠.

– البرنامج العربي لنشطاء حقوق الانسان ، الحواجز الحديدية، الجزء الاول ، مدينة نصر بدون سنة طبع.

– التقرير الاول للفريق الوطني المكلف بالتعامل مع فريق الخبراء الدوليين من ٢٦ مارس ٢٠١٥ وحتى ٣٠ يونيو ٢٠٢٠ ... مطابع الهيئة العامة للمساحة والتخطيط العمراني صنعاء.

وزارة العدل ، الادانات الدولية لجرائم التحالف السعودي الامريكي على اليمن الجزء الاول ٢٠١٧ .

– وزارة العدل ، التوصيف القانوني لجرائم تحالف العدوان الامريكي السعودي الاماراتي على اليمن،٢٠١٨ .

– وزارة العدل ، العدوان السعودي الامريكي على السلطة القضائية ، الإصدار الاول .

– وزارة التربية والتعليم ، التعليم في اليمن ، أربعة أعوام من الصمود في وجه العدوان ، إصدار وزارة التربية والتعليم مارس ٢٠١٩ .

– بيان علماء اليمن بشأن الواجب تجاه البلاد والعباد بعد قيام حكومة الوفاق الوطني الصادر بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٣٣هجرية الموافق ٢٠١١/١٢/٢٤م

– وثيقة مطالب ثورة ١١ فبراير سنة ٢٠١١

– المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية سنة ٢٠١١

– الالية التنفيذية للمبادرة الخليجية لحل الازمة اليمنية سنة ٢٠١١

قرار تشكيل لجنة صياغة الدستور قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧ لسنة ٢٠١٤.

قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦لسنة ٢٠١٤ بشأن تحديد الية عمل لجنة صياغة الدستور.

تغاير القراءات المتواترة بين (كان) التامة والناقصة

د.محمد فلاح إسماعيل مندكار[١٨٨]

الملخص:

يقصد هذا البحث الموسوم بـ: (تغاير القراءات بين تمام (كان) ونقصانها، وأثر ذلك في المعنى)،إلى الوقوف على القراءات المتواترة المتعلقة بالموضوع، وجمعها، وبيان إعرابها، وإيضاح الأثر البارز المفهوم من تغاير القراءة بين الإعرابين.

بدءاً بذكر الآية، ويليها توثيق ما حوت من قراءات، ثم التعريج على توجيه كل قراءة، ومن بعد ذلك ذكر ما دلت عليه الآية بالقراءات المتواترة بين تمام (كان) ونقصانها، وصولاً إلى إبراز وبيان الأثر المترتب على كل قراءة .

وشملت الدراسة عشرة أمثلة مختارة تضمنت أثراً ظاهراً في التغاير، وسبق ذلك تتبع وبيان آراء العلماء من اللغويين والقراء والمفسرين لكل قراءة منها، مستعرضاً ومتأملاً لكل ما قيل فيها إعراباً وبياناً ومعنى، وذلك في مبحثين اثنين:

- الأول: (كان) وخصائصها في التقعيد النحوي .
- الثاني: تغاير القراءات بين تمام (كان) ونقصانها، وأثر ذلك في المعنى.

الكلمات المفتاحية:

تغاير، القراءات، كان، تامة، ناقصة، أثر، توجيه، توثيق .

١٨٨ استاذ مشارك قسم التفسير والحديث كلية الشريعة – جامعة الكويت.

Abstract:

This research which is entitled " Variation of frequent (authentic) readings between complete and incomplete (was) {كان} and its effect in the meaning" aims at identifying the frequent (authentic) readings which are related to the subject, collecting them, showing their syntax and explaining the understood prominent effect of the reading variation between the two syntaxes.

Starting with mentioning the Koran verse, followed by documenting the included readings and then directing each reading, thereafter, mentioning what did the Koran text show in the authentic readings between complete and incomplete (was) {كان} and finally showing the resulted effect on each reading.

The study included ten selected examples which included an apparent effect in the variation and this was preceded by following and showing the opinions of the scientists such as linguists, readers and commentators for each reading and also displaying and going through all what is said regarding their Syntax and meaning. This is included in two chapters.

* The first: (was كان) and its features in grammatical laying down of the rules (altaqi'ed).

* The second: Variation of frequent (authentic) readings between complete and incomplete (was) {كان} and their effect to the me

Key words:

Variation, Readings, (Was كان), complete, incomplete, effect, direction, **documentation.**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فلقد اهتم أهل اللغة من النحاة والموجهين والمفسرين بالإعراب أيما اهتمام، واستنبطوا منه القواعد والأحكام والآثار المترتبة عليه، ووقفوا وقفة المتأمل فيما تقضي إليه نظرية العمل والإعراب إلى أقصى ما يمكن أن يكون التأمل وأدقه وألطفه، فكشفوا عما يظهر من البنية الإعرابية للكلمة أو الجملة، وخاضوا في مباحث وقواعد استخرجت وظهرت من وراء العمل الإعرابي، فكان من هذا المجال: القول في (كان) بين التمام والنقصان، وأثر ذلك التغاير على المعنى باختلاف القراءات.

وندرك تماماً أهمية تحليل الإعراب، وبيان منزلته في الكلام العربي، وما الذي يبرزه ذلك الإعراب في تجريد القواعد اللغوية، وكذا اكتشاف آفاق جديدة، ونكات دقيقة تُقرّب، بل لا أبالغ بالقول حين أقول: إنها تحدد المعنى المراد من اللفظة والجملة والآية، لاسيما مع الخوض في مجال القراءات المتواترة، وتحديد الوجهة عند تغاير القراءات بين (كان) التامة والناقصة، وكيف أن ذلك التغاير رأيناه واضحاً جلياً أفصح عنه المفسرون والقراء والموجهون وأهل الوقف والابتداء، وباختلاف الإعراب في (كان) يظهر الأثر في الفرق بين القراءتين على هذا التغاير الموصل إلى حدث، أو أمر خفي متعلق بالسياق، أو مقصد وغاية مقتضاة ومستنبطة من وراء اختلاف الإعراب على كل قراءة .

فالتأمل والتدبر في القراءات المتعلقة باختلاف الإعراب مفتاح إلى مدخل في إظهار شيء من عظمة القرآن وقراءاته والأحرف السبعة، حين يُحلّل النص القرآني الوارد فيه أكثر من قراءة متواترة، فينظر إلى إعراب النحاة، وتوجيه القراء، واجتهادهم في إبراز أثر الإعراب على القراءة المتواترة على نحو يروق ويعجب ويدهش.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من أن مسألة تغاير القراءات إعراباً بين (كان) التامة والناقصة مهمة ينبني عليها العديد من النكات، والفوائد، والمعاني الدقيقة، المستوحاة من التأمل في اختلاف القراءات بين تمام (كان) ونقصانها، واستخراج الأثر الظاهر في كل قراءة على حدة .

أسباب اختيار الموضوع:

١- شغفي بعلم القراءات المتواترة، خدمة لكتاب الله، وللقراء الذين نشروا هذا العلم في الأقطار.

٢- رغبتي الملحة في الوقوف على القراءات المتواترة، والتي لها علاقة بـ (كان) التامة والناقصة، وما قاله القراء واللغويون والمفسرون فيها .

٣- المحاولة قدر الإمكان في استخراج أثر تغاير القراءات بين (كان) التامة والناقصة، وأثرها على المعنى، من خلال تدبر كل قراءة، مع ربطها بالسياق .

أهداف البحث:

تنحصر أهداف البحث في ثلاثة أهداف، هي:

١- تحديد مفهوم (كان) حين تتعلق بالقراءة المتواترة، وذلك بإظهار وإبراز معناها حين تكون تامة ، وحين تكون ناقصة.

٢- الوصول إلى المعنى الحقيقي للجملة أو السياق على كل قراءة بعد معرفة الإعراب، ويتضح ذلك باستخراج الأثر المتمم للمعنى، وصولاً إلى تداخل وتوافق القراءتين المتواترتين بين (كان) التامة والناقصة .

٣- استعراض وحصر أقوال الموجهين والمفسرين في تغاير القراءات بين تمام (كان) ونقصانها إعراباً ومعنى.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث، وسؤال بعض المختصين لم أقف على أحد أفرد هذا الموضوع بالكتابة على النسق الموضح في العنوان، وخطة العمل فيه، وطريقة عرض القراءة وما يندرج تحتها، سواء أكان ذلك في مقال أم بحث أم مؤلف، فكان هذا البحث محاولة من الباحث لجمع الفوائد والفرائد المتعلقة بتغاير القراءات المتواترة بين (كان) التامة والناقصة .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- هل القراءة المتواترة حين تتعلق بـ (كان) يختلف معناها كما الحال باختلاف إعرابها ؟

٢- هل لاختلاف القراءة بين (كان) التامة والناقصة أثر يظهر ويبرز الفرق بين كل قراءة منها على حدة ؟

٣- ما الذي استنبطه الموجهون وغيرهم من اختلاف القراءة المتواترة المتعلقة بـ (كان) ؟

حدود البحث:

سيتناول هذا البحث موضوع أثر تغاير القراءات المتواترة بين تمام (كان) ونقصانها، وذلك من خلال النظر والاستقراء في كتب اللغة والتوجيه والتفسير، تأملاً وتدبراً في أقوالهم، ومحاولة إبراز الأثر الظاهر على المعنى في كل قراءة .

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بيان هذا الموضوع على:

١- المنهج الاستقرائي التحليلي لما ورد في كتب التوجيه والتفسير حول الموضع .

٢- النظر في أقوال أهل العلم في الآيات المتعلقة باختلاف القراءة المتواترة فيها بين تمام (كان) ونقصانها، من حيث التوثيق والتوجيه والمعنى على كل قراءة .

٣- التدبر في كل قراءة حين تكون فيها (كان) تامة، وحين تكون فيها (كان) ناقصة، ومن ثم بيان ما أفادت كل قراءة من أثر ظاهر يوضح معنى السياق على القراءة المتواترة، ويزيده بياناً.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فحوت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، وحدود البحث، ومنهج البحث، وخطته .

وأما المبحثان فعلى النحو الآتي:

- المبحث الأول: (كان) وخصائصها في التقعيد النحوي.
- المبحث الثاني: تغاير القراءات بين تمام (كان) ونقصانها، وأثر ذلك في المعنى.

ثم الخاتمة، وفيها ذكر أهم نتائج البحث، ويلي ذلك فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: كان وخصائصها في التقعيد النحوي:

اتفقت عبارات النحاة واستشهاداتهم في حديثهم عن (كان) وأقسامها.

ويحسن بنا عرض قول بعضهم على سبيل الإجمال، بإيجاز مفهم مقبول، وموصل للمقصود.

تنقسم (كان) إلى قسمين: تامة وناقصة ،**فالتامة**: هي التي تكتفي بالمرفوع عن المنصوب، وذلك نحو: (كان الأمر). أي: حَدَثَ، و(كان عبدالله).أي: خُلِقَ، ومنه **قوله –تعالى–:** ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ **البقرة: ٢٨٠**. أي: وجد ذو عسرة.

وقد تكون بمعنى (حَضَرَ)، كقول بعضهم: (أكان لَبَنٌ) ؟ أي: أَحَضَر شيء من هذا الجنس؟

وقد تكون بمعنى (غَزَلَ)، مثل قولهم: (كان زيدٌ الصوفَ). أي: غَزَلَ زيد الصوف.

والناقصة: هي التي لا تكتفي بالمرفوع، وتنقسم إلى قسمين: **أحدهما**: أن تدخل على المبتدأ والخبر، فيبقيا على إعرابهما، ويكون في (كان) ضمير الأمر والشأن، أو القصة، وتكون الجملة في موضع الخبر، نحو: (كان زيدٌ قائمٌ) فاسم (كان) ضمير الأمر والشأن، (وزيد قائم) في موضع الخبر.

والآخر: أن تكون لمجرد الدلالة على الزمن الماضي، كقولهم: (كان زيد قائماً)(١٨٩).

ومن خصائصها أيضا.

– تُحْذَفُ معَ اسمِها ويبقى عمَلُها ناسخةً، وذلكَ بعْدَ (إنْ) و (لَوْ) الشَّرطيَّتينِ.

نحو: (كُلٌّ مُحاسَبٌ بعَمَلِهِ، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ) التَّقديرُ: إنْ كانَ العَمَلُ خَيْراً، وإنْ كانَ العَمَلُ شَرّا، ونحو قولهِ – صلى الله عليه وسلم–: "التَمِسْ وَلَوْ خاتَماً مِن حَديدٍ" التَّقديرُ: ولَوْ كانَ الملتَمَسُ خاتَماً من حديدٍ.

– تأتي زائدةً لا تَعْمَل، في نحو صيغةِ: (ما كانَ أحْسَنَ بَكْراً).

– يجوزُ حذْفُ نونِ (كانَ) بثلاثةِ شُروطٍ:

[١] أن تكونَ مُضارعاً مجزوماً بالسُّكونِ.

[٢] أن لا توصَلَ بضميرٍ، كما في قولهِ – صلى الله عليه وسلم – في قصَّةِ ابنِ صيَّادٍ: "إن يَكُنْهُ فلَنْ تُسَلَّطَ عليه".

[٣] أن لا توصَلَ بِساكِنٍ، نحو: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ البينة: ١، فإذا حقَّقَتْ هذه الشُروطَ جازَ

(١٨٩) ينظر: شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي ، (٤٠١/١-٤٠٢) ، الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد الفرهيدي ، (١٢٣/١) ، اللمع في النحو ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، (٣٧،٣٨/١) ، شرح الكافية الشافية ، لابن مالك ، (٤٠٧/١-٤٠٨) ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام الأنصاري، (١٣٠/١-١٣٢) .

حَذْفُها، نحو: {ولَم أَكُ بَغيًّا}، {لم نَكُ من المصلِّينَ}، {ولا تَكُ في ضَيقٍ مِمَّا يمكرونَ}[١٩٠]

قال ابن هشام – رحمه الله تعالى– في التوضيح: تحذف كان ويقع ذلك على أربعة أوجه:

الأول –وهو الأكثر–: أن تحذف مع اسمها ويبقى الخبر، وكثر ذلك بعد إن ولو الشرطيتين، ومثّل لهما بقولهم: " النَّاسُ مجَزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وَإنْ شَرًّا فَشَرٌّ".أي: إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير، ويجوز إن خير فخير بتقدير إن كان في عملهم خير فيجزون خيراً، ويجوز نصبهما ورفعهما، والأول أرجحها والثاني أضعفها، والأخيران متوسطان، ومثال لو: {الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ}، وقل الحذف المذكور بدون إن ولو.

الموضع الثاني: أن تحذف مع خبرها ويبقى الاسم وهو ضعيف كما سبق إن خير، إن كان في عمله خير، هذا ضعيف.

ثالثاً: أن تحذف وحدها، وكثر ذلك بعد أن المصدرية، بمثل أما أنت منطلقاً انطلقت، ثم شرحه.

الرابع: أن تحذف مع معموليها، –كلها يعني–، لكن هذا ضعيف جداً، وذلك بعد إن الشرطية يعني، في قولهم: افعل هذا إما لا، إن كنت لا تفعل غيره، فما عوض ولا نافية للخبر[١٩١].

المبحث الثاني:

تغاير القراءات المتواترة بين تمام (كان) ونقصانها، وأثر ذلك في المعنى

قال تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ چ البقرة: ٢٨٢

توثيق القراءتين:

في قوله (تجارةٌ حاضرةٌ) قراءتان متواترتان:

القراءة الأولى: لعاصم الكوفي، بالنصب في اللفظين، (تجارةً حاضرةً) [١٩٢].

القراءة الثانية: للجمهور، بالرفع في اللفظين، (تجارةٌ حاضرةٌ)[١٩٣].

---

(١٩٠) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف (ص٧٤).

(١٩١) ينظر: شرح ألفية ابن مالك للحازمي، (٣٥/ ٢).

(١٩٢) ينظر: معاني القرآن للفراء، (١/ ١٨٥).

(١٩٣) ينظر: التيسير، ص (٥٨) ، النشر في القراءات العشر ، (٢/٢٣٧) .

توجيه القراءتين:

قراءة النصب على أنّ (كان) ناقصة، واسمها مضمر، تقديره: التبايع، أو التجارة، أو المداينة، بمعنى: إلا أن تكون المداينة تجارةً حاضرةً، ولفظ (حاضرةً) صفة لتجارة .

وقراءة الجمهور بالرفع على وجهين في التوجيه: **الأول**: أن تكون (كان) تامة، بمعنى: إلا أن تحدث أو تقع تجارة، وقوله: (تديرونها): في محل رفع صفة لتجارة، **ومثل ذلك قوله:**﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ البقرة: ٢٨٠.

الثاني: أن تكون (كان) ناقصة، واسمها: (تجارةٌ)، والخبر هو الجملة من قوله: (تديرونها)، كأنه قال: إلا أن تكون تجارة حاضرة مدارةً (١٩٤).

قال أبو علي الفارسي (ت:٣٧٧هـ): " إلا أن تقع تجارةٌ حاضرةٌ في هذه الأشياء التي اختصت وأُمر فيها بالتوثقة بالشهادة والارتهان، فلا جناح في ترك ذلك فيه، لأن ما يخاف في بيع النَّساء والتأجيل يؤمن في البيع يدا بيد(١٩٥).

أثر تغاير القراءتين:

قراءة الرفع على أن (كان) تفيد الحدوث والوقوع موصوفاً بالحضور الحقيقي لا الافتراضي، وعلى الاحتمال الثاني في قراءة الرفع أنها ناقصة تفيد فوق ما أفادت دخول القبض والبينونة بين أصحابها.

وقراءة النصب فيها لفتة إلى بيان معنى الحدوث والوقوع في قراءة الرفع، المقدار بالمداينة أو المبايعة أو التجارة بين الطرفين، فاشتركت مع قراءة الرفع على التمام في المعنى، وزادت دخول الأمر الزمني فيها، بمعنى: رفع الجناح أو الحرج بالصفة المذكورة في زمنين، الوقوع الحقيقي التام المنقضي في الماضي، أو دخول الأمر المستقبلي، لكنه مشروط بتلك الصفتين . فأفادت الجملة بقراءتيها: إن حدث وكان، أو افترض أن يحدث، فلا بد من اعتبار الوصفين في الآية: الحضور والإداراة . قال -تعالى-:﴿ عَلَيْهِمْ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١

(١٩٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، (٣٦٣/١)، معاني القراءات للأزهري، ص (٩٢)، الحجة للقراء السبعة ، (٤٣٦/٢-٤٤٠)، الموضح في وجوه القراءات وعللها ، (٣٥٤/١) ، التفسير الكبير ، (١٠٣/٤) ، البحر المحيط ، (٣٥٣/٢)، الدر المصون ، (١٧٣/٢) ، روح المعاني ، (٦١/٣) ، التحرير والتنوير ، (١١٦/٣).

(١٩٥) ينظر : الحجة لأبي علي الفارسي ، (٤٣٩/٢) .

توثيق القراءتين:

في لفظ: (واحدة) قراءتان متواترتان:

القراءة الأولى: لنافع وأبي جعفر بالرفع، (وإن كانت واحدةٌ).

القراءة الثانية: للجمهور، بالنصب في لفظ (واحدةً)[١٩٦].

توجيه القراءتين:

قراءة الرفع على أن (كانت) تامة، بمعنى: (وإن وُجِدْت واحدةٌ)، لما دل عليه قوله: (فإن كنّ نساءً).

وقراءة النصب على أن (كان) ناقصة، واسمها مستتر فيها، يعود على الوارثة، أو المتروكة، بمعنى: وإن كانت الوارثة واحدةً .

وحسّن الزجاج (ت:٣١١هـ) قراءة النصب بقوله:" لأن قوله: (فإن كن نساء .... " قد بين أن المعنى: فإن كنّ الأولاد نساءً، وكذلك: (وإن كانت المولودة واحدة)[١٩٧] .

ما دلت عليه القراءتان:

دلت كلتا القراءتين على أن للبنت النصف إذا انفردت، وفي ذلك دليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الانثيين[١٩٨].

أثر تغاير القراءتين:

مما سبق يتبين لنا أن القراءتين معاً تفيدان أن البنت الواحدة التي ليس معها أخ ولا أخت لها النصف فرضا، إلا أن قراءة الرفع يُلمح منها أنها تتعرض لحالة ما إذا لم تولد البنت قبل وفاة الوالد، بل ولدت بعده، بأن كانت الزوجة حاملاً، ثم وضعت بعد فترة من الوفاة .

بينما تشير قراءة النصب إلى وجود البنت الوارثة عند الوفاة بالفعل، ولذا فإن الله تعالى حدّد ميراث البنت المنفردة، سواء ولدت أم لم تولد، بناءً على مجموع القراءتين معاً . وفي ذلك حث للمسلمين على المحافظة على ميراث البنت الواحدة في جميع حالاتها . قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ النساء: ٢٩

(١٩٦) ينظر : التيسير للداني ، ص (٩٤) ، النشر ، (٢٤٧/٢، ٢٤٨) .

(١٩٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، (١٨/٢) ، معاني القراءات ، ص (١٢٠) ، التفسير الكبير ، (١٧٢/٥) ، التحرير والتنوير ، (٢٥٩/٥) .

(١٩٨) ينظر: التسهيل في علوم التنزيل ، لابن جزي ، (١٧٧/١) .

توثيق القراءتين:

قرأ الكوفيّون بنصب لفظ (تجارة)، هكذا:(إلا أن تكون تجارةً)، وقرأ الباقون من القراء بالرفع في اللفظ نفسه، (إلا أن تكون تجارةٌ) (١٩٩)

توجيه القراءتين:

في هذا الاستثناء قولان، **أحدهما**: أنه استثناء منقطع بوجهين:

١-أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكولة بالباطل حتى يستثني عنها .

٢-أن المستثنى كون، والكون ليس مالا من الأموال .

والثاني: أنه استثناء متصل، على معنى: لا تأكلوها بسبب إلا أن تكون تجارةً .

وقراءة النصب على أن (كان) ناقصة، والتقدير: إلا أن تكون التجارة تجارةً، فأضمر الاسم .

وقيل: "التقدير: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة، فأضمر الاسم، وحذف المضاف من الخبر، وأقيم المضاف إليه مقامه".

وقراءة الرفع على أن (كان) تامة، بمعنى: وقع، والمعنى: إلا أن تقع تجارةٌ .(٢٠٠)

قال ابن عاشور (ت:١٣٩٠هـ): " قوله: (عن تراض منكم) صفة لتجارة، أي: صادرة عن التراضي، وهو الرضا من الجانبين بما يدل عليه من لفظ أو عرف .

وفي الآية ما يصلح أن يكون مستندا لقول مالك (ت:١٧٩هـ) من نفي خيار المجلس؛ لأن الله جعل مناط الانعقاد هو التراضي، والتراضي يحصل عند التبليغ بالإيجاب والقبول، والآية أصل عظيم في حرمة الأموال" (٢٠١).

أثر تغاير القراءتين:

العلاقة بين القراءتين علاقة تكامل وتداخل، وذلك أن قراءة النصب تفيد أن التجارة المأمور بها قد وقعت بالفعل.

وقراءة الرفع تشير إلى وقوعها في الحال أو الاستقبال، ولذا فإن الله جلت قدرته يحث المؤمنين في جميع الأزمنة على الالتزام بما أمر في جميع العقود والمعاملات الشرعية التي يترتب عليها حلّ مال المسلم لأخيه.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ النساء: ٤٠

(١٩٩) ينظر: التيسير ، ص(٩٥) ، النشر ، (٢٤٩/٢) .

(٢٠٠) ينظر: حجة القراءات ، لأبي زرعة ، ص (١٩٩) ، الموضح في وجوه القراءات وعللها ، (٤١٣/١) ، الدر المصون ، (٦٦٣/٣) .

(٢٠١) ينظر: التحرير والتنوير ، (٢٤/٥) .

توثيق القراءتين:

في لفظ (حسنة) قراءتان متواترتان:

فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر برفع لفظ (حسنة)، هكذا: (وإن تك حسنةٌ)، وقرأ الجمهور من القراء بنصب، (وإن تك حسنةً يضاعفها) [٢٠٢].

توجيه القراءتين:

قراءة الرفع على أن (كان) تامة، ولفظ (حسنةٌ) اسم كان التامة لا تحتاج اسما، ولا خبر لها، والمعنى: وإن تحدث حسنةٌ، أو تقع حسنةٌ يضعِّفها .

وقراءة النصب على أن (كان) ناقصة، ولفظ (حسنةً) خبر كان، والاسم مضمر، والمعنى: إن تك زنةُ الذرة حسنةً[٢٠٣] . قال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): " الضمير المستتر في الفعل الناقص عائد على المثقال، وإنما أنّث حملاً على المعنى"[٢٠٤].

ما دلت عليه القراءتان:

الآية بقراءتيها تدل على أن الله –تعالى– بفضله وجوده لا يظلم الناس شيئاً، ولا ينقصهم من ثواب أعمالهم أيّ نقص، بل يجازيهم بها، ويثيبهم عليها، وهذا من كمال عدله وفضله [٢٠٥] ، ومصداقاً لقوله –تعالى– : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨

أثر تغاير القراءتين:

بالتأمل والإمعان يلاحظ أن قراءة الرفع دلت على كيفية مجازاة الله للعبد على أعماله، فبمجرد وقوع وحصول الحسنة من العبد تكون المضاعفة من الله، والمراد بالمضاعفة " مضاعفة الثواب " .

وأما قراءة النصب فتزيد على ذلك ببيان وصف تلك الذرة من حيث المقدار، والذي يدل على عدم بخس هذا المقدار، ولو كان شيئاً يسيراً زنة الذرة، فهي وإن كانت ضئيلة فإنها لا تضيع عند الله.

---

(٢٠٢) ينظر : التيسير ، ص (٩٦) ، النشر ، (٢٤٩/٢) .

(٢٠٣) ينظر: معاني القرآن ، للزجاج ، (٥٣/٢) ، حجة القراءات ، ص (٢٠٣) ، التفسير الكبير ، (٨٤/١٠).

(٢٠٤) ينظر: روح المعاني ، (٢٢/٥) . قال السمين الحلبي : " في قوله : (وإن تك) حذفت النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وهذه قاعدة كلية ، وهو أنه يجوز حذف نون (يكون) مجزومة بشرط ألا يليها ضمير متصل ، نحو : (لم يكُنْهُ) ، وألا تحرك النون لالتقاء الساكنين ، نحو : (لم يكن الذين كفروا) " . ينظر: الدر المصون ، (٦٨١/٣) .

(٢٠٥) ينظر: تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٥).

وكأني بقراءة الرفع قد حكمت على الحسنة بالمضاعفة ابتداءً، وقراءة النصب أكّدت أن تلك المضاعفة من الله تكون على تلك الأعمال، وتجري عليها، حتى ولو كانت زنة الذرة، ففيها مزيد تأكيد، يدل على ذلك قوله ﷺ:(اتقوا النار ولو بشق تمرة)[٢٠٦].

وتجدر الإشارة إلى أن صحة الوقوف على لفظ (ذرة) على قراءة الرفع؛ لأن الكلام بعدها كأنه إخبار بأمر جديد، وهو إن حصلت حسنة من العبد يضاعفها الله .

وأما على قراءة النصب فليس ثمة وقف؛ لأن الحسنة وصف لتلك الذرة، والكلام متصل ببعضه.

قال –تعالى–: ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٩

توثيق القراءتين:

في لفظ (ميتة) قراءتان متواترتان؛ حيث قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر بالرفع (ميتةٌ)، وقرأ الباقون بالنصب (ميتةً) [٢٠٧].

توجيه القراءتين:

من قرأ بالرفع (ميتةٌ) فعلى أن (كان) تامة، بمعنى: وإن تقع أو تحدث (ميتةٌ).

ومن قرأ بالنصب (ميتةً) فعلى أنها ناقصة، ولفظ (ميتةً) خبر (كان)، واسمها مضمر يعود على (ما) في قوله: (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام .....)، على معنى: وإن تكن الحُمول التي في البطون ميتةً فهم في أكله شركاء .[٢٠٨]

ما دلت عليه القراءتان:

كلتا القراءتين تصف سفه المشركين وضلالهم حين وصفوا ما أحله الله من الأكل والمنافع بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، وفجوراً منهم وكذباً على ربهم، ومخالفةً له، فجعلوا ما في بطون بعض الأنعام محرماً على الإناث دون الذكور إذا ولد حياً، وإن ولد ميتاً فهو حلال للذكور والإناث[٢٠٩].

(٢٠٦) أخرجه: البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، برقم : (١٤١٧) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، برقم : (١٠١٦) .

(٢٠٧) ينظر: النشر ، (٢٦٦/٢) .

(٢٠٨) ينظر : الحجة لأبي زرعة ، ص (٢٧٤) ، الإتحاف ، (٣٦/٢) ، الكشف عن وجوه القراءات ، لمكي بن أبي طالب ، (٤٥٥/١) ، شرح الهداية ، للمهدوي ، (٢٩٣/٢) ، الدر المصون ، (١٨٦/٥-١٨٧)

(٢٠٩) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، (٧٤/٢) بتصرف .

أثر تغاير القراءتين:

يظهر بعد التدبر أن قراءة الرفع أفادت أن التحريم للأجنة التي في البطون لا يكون إلا إذا ولدت وتحقق موتها بالفعل والظهور، ففيها تعليق الحكم إلى وقتٍ .

وأما قراءة النصب فزادت على ما سبق أن حكم التحريم لديهم راسخ ومتقرر ومشروط، فأفادت العموم بهذا الحكم: إن كان حياً فهو لذكورنا، وإن كان ميتاً فهو للذكور والإناث .

قال -تعالى-: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧.

توثيق القراءتين:

في لفظ: (مثقال) قراءتان متواترتان:

فقد قرأ نافع وأبو جعفر برفع اللام في لفظ (مثقال)، هكذا: (وإن كان مثقالُ حبة)، وقرأ الباقون من القراء بنصب اللام: (وإن كان مثقالَ حبة)[٢١٠].

توجيه القراءتين:

قراءة الرفع على أن (كان) تامة، فتكون بمعنى: حَدَثَ وَوَقَعَ، ولفظ (مثقالُ) فاعل، ولا يحتاج إلى خبر، والمعنى: وإنْ حصل للعبد مثقالُ حبة .

وقراءة النصب على أن (كان) ناقصة، واسمها مضمر يدل عليه ما قبله من قوله: (فلا تظلم نفس شيئا)، وخبرها لفظ: (مثقالَ)، والمعنى: فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان العمل مثقال حبة من خردل[٢١١].

قال ابن عاشور: " ومعنى القراءتين متحد المآل، وهو: أنه إن كان لنفسٍ مثقالَ حبة من خردل من خير، أو من شر يؤت بها في ميزان أعمالها، ويُجاز عليها "[٢١٢].

---

(٢١٠) ينظر: التيسير ، ص (١٥٥) ، النشر ، (٣٢٤/٢) .

(٢١١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج، (٣٩٤/٣)، حجة القراءات، ص (٤٦٨)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، (٨٦٢/٢). **قلت** : مثل هذا التوجيه يقال في قوله تعالىَّ: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) لقمان: ١٦ ، فقد قرأ المدنيان برفع اللام هكذا: (إن تك مثقالُ حبة) ، وقرأ الباقون من القراء بنصب اللام ، (إن تك مثقال حبة) .

فقراءة الرفع على أن لفظ (تكن) تامة ، والضمير للقصة ، والتأنيث في الفعل لإضافة الفاعل إلى المؤنث ؛ الذي هو الحبّة ، فكأن المعنى للحبة ، أو لتأويلها بالزّنة ، أو الحسنة والسيئة ، وقراءة النصب على أن نصب (تك) ناقصة ، واسمها مضمر . ينظر : التيسير ، ص (١٧٦) ، معاني القراءات ، ص (٣٧٨) ، البحر المحيط لأبي حيان (١٨٧/٧).

(٢١٢) ينظر: التحرير والتنوير ، (٨٦/١٧) .

ما دلت عليه القراءتان:

يقيم الله الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال يوم القيامة، فلا تظلم أي نفس من النفوس حقا من حقوقها، بل يعطي ويوفي ربنا تعالى كل ذي حق حقه، حتى لو كان العمل الموضوع على الميزان مقدار حبة صغيرة في غاية القلة والحقارة، وذلك من تمام عدله جل جلاله لعباده(٢١٣) .

أثر تغاير القراءتين:

بعد التأمل والإمعان في اللحاق والسباق للآية الكريمة يظهر أن قراءة النصب متعلقة بنفي الظلم من قبل الله على عباده، وهو المذكور في صدر الآية، ويكون المعنى على النصب هكذا: لا تظلم نفسٌ شيئاً، وإن كان هذا الشيء مثقالَ حبة، وعليه تكون جملة: (أتينا بها) مستأنفة على حد قول الطاهر ابن عاشور(٢١٤).

وأما قراءة الرفع فالجملة المكونة من قوله: (وإن كان مثقالُ حبة) متعلقة بالجملة بعدها من قوله: (أتينا بها)، ويكون نظم الآية على هذا التقدير: فلا تظلم نفس شيئاً، وإن وقع وحدث مثقالُ حبة يسيرة أتى الله بها وجازى بها عبده، وعليه يكون قوله: (وإن كان) شرط، وجوابه قوله: (أتينا بها).

وبناءً على ما سبق أقول: العلاقة بين القراءتين علاقة تكامل، حيث أفادت قراءة النصب عدم الظلم والبخس، وأفادت قراءة الرفع حفظ الشيء وتوفيته وعدم ضياعه، وذلك من تمام وكمال عدله، فسبحان مَنْ هذا كلامه.

قال -تعالى-: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٧

توثيق القراءتين :

في لفظ (آية) قراءتان متواترتان:

فقد قرأ ابن عامر الشامي بالرفع في لفظ (آية) مع التأنيث في لفظ (يكن)، هكذا: (أو لم تكن لهم آيةٌ)، وقرأ الباقون بالنصب مع التذكير: (أو لم يكن لهم آيةً)(٢١٥).

توجيه القراءتين:

قراءة الرفع تحتمل أن تكون تامة، وأن تكون ناقصة، فإن كانت تامة جاز أن يكون لفظ (لهم) متعلقاً بها، ولفظ (آيةٌ) فاعلاً بها، وقوله: (أن يعلمه) إما بدل من آية، وإما خبر مبتدأ مضمر، بمعنى: أو لم يحدث

(٢١٣) ينظر: «البحر المحيط في التفسير» (٤/ ٥٣٩).

(٢١٤) ينظر : المصدر نفسه .

(٢١٥) ينظر: التيسير ، ص (١٦٦) ، النشر ، (٣٣٦/٢) .

لهم علامةٌ علمُ بني إسرائيل.

وإن كانت ناقصة جاز فيها أربعة أوجه: **الأول**: أن يكون اسمها مضمراً فيها، بمعنى القصة، وقوله: (آيةٌ أن يعلمه) جملة قُدم فيها الخبر واقعة موقع خبر تكن، **الثاني**: أن يكون اسمها ضمير القصة أيضاً، ولفظ (لهم) خبر مقدم، ولفظ (آيةٌ) مبتدأ مؤخر، والجملة خبر تكن، **الثالث**: أن يكون لفظ (لهم) خبر (تكن) مقدماً على اسمها، ولفظ (آيةٌ) اسمها، ولفظ (أن يعلمه) إما بدل، أو خبر ابتداء مضمر، **الرابع**: أن يكون لفظ (آيةٌ) اسمها، ولفظ (أن يعلمه) خبرها.

وعلى قراءة النصب يكون لفظ (آيةً) خبرا مقدما، وجملة (أن يعلمه) اسمها مؤخر، والمعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النّبيّ الأميّ مبعوث آية؛ أي: علامة دالة على نبوته(٢١٦).

ما دلت عليه القراءتان:

يقول –تعالى– ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر من ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل، وقيل: عنى بعلماء بني إسرائيل: عبدالله بن سلام (ت:٤٣هـ)، ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله ﷺ في عصره(٢١٧).

أثر تغاير القراءتين:

بعد الإمعان وإحالة النظر في الأقوال المقولة والاحتمالات الإعرابية الواردة في كلا القراءتين يتبين أن المعاني من وراء ما قيل تكاد تكون متقاربة متداخلة، تؤول في النهاية إلى بيان المقصود من الآية، غير أن قراءة الرفع على اعتبار تمام (تكن)، ولفظ (آيةٌ) هو الفاعل، وجملة (أن يعلمه .....) بدل، تشعر أن تلك الجملة وكأنها جاءت جوابا عن سؤال قد ينشأ من الكلام قبله؛ وهو أنه لما أنكر الله عليهم عدم حدوث ووقع آيةً لهم على صدق رسول الله وما جاء به، كأن سائلاً سأل: وما هي هذه الآية ؟، فكانت الجملة بعدها هي الجواب، أن الآية هي علم علماء بني إسرائيل .

وهذا الأسلوب عند البلاغيين يُعرف بالاستئناف البياني، المتمثل في شبه كمال الاتصال، وذلك من مواطن الفصل بين الجمل، ومثل هذا الأسلوب فيه أثارة للذهن لما سيق له الكلام .

وأما على قراءة النصب بجعل (تكن) ناقصة، ولفظ (آية) خبرها مقدم، وجملة (أن يعلمه) اسمها مؤخر، ففي نظم الآية على هذا الأسلوب البياني يظهر الأثر بتقديم الخبر للاهتمام به، وتأخير مبتدئه للتشويق إليه، على

(٢١٦) ينظر: معاني القراءات ، ص (٣٥٠) ، الدر المصون ، (٥٥٢/٨-٥٥٣) ، روح المعاني ، (١٢٧/١٩) .

(٢١٧) ينظر: الحجة في القراءات السبع، (ص٢٦٩).

حد تعبير الشيخ أبي السعود (ت:٩٨٢هـ) في إرشاده، حتى لكأن المقصود من قراءة النصب: النظر والتدبر في معرفة نعوت النبي ﷺ المذكورة في كتبهم [٢١٨].

قال –تعالى–: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يس: ٢٩، **و قال –تعالى–:** ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يس: ٥٣.

توثيق القراءتين:

قرأ أبو جعفر المدني بالرفع في لفظتي (صيحة)، هكذا: (إن كانت إلا صيحةٌ واحدةٌ)، وقرأ الباقون من القراء بالنصب في اللفظتين: (إن كانت إلا صيحةً واحدةً) [٢١٩].

توجيه القراءتين:

من قرأ بالرفع فعلى أنّ (كان) تامة، بمعنى: ما حدثت أو وقعت إلا صيحة واحدة .

وقراءة النصب على أنّ (كان) ناقصة، واسمها مضمر، ولفظ (صيحةً) منصوب على أنه خبر (كانت)، والمعنى: لم تكن العقوبة أو الصيحة إلا صيحةً من صفتها أنها واحدة [٢٢٠].

ما دلت عليه القراءتان:

في هاتين الآيتين حديث عن عظمة قدرة الله تعالى، المتمثل في عذاب أهل القرية الذين كذبوا رسلهم، وقتلوا واحدا منهم، يخبر تعالى عن وقوع العذاب ونزوله عليهم، فيذكر أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إيّاهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر أيسر وأهون من ذلك، فما كاثرهم بالجموع من الجند، ولم يكن عذابهم سوى صيحة واحدة صاح بها جبريل، فأهلكهم الله وأبادهم، بحيث لم يبق منهم ولم يذر، وفي ذلك دلالة على شدة ضعف بني آدم، وهوانهم على بارئهم .

قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): " قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام، فأخذ بعُضادتَيْ باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد " [٢٢١].

(٢١٨) ينظر: الحجة في القراءات السبع، (ص٢٦٩).

(٢١٩) ينظر: النشر ، (٣٥٣/٢) ، تحبير التيسير ، ص (٥٢٣) .

(٢٢٠) ينظر: معاني القرآن ، للزجاج ، (٢٨٤/٤) ، المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٤٥٢/٤) ، البحر المحيط ، (٣٣٢/٧) .

(٢٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، (٥٧٣/٦) .

أثر تغاير القراءتين :

كلا القراءتين تدل على أن العذاب لأهل القرية إنما كان بصيحة واحدة من جبريل عليه السلام، وبالإمعان في سياق الآية يلاحظ أن قراءة الرفع لم تذكر العذاب، بل ذكرت وقوع وحدوث صيحة واحدة، ثم من بعدها جملة: (فإذا هم خامدون) بيّنت أثر ونتيجة هذه الصيحة أنْ جعلهم الله كالنار الخامدة ؛ التي آلت إلى الرماد ، وأن قراءة النصب أتت واصفة العذاب بالصيحة، على معنى: ما كان العذاب والأخذ إلا صيحةً واحدةً، ثم من بعدها جملة: (فإذا هم خامدون) ؛ تزيد في الكشف عن آثار هذا العذاب، فكأنها والعلم عند الله أشد ارتباطاً بقراءة الرفع منها بقراءة النصب .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وعلى آله وأصحابه الذين رضي الله عنهم من فوق سبع سماوات، وبعد:

أحمده سبحانه أن يسّر لي العيش فترة من زمان مع هذا الموضوع المعنون بـ: (تغاير القراءات المتواترة بين (كان) التامة والناقصة).

وممن خلال المطالعة المقرونة باستدامة النظر في كتب التوجيه واللغة والتفسير، سطرت بقلمي ما أفدته في صفحات مضت، بالنتائج الآتية:

١- إن التأمل والتفكر في القراءات المتعلقة باختلاف الإعراب فيه إظهار لعظمة القرآن وقراءاته.

٢- جهود علماء اللغة الواضحة في الكشف عما يظهر من البنية الإعرابية للكلمة والجملة، وذلك باستخراج المعاني الفريدة، والقواعد الأصيلة من وراء العمل الإعرابي.

٣-ظهر أنّ الإعراب له دور كبير في تحليل النص القرآني ببيان أثره، كالارتباط بالسياق، أو القطع والائتناف، أو العلاقة بين كلام تام وكلام آخر يليه اتصالاً وانقطاعاً.

٤-ظهر أن التدبر في إعراب الألفاظ القرآنية والتمعن فيها مدخل مهم لاستخراج معان دقيقة، وبيان غايات مفيدة، تصل بالناظر والباحث إلى القدرة على معرفة المعاني النحوية القائمة على اختلاف الإعراب في اللفظ القرآني الواحد، وتجعله متمكناً في إيضاح التغاير بين الإعرابات في القراءات المتواترة.

٥-وأما (كان) الناقصة فأصلها التمام، كقولك: قد كان الأمر. أي: حدث، ولكنهم جعلوا دلالتها على الحدث وبقيت دلالتها على الزمان، وهذا امر عارض لا تنقض به الحدود العامة.

٦-أنّ الفعل إنّما يتعدّى إلى ما كان فيه دلالة عليه، وليس في كان الناقصة دلالة على المصدر، فلا يصحّ أن يكون منصوبا بها فإن اقترن بها مصدر فهو منصوب بفعل آخر يدلّ عليه هذا، فلو قلت: كرهت كون زيد قائما، فهو مصدر كان التامّة، ويجوز أن تقول في التامة: كان الأمر كونا كما تقول: وقع وقوعا، ولا يجوز أن تقول في الناقصة: كان زيد قائما كونا، فهذه معاني كان الناقصة، وأمّا التامة فتكون بمعنى حضر أو ثبت أو حدث أو وقع كقوله -تعالى-: (وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ).

Research Conclusion

Praise be to God, whose grace good deeds are accomplished, and blessings and peace be upon the best of creatures, and upon his family and companions who, may God be pleased with them, are from above the seven heavens, and after:

I thank Him, Glory be to Him, for making it easy for me to live for a period of time with this topic entitled: (Variation of the frequent (authenticated) readings between complete and incomplete (Arabic was {كان}).

Through the reading coupled with the continuous perusal of the books of guidance, language and interpretation, I wrote with my pen what I stated in previous pages, and here I am writing down the output of the research in the following points, praying to Almighty God that they are acceptable and satisfactory.

1- Meditation and contemplation of the readings related to the different syntax shows the greatness of the Qur'an and its readings.

2- The clear efforts of linguists in revealing what appears from the syntactic structure of the word and sentence, by extracting the unique meanings and the original rules behind the syntactic work.

3- It appeared that parsing plays a major role in analyzing the Qur’anic text by explaining its effect, such as linking with context, or interruption and intersection, or the relationship between complete speech and other speech following by connection and interruption.

4- It appeared that reflecting on the parsing of the Qur’anic words and looking into them is an important entry point for extracting accurate traces, and for clarifying useful goals, which will lead the viewer and researcher to the ability to know the grammatical meanings based on the difference in the parsing in a single Qur’anic utterance, and make him able to clarify the heterogeneity between the parsings in the frequent (authenticated) readings.

المصادر والمراجع:

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف: أحمد محمد البنا، تحقيق: الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل، ط: عالم الكتب، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٩٩٠م .

٣. تحبير التيسير في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري، تحقيق الدكتور: أحمد مفلح القضاة، ط: دار الفرقان، الأردن، الأولى، ٢٠٠٠م.

٤. التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، بدون تاريخ.

٥. تعدد القراءات القرآنية، للدكتور/ عبدالكريم صالح، والدكتور/ هادي حسين، ط: الأولى، ٢٠١٥م/ ٢٠١٦م .

٦. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٩٠م .

٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك، لابن أم قاسم المرادي، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، ط: دار الفكر العربي، الأولى، ٢٠٠٢م.

٨. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ط: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ٢٠٠٥م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

١٠. الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور: فخر الدين قباوه، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٨٥م

١١. حجة القراءات، عبدالرحمن بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٧٤م.

١٢. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، ط: دار المأمول للتراث، الأولى، ١٩٨٤م.

١٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٩٨٦م .

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

١٥. شرح الأشموني على ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٥٥م .

١٦. شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن عصفور الأشبيلي، تحقيق: فواز الشعار، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٩٨م.

١٧. شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السعودية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

١٨. شرح الكافية الشافية، محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: عبدالمنعم هريدي، ط: دار المأمون للتراث، الأولى، ١٩٨٢م.

١٩. شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق ودراسة الدكتور / حازم سعيد حيدر، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٦م / ١٩٩٥م .

٢٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: المكتبة التجارية، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

٢١. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور/ محيي الدين رمضان، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٢. اللمع في النحو، عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، ط: دار الكتب الثقافية، الأولى، ١٩٧٢م.

٢٣. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مؤسسة تاريخ العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٩٣م .

٢٥. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، ط: الدار المصرية، دار السرور، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، دون تاريخ.

٢٦. معاني القرآن، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، تحقيق: الدكتور/ عبدالأمير محمد أمين الورد، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢٧. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، شرح وتحقيق: د. عبدالجليل شلبي، ط: دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٩٩٤م.

٢٨. معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتعليق: أحمد المزيدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٩٩م .

٢٩. المفصل في صنعة الإعراب، جارالله الزمخشري، تحقيق الدكتور: علي بو ملحم، ط: مكتبة الهلال، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م .

٣٠. الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي مريم، تحقيق ودراسة: د. عمر حمدان الكبيسي، الأولى، ١٩٩٣م.

٣١. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، ط: دار الكتب العلمية، دون تاريخ .

التحقيق في خلاف العلماء في وقت ذكر حديث"اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك"

د.جاسمية محمد شمس الدين [٢٢٢]

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة دعاء مهماً دعا به الرسول ﷺ وهو قوله: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»، ويهدف إلى شرح معانيه، والتحقيق في طرقه وإسناده ورواياته والحكم عليه؛ ومن ثم أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين في وقت ذكره والدعاء به.

وقد اتبعت الباحثة فيه المنهج الاستقرائي التحليلي.

وخلصت إلى أن هذا الحديث قد جاء من خمس طرق، وقد اختلفت أقوال العلماء في وقت الدعاء به؛ فمنهم من ذهب إلى أنه خاص بالذكر عند النوم، في حين ذهب آخرون إلى أنه يدعى به عند الصلاة فقط، بينما رأى فريق من العلماء أن في الأمر سَعة؛ إذ إنه يعد من قبيل الذكر الذي يدعى به عند النوم وعقب الصلاة أيضا.

وأوصت الباحثة بالإقبال على دراسة السنة النبوية دراسةً تفصيليةً، وفهم الأحاديث الشريفة فهماً صحيحا، وبيان معانيها ووقتها وزمانها، كما أوصت باللجوء إلى الله بالدعاء في كل وقت، وإن كان هناك من الأدعية ما هو مخصوص بمكان معين وزمان معين.

الكلمات المفتاحية: الدعاء، النوم، العذاب، البعث.

٢٢٢ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –قسم لتفسير والحديث –جامعة الكويت

Abstract:

The idea of research is Summarized in the study of a hadith that can be used to enrich your suffering on the day that you bring your worshipers Knowledge and anove!

In this research I dealt with one of the important aspects of a person's life that Allah has placed in man, which is sleep and humans by their nature need quietness, tranquility and reassurance when sleeping without night mares or disturbing dreams and in this case only remembrance and resort to god.

Sunnah of the Prophet Supplication and remembrance before bed.

And discuss the channels of your torment on the day that your servants are resurrected.

Scholars differed as to whether this remembrance is specific when sleeping, or it is said only after prayer, or is this remembrance said when you sleep and when you pray together.

Opening words:

Pray for – sleep – torment - Baatheday

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. أما بعد:

من نعم الله – عز وجل– على الإنسان نعمة العقل والفهم والإدراك، ولولا هذه النعمة لما استطاع أن يفهموا أحكام الشريعة التي وردت في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وخير البشر في عهد النبي ﷺ وهم الصحابة، ما كانوا لينتقلوا من آية إلى آية، ومن حديث إلى حديث، إلا بعد أن يفهم النص فهما صحيحا ويدركوا مقاصده، ثم يطبقونه ويترجمونه سلوكاً وعملاً عن فهم ودراية؛ وهو ما يؤكد أهمية الفهم والإدراك للأوامر والنواهي على الوجه الصحيح لنستطيع الالتزام بها، سواء ما جاء في كتاب الله – سبحانه وتعالى – أو في سنة نبيه، ﷺ.

ومع مرور الزمن غفل بعض المسلمين كثيرا عن أمور دينهم؛ إما لجهلهم وإما لعدم فهمهم لأمور دينهم وأحكامه.

وليبقى المسلمون على دراية ومعرفة بأمور دينهم وفهمها فهما صحيحا، فقد سخّر الله –عز وجل – بالإضافة إلى علماء القرآن والتفسير، علماء عكفوا عل خدمة السنة النبوية المطهرة والاهتمام بها والمحافظة عليها، ونشرها بين الناس صحيحة، مبينين صحة إسنادها والعمل بها، مع توضيح معانى الأحاديث الشريفة والأحكام المستمدة منها وآثارها في نفس المسلم وسلوكه، ولهؤلاء العلماء مكانتهم في الإسلام؛ وهو ما يؤكده دعاء النبي ﷺ لهم في مثل قوله: (نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها)[٢٢٣].

والمسلم – بلا شك – يحتاج دوما إلى معرفة معنى الحديث الشريف، ولاسيما في زماننا الحاضر؛ ليطبق سنة النبي ﷺ عن بينة وفهم؛ ولتحقق السنة المطهرة أهدافها المنشودة لدى الإنسان في مختلف شؤون حياته.

والقرآن الكريم والسنة النبوية هما جناح الشريعة، لا تقوم إلا بهما معا، ولا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يتأتى تطبيق السنة على الوجه الصحيح إلا بفهمها، واستيعاب مقاصدها، والتزام توجيهاتها، وإدراك مكانتها.

(٢٢٣) الجامع- كتاب العلم – باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، الترمذي ،ح ٧٥٦٢،وقال الألباني في صحيح الترمذي ،ج٣، ص ٧٦٢ : صحيح ، والسنن – كتاب العلم – باب فضل نشر العلم، أبو داود ،ح٣٥٥٣ ، وقال الألباني ج٧، ص١٧٧، صحيح.

أسباب اختيار البحث وأهميته:

- إن ثبوت حجية السُّنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يُخالِف في ذلك إلا مَنْ لا حظَّ له في الإسلام.

-ولم يُخالف في الاحتجاج بالسنة إلا الخوارج والروافض، وخالف المعتزلة بتحكيم عقلهم في السنة، فتمسك هؤلاء بما بدا لهم من فهم لظاهر القرآن وأهملوا السنن، فضلوا وأضلوا، وحادوا عن الصراط.

-تكمن أهمية البحث في الحرص على فهم السنة النبوية فهما صحيحا؛ ومن ثم تطبيقها وفق الهدي النبوي الشريف؛ ليكون لها الأثر المنشود على الإنسان.

-الاقتداء بالنبي ﷺ في الأدعية التي تكون محددة بوقت معين، كما جاء عنه، ﷺ.

مشكلة البحث:

اختلف العلماء في حديث: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»؛ أيقال هذا الدعاء عند النوم فقط؟ أم يقال عند الصلاة فقط؟ أم يقال في الحالتين عند النوم وعند الصلاة؟

حدود البحث:

وهي حدود موضوعية تقتصر على تخريج قوله ﷺ: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١-بيان معاني الألفاظ الواردة في الحديث الشريف.

٢-تخريج الحديث ومعرفة طرقه.

٣-دراسة أسانيد الحديث والحكم عليه.

٤-ذكر أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين، في وقت الدعاء به .

منهج البحث:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ إذ يتم عرض الحديث، وشرح ألفاظه، وطرقه ورواياته وإسناده وأقوال العلماء فيه؛ ومن ثم الحكم عليه.

إجراءات البحث:

١-جمع طرق الحديث: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»، ثم تخريجه تخريجاً موسعاً، ودراسة كل إسناد، وبيان العلل الواردة في كل طريق.

٢-بيان معاني الألفاظ الواردة في الحديث.

٣-بيان اختلاف العلماء في وقت قول هذا الحديث.

الدراسات السابقة:

لم أجد - بحسب اطلاعي-دراسة اختصت بتخريج وتناول حديث: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»، وآراء العلماء في وقت ذكره.

خطة البحث:

بني صلب البحث – بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة المراجع - على مبحثين؛ عرضت في المبحث الأول: تخريج الحديث تخريجا موسعا، من حيث:

-دراسة الإسناد.

-الحكم على الحديث من حيث أقوال العلماء في وقت قوله:

في حين تناولت في المبحث الثاني:

-أقوال العلماء المتقدمين.

-أقوال العلماء المتأخرين.

بينما عرضت في المقدمة للجانب النظري؛ المتمثل في أهمية البحث، ومشكلة البحث، ومنهجية البحث، أما الخاتمة فعرضت فيها ما خلص إليه البحث من نتائج، وقائمة المصادر والمراجع، حيث تم إيرادها في الحواشي على النحو التالي، وتم إيرادها في قائمة المصادر والمراجع على النحو الآتي ...

*خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة في الموضوع ، ومنهج الدراسة، ومبحثين هما المبحث الأول تخريج الحديث ودراسة إسناده، والمبحث الثاني .....وخاتمة ومراجع البحث.

المبحث الأول، تخريج الحديث ودراسة إسناده:

كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه، ثم قال: «اللهُمَّ قني عَذَابكَ ينوْمَ تجْمَعُ – أوْ تبْعَثُ – عِبادَكَ ».

تخريج الحديث:

الحديث جاء من عدة طرق، هي:

الطريق الأول: عن الصحابي حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه–، قال الترمذي: حدثنا ابن أبي عمر، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمر، عن ربعي بن خراش، عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه، ثم قال: (اللهم قني عذابك يوم تجمع – أو تبعث – عبادك)[٢٢٤].

دراسة إسناد، حذيفة –رضي الله عنه–:

–ابن أبي عمر هو: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، صدوق صنف المسند، ولازم ابن عيينة[٢٢٥].

– سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ثقة، حافظ، فقيه، إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره[٢٢٦].

– عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي، ثقة، فصيح، عالم، تغير حفظه وربما دلس، وقال[٢٢٧].

– ربعي بن خراش، أبو مريم العبسي، ثقة، عابد، مخضرم، وقال العجلي: تابعي ثقة، من خيار الناس، لم يكذب كذبة قط[٢٢٨].

–حذيفة بن اليمان من نجباء النبي، ﷺ، وهو صاحب السر، مات سنة ست وثلاثين.

الحكم على هذا الطريق:

إسناده حسن، لوجود ابن أبي عمر، وهو صدوق.

الطريق الثاني: عن الصحابي أنس –رضي الله عنه–: قال البزار: حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني،

(٢٢٤) الجامع – كتاب الدعوات – باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، الترمذي ،ح٣٣٣٣، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال المبارك فوري: الواو للشك من الراوي ،التحفة، كتاب: الدعوات – باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، ج٧، ص ٧١٣٣، الأحوذي ،ح٣٣٣٣ ، ومسند أحمد – مسند حذيفة)ح٧٧٢٣٧.

(٢٢٥) تقريب التهذيب، ابن حجر(ت:٦٢٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزني، ج ٧٢/ ٣٣٥.

(٢٢٦) نفس المرجع ج ٣٣٥/٢ .

(٢٢٧) تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير التقريب (١/ ٥٣٨).

(٢٢٨) التاريخ الكبير، للبخاري (٤/ ٢٣٣).

حدثنا محمد بن عثمان الحمصي، حدثنا سعيد بن بشير، عن بشير، عن قتادة، عن أنس –رضي الله عنه–: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام قال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢٢٩]، وقال الهيثمي: "رواه البزار وإسناده حسن"[٢٣٠].

دراسة إسناد أنس –رضي الله عنه–:

–عمر بن الخطاب السجستاني القشيري الحافظ، قال عنه ابن حجر: صدوق[٢٣١].

–أبو الجماهير محمد بن عثمان الحمصي، ثقة[٢٣٢].

–سعيد بن بشير الأزدي، ويقال البصري، قيل: إنه من البصرة، وقيل: من واسط، حمله أبوه إلى البصرة فسمع بها ثم رجع إلى دمشق، قال شعبة: صدوق الحديث، وقال عنه سفيان بن عيينة: كان سعيد حافظاً ووثقه دحيم، وكان ابن مهدي يسمع من سعيد ثم تركه بآخره وكان أحمد يضعف أمره، وضعفه المديني وأبو زرعة والنسائي، وقال البخاري: يتكلمون بحفظه[٢٣٣].

–قتادة بن دعامة السد وسي، حافظ عصره، وقدوة المفسرين والمحدثين[٢٣٤].

الحكم على رواية أنس:

إسناده حسن؛ لأن عمر السجستاني وسعيدا الأزدي، كلاهما صدوق.

الطريق الثالث: عن أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها– وجاء عنها بروايتين ، الأولى عند أبي داود والثانية عند ابن أبي شيبة، قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبان، حدثنا عاصم، عن معبد بن خالد، عن سواء،عن حفصة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»، ثلاث مرات[٢٣٥].

(٢٢٩) أخرجه البزار في مسنده، مسند أنس ج٣٧/ ١٢٥، ح٢٧٢٦، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن قتادة عن أنس إلا سعيد بن بشير، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج٧/ ٣١١.

(٢٣٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي،ح٧٢٣١٣ .

(٢٣١) التقريب، ابن حجر، ت:١٣٣٣ .

(٢٣٢) التقريب، ابن حجر، ت: ٥٧٣٦.

(٢٣٣) تهذيب الكمال ،المزي ،ت: ٧٧١٣.

(٢٣٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٦/ ٧٥٣.

(٢٣٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما يقال عند النوم، ٦٣١٦، وقال الألباني في صحيح أبي داود، ج٣، ص٣١٣ : صحيح، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: عمل اليوم والليلة،ح ٧٣٦٣٣، وأحمد في مسنده، مسند =

دراسة إسناد أبي داود:

-موسى بن إسماعيل المنقري، أبو سلمة التبوذكي، ثقة، ثبت[٢٣٦]، قال ابن معين: ثقة مأمون، وقال الذهبي: ثقة ثبت[٢٣٧].

- أبان بن يزيد العطار، أبو يزيد، ثقة له أفراد[٢٣٨]، قال النسائي: ثقة[٢٣٩]، وقال أحمد: ثبت في كل المشايخ[٢٤٠].

- عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النجود، الأسدي مولاهم، أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون[٢٤١]، قال النسائي: ليس به بأس، وقال الدارقطني: في حفظه شيء[٢٤٢].

- معبد بن خالد الجدلي، ثقة، عابد[٢٤٣]، قال أبو حاتم: صدوق[٢٤٤].

-سواء الخزاعي، مقبول[٢٤٥]، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٢٤٦].

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو بكر، حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عاصم، عن المسيب، عن حفصة - رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن[٢٤٧].

=حفصة، ح ٧٦٣٧٦ .

(٢٣٦) انظر: التقريب، ابن حجر، ت: ٥٣١٣ .

(٢٣٧) انظر:تهذيب الكمال، المزي)ج٧٣/ ١١٧.

(٢٣٨) انظر:الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي، ج٧/ ٣٣٧.

(٢٣٩) انظر:التقريب، ابن حجر، ٧١٣.

(٢٤٠) انظر:تهذيب الكمال، المزي ج٧/ ٣٧٣.

(٢٤١) انظر:التقريب، ابن حجر، ٣٣٦١ .

(٢٤٢) انظر:تهذيب الكمال ،المزي، ج ٣/ ٧٣٧.

(٢٤٣) انظر:التقريب، ابن حجر، ٥٢٢١، تهذيب الكمال، المزي ،ج٣٧/ ٧٧٣.

(٢٤٤) انظر:الجرح والتعديل، أبو حاتم، ج٣/ ٧٣٣ .

(٢٤٥) التقريب، ابن حجر، ٧٥٢٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر ج١/ ٧١٣.

(٢٤٦) تهذيب الكمال ،المزي، ج٣/ ٧٣٦.

(٢٤٧) أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف، ح٧٥٦٧٧ (من دون لفظ)ثلاثا(وفي)ح٧٥٦٧٥ ، من دون لفظ اللهم.

دراسة إسناد ابن أبي شيبة:

– حسين بن علي الجعفي، المقرئ، ثقة، عابد[٢٤٨] ، قال ابن معين: ثقة[٢٤٩].

– زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت، ثقة، ثبت[٢٥٠]، قال أبو زرعة: صدوق، وقال أبو حاتم: ثقة[٢٥١].

– سعيد بن المسيب بن رافع الأسدي، ثقة[٢٥٢]، قال الذهبي في الكاشف: عن حفصة، مرسلاً، وقال ابن معين: لم يسمع من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا من البراء بن عازب وأبي إياس عامر بن عبدة[٢٥٣].

الحكم على الحديث:

في رواية حفصة – رضي الله عنها – أكثر من علة، وهي:

– كلمة: (ثلاث مرات)، التي جاءت عند أبي داود وأحمد وابن أبي شيبة، زيادة غير صحيحة

وقال الألباني –رحمه الله –: ثلاث مرات هذه الزيادة غير صحيحة، وهي رواية منكرة، أو شاذة، وإن صححه الحافظ ابن حجر، وقال برأي الحافظ بعض المعاصرين[٢٥٤].

–إسنادِ أبي بكر بن أبي شيبة، عن سعيد بن المسيب، عن حفصة فيه انقطاع؛ لأن سعيدا لم يرو عن حفصة كما صرح المحدثون.

– إسناد أبي داود حسن؛ لوجود راويين صدوقين.

الطريق الرابع: عن طريق الصحابي عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–: وجاء عنه بروايتين، الأولى عن ابن ماجة والثانية عن الطبراني قال ابن ماجة:

حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، –رضي الله عنه–، قال: إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه وضع يده – يعني: اليمنى – تحت خده، ثم قال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢٥٥].

(٢٤٨) انظر: التقريب، ابن حجر، ٧٣٣٦.

(٢٤٩) انظر: تهذيب الكمال ،المزي، ج١/ ٦٧٧ .

(٢٥٠) انظر: التقريب، ابن حجر، ٧٣٣٧.

(٢٥١) انظر: تهذيب الكمال ،المزي، ج٥/ ٧٦٣.

(٢٥٢) انظر: التقريب، ابن حجر، ٥٥٢٦.

(٢٥٣) انظر: تهذيب الكمال، المزي،ج ٧٣/ ٧٧٧

(٢٥٤) انظر: السلسلة الصحيحة، الألباني،ح ٧٢٦١.

(٢٥٥) أخرجه: ابن ماجة في السنن،كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، ح ٣٣١٥.

دراسة إسناد ابن ماجة:

- علي بن محمد بن أبي الخصيب، صدوق، ربما أخطأ[٢٥٦]، قال أبو حاتم: محله الصدق[٢٥٧].
- وكيع بن الجراح ثقة، حافظ، عابد[٢٥٨].
- إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، ثقة، تكلم فيه بلا حجة[٢٥٩].
-أبو إسحاق السبيعي، ثقة، مكثر، عابد، اختلط بآخره[٢٦٠].

أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، مشهور بكنيته، ويقال اسمه عامر، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه[٢٦١].

طريق خامس: حدثنا بكر، أنبأنا أحمد بن إشكيب الصفار الكوفي، أنبأنا علي بن عابس، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢٦٢].

دراسة إسناد الطبراني:

-بكر الدمياطي، قال النسائي: ضعيف[٢٦٣]، قال الذهبي: حمل الناس عنه، وهو مقارب الحال[٢٦٤].

-أحمد بن إشكيب الصفار، ثقة حافظ[٢٦٥]، قال أبو حاتم: ثقة مأمون[٢٦٦].

-علي بن عابس الأسدي الكوفي، ضعيف من التاسعة[٢٦٧]، ضعفه ابن معين والجوزجاني والنسائي والأزدي، قال ابن حبان: فحش خطأه فاستحق الترك[٢٦٨].

- عوف بن مالك، أبو الأحوص الكوفي، ثقة[٢٦٩].

---

(٢٥٦) تهذيب الكمال ،المزي ،ج٧٣/ ٣٣٦.

(٢٥٧) أبو حاتم ،الجرح والتعديل، أبو حاتم، ج٥/ ٧٣٧.

(٢٥٨) انظر: التقريب، ابن حجر، ت: ٢١٧١.

(٢٥٩) انظر: المرجع السابق، ت: ١٣٧.

(٢٦٠) انظر: التقريب، ابن حجر، ت:٦٣٥٦.

(٢٦١) انظر: تهذيب الكمال، المزي ،ج٣/ ٣٥٣.

(٢٦٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط ح ٣٧٣٥.

(٢٦٣) سير أعلام النبلاء الذهبي ،ج ٧٣/ ١٧٦.

(٢٦٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ج٧/٥٧.

(٢٦٥) التقريب، ابن حجر ت:٧٣ .

(٢٦٦) الجرح والتعديل، أبو حاتم ، ج ٧/ ٢٢.

(٢٦٧) التقريب، ابن حجر، ت: ١٢٦٢.

(٢٦٨) تهذيب الكمال، المزي ،ج٧٣/ ٣٧٦.

الحكم على الحديث:

-مدار الروايات على أبي إسحاق، فرواه عنه إسرائيل مرة، ورواه عنه علي بن عابس، وعلي ضعيف، فتكون رواية إسرائيل هي الأحفظ.

-ذكر كثير من العلماء عدم صحة سماع أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود، قال ابن معين: عبد الرحمن بن عبد الله وأبو عبيدة لم يسمعا من أبيهما، وقال عمرو بن مرة: سألت أبا عبيدة: تحفظ من أبيك شيئا؟ قال: لا[٢٧٠].

وقال النسائي: أبو عبيدة لم يسمع من أبيه[٢٧١]،وما دام أبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود؛ والإسناد منقطع.

- تابع أبو الأحوص أبو عبيدة، إلا أن إسناده ضعيف لوجود علي بن عابس الأسدي، وهو ضعيف يستحق الترك[٢٧٢].

وسئل الدار قطني عن حديث أبا عبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ: أنه كان إذا أوى... إلخ. فقال: يرويه أبو إسحاق واختلف رفعه إسرائيل، وعلي بن عابس عن أبي إسحاق. ووقفه حديج بن معاوية عن ابن مسعود. وغيره يرويه عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قوله. وصحيحه عن أبي إسحاق عن سعد بن عبيدة عن البراء، ويشبه أن يكون حديث أبي عبيدة عن عبد الله محفوظا [٢٧٣].

الطريق الخامس: رواية الصحابي البراء بن عازب،-رضي الله -: وجاء بروايتين

عند الترمذي :

دراسة إسناد الرواية الأولى عند الترمذي:

- أبو كريب، محمد بن العلاء الهمداني، مشهور بكنيته، ثقة، حافظ[٢٧٤].

-إسحاق بن منصور، الإمام الفقيه الحافظ الحجة، أبو يعقوب المروزي، قال عنه النسائي ومسلم: ثقة[٢٧٥].

---

(٢٦٩) التقريب، ابن حجر ، ٦٧٧٣.

(٢٧٠) تاريخ ابن معين، البغدادي، ج ٣/ ٣٦١.

(٢٧١) السنن الكبرى، النسائي، ج٧/ ٣٧٧.

(٢٧٢) انظر: ذخيرة الحفاظ، ابن القيسراني، ج ٣/ ٧٢٣٣.

(٢٧٣) انظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، ج ٦/ ٧٣٥.

(٢٧٤) انظر: التقريب، ابن حجر ،ت:٥٧٣١، ص٦٦٢.

(٢٧٥) انظر: سير أعلام النبلاء ،الذهبي، ج ٧٧/ ٧٦٣، التقريب، ابن حجر ت:٣٣٦، ص٢٦.

– إبراهيم بن يوسف السبيعي، قال عنه أبو حاتم: حسن الحديث، يكتب حديثه، وقال أبو داود والجوزجاني: ضعيف الحديث، وقال ابن حجر: صدوق يهم، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن معين: ليس بشيء(٢٧٦).

–يوسف بن إسحاق السبيعي، ابن الإمام أبي إسحاق السبيعي، قال ابن عيينة: لم يكن في ولد أبي إسحاق أحفظ منه(٢٧٧)، وقال ابن حجر: ثقة(٢٧٨).

–أبو إسحاق السبيعي، سبق الترجمة له.

–أبو بردة بن أبي موسى الإمام الفقيه الثبت، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة(٢٧٩).

الحكم على الحديث:

حسن؛ لوجود إبراهيم السبيعي، وهو صدوق يهِم.

وقال الترمذي في الرواية الثانية– عبد الله بن يزيد عن البراء – رضي الله عنه – قال: إن رسول الله ﷺكان إذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن، وقال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»(٢٨٠).

دراسة إسناد الرواية الثانية عند الترمذي:

– محمد بن المثنى بن قيس بن دينار، كان ثقة ثبتا، احتج سائر الأئمة بحديثه(٢٨١).

– عبد الرحمن بن مهدي، كان إماما حجة، سيد الحفاظ(٢٨٢).

– إسرائيل، سبق الترجمة له.

– أبو إسحاق السبيعي، سبق الترجمة له.

– عبد الله بن يزيد بن حصين الأنصاري، صحابي صغير(٢٨٣).

(٢٧٦) انظر: التقريب، ابن حجر، ت: ٣٢١ ، ص٥٢، تهذيب الكمال ،المز، ٧/ ٦٢.

(٢٧٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٢/ ٧٣.

(٢٧٨) انظر: التقريب، ابن حجر ، ت: ٣٢٦٥، ص٥٣٣.

(٢٧٩) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣١١/١.

(٢٨٠) أخرجه: الترمذي في الشمائل المحمدية ،ح ٧٦٦، من طريق محمد بن المثنى أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن البراء به.

(٢٨١) انظر: تهذيب الكمال ،المزي،ج ٧٥/ ٣٦٣.

(٢٨٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣/ ٧٣٣.

– ابن البراء بن عازب: جاء عند مسلم: حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن أبي زائدة، عن مسعر ،عن ثابت بن عبيد، عن ابن البراء، عن البراء قال: كنا إذا صلينا خلف رسول اللهﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه، قال: فسمعته يقول: «رب قني عذابك يوم تبعث – أو تجمع – عبادك»[٢٨٤].

وحدثناه أبو كريب، وزهير بن حرب، قالا: حدثنا وكيع، عن مسعر، بهذا الإسناد، ولم يذكر: يقبل علينا بوجهه.

وفي رواية مسلم وابن ماجة: لم يحدد اسم ابن البراء، وجاء اسمه في رواية أبي داود، حيث قال: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا مسعر عن ثابت بن عبيد، عن عبيد بن البراء عن البراء، بن عازب قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله أحببنا أن نكون عن يمينه، فيقبل علينا بوجهه، ﷺ[٢٨٥].

دراسة إسناد أبي داود:

– محمد بن رافع النيسابوري، ثقة[٢٨٦]، قال أبو حاتم: صدوق[٢٨٧]، وقال النسائي: ثقة مأمون[٢٨٨].

– محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر، أبو أحمد الزبيري، ثقة[٢٨٩]، قال الترمذي: ثقة حافظ[٢٩٠]، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن معين: ثقة[٢٩١].

– مسعر بن كدام، ثقة، ثبت، فاضل[٢٩٢].

–ثابت بن عبيد الأنصاري، ثقة[٢٩٣]، قال ابن معين والنسائي: ثقة[٢٩٤]، وقال الذهبي: ثقة[٢٩٥].

---

(٢٨٣) انظر: التقريب، ابن حجر ، ت: ٣٢٣.

(٢٨٤) أخرجه: مسلم في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب يمين الإمام، ح٢٣٣ ، وابن ماجة في السنن ،كتاب: الصلاة، باب: فضل ميمنة الصف، ح ٧٣٧٦.

(٢٨٥) أخرجه: أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب الإمام، ينحرف بعد التسليم، ح ٥٧٦.

(٢٨٦) انظر: التقريب، ابن حجر ٦٣٢٥.

(٢٨٧) انظر: الجرح والتعديل ،أبو حاتم، ج٢/ ٧٦١.

(٢٨٨) انظر: تهذيب الكمال ،المزي ج ٢٥/ ٧٥٣.

(٢٨٩) انظر: التقريب، ابن حجر ٥٣٧٢.

(٢٩٠) الترمذي، ج ٣/ ٧٣٧.

(٢٩١) انظر: تهذيب الكمال، المزي، ج ٧٥/ ١٧٣.

(٢٩٢) انظر: التقريب، ابن حجر، ٥٥٣٦، تهذيب الكمال، المزي ج ٧٣/ ٦٧.

(٢٩٣) انظر: التقريب، ابن حجر، ٣٧٧.

(٢٩٤) انظر: تهذيب الكمال ،المزي، ج ٣/ ٧٣٥.

(٢٩٥) انظر: الكاشف، الذهبي ج ٧/ ٧٣٧.

– عبيد بن البراء بن عازب الأنصاري، ثقة[٢٩٦] ، قال العجلي: تابعي ثقة[٢٩٧].

وجاء عند ابن خزيمة: –ثابت ن عبيد عن البراء بن عازب:

قال ابن خزيمة: أخبرنا أبو طاهر، حدثنا أبو بكر، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو أحمد مسعر، عن ثابت بن عبيد، عن البراء بن عازب –رضي الله عنه– قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله أحببنا أن نكون عن يمينه، فسمعته يقول حين انصرف: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢٩٨].

أخبرنا أبو طاهر حدثنا أبو بكر حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد مسعر، عن ثابت بن عبيد، عن البراء بن عازب قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله أحببنا أن نكون عن يمينه، فسمعته يقول حين انصرف: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك».

وفي رواية عن ابن خزيمة أخرى، عن ثابت بن عبيد، عن ابن البراء، عن البراء بن عازب

وفي رواية أخرى عند أحمد بن حنبل، وقال أحمد: حدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد الأنصاري عن البراء أن النبي، ﷺ...[٢٩٩].

–أبو إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب، –رضي الله عنهما–:

قال ابن حبان: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عقبة بن مكرم أخبرنا يونس بن بكير حدثني يونس بن عمرو قال: قال أبي: وحدثني البراء بن عازب – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا اضطجع لينام وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، وقال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٣٠٠].

دراسة إسناد ابن حبان:

– أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، للإمام الحجة، محدث الموصل[٣٠١].

– عقبة بن مكرم بن عقبة، صدوق[٣٠٢].

(٢٩٦) انظر: التقريب، ابن حجر ١٣٥٧.

(٢٩٧) انظر: تهذيب الكمال، المزي ج ٧٧/ ٧٣٢) .

(٢٩٨) انظر: أخرجه: ابن خزيمة في الصحيح – باب: استحباب قيام المأموم في ميمنة الصف ح٧٦٥٣،ج٣ ، ص ٧٣.

(٢٩٩) أخرجه أحمد في المسند،ج١،ص٣٣٣.

(٣٠٠) أخرجه: ابن حبان في الصحيح، كتاب: الزينة والتطيب ،ح٦٦٧٣، وأحمد في المسند،ح٧٣٥٣٧ ، وأبو يعلى في مسنده، ح ٥٣٦ ، والبخاري في الأدب المفرد، باب يضع يده تحت خده، ح٧٧٧٦.

(٣٠١) انظر: سير أعلام النبلاء ،الذهبي،ج١/ ٧٢١ .

(٣٠٢) انظر: التقريب، ابن حجر١٥٦٧، تهذيب الكمال ،المزي، ج ٧٣/ ٧١٣.

– يونس بن بكير بن واصل، صدوق يخطئ[٣٠٣].

، قال ابن معين: كان صدوقا، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع: ضعيف[٣٠٤].

–يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو إسرائيل، صدوق يَهِم قليلاً[٣٠٥]،

قال ابن معين: ثقة[٣٠٦].

–عمرو، أبو إسحاق السبيعي، سبق الترجمة له.

التعليق على إسناد البراء:

–اختلف فيه على أبي إسحاق السبيعي؛ لأنه رواه مرة مباشرة عن البراء، كما جاء عند ابن حبان في الصحيح، ح ٦٦٧٣، ورواه مرة بواسطة: فروى أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن البراء كما جاء عند الترمذي في السنن،ح٣٣٣٣، ورواه بواسطة عبد الله بن يزيد كما جاء عند الترمذي في الشمائل المحمدية، ح ٧٦٦.

وقال الترمذي في رواية البراء: قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن زيد، عن البراء. وعنده أيضا عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله مثله.

وقال شعبة: عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة، ورجل آخر، عن البراء. وقال سفيان الثوري: عن أبي إسحاق عن البراء.

قال أبو عيسى:كأن حديث إسرائيل أقرب الروايات إلى الصواب وأصح؛ لقول شعبة عن أبي عبيدة ورجل آخر، فلعل الرجل أن يكون عبد الله بن يزيد[٣٠٧]، وإسرائيل له اهتمام وهو ضابط وضبط بحديث جده أبي إسحاق، فنرجح رواية إسرائيل من باب الاختصاص.

–إسرائيل حفيد أبي إسحاق رواه على وجهين:

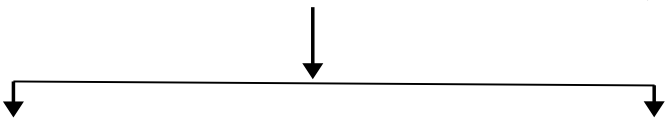

(٣٠٣) انظر: التقريب، ابن حجر، ٢٣٣٣.

(٣٠٤) انظر: تهذيب الكمال ،المزي ، ج ٧٣/ ٦٧٣.

(٣٠٥) انظر: التقريب، ابن حجر، ٢٣٣٣ .

(٣٠٦) انظر: تهذيب الكمال، المزي، ج ٧٣/ ٦٧٥.

(٣٠٧) العلل، الترمذي الكبير،ج ٧/ ٣٥٣.

وإسرائيل مختص بالرواية عن جده؛ فتكون كلتا الروايتين محفوظة، كما ضبط قال الدار قطني.

-اختلف في تعيين ابن البراء، والأكثر على إبهامه، وجاء التصريح بأنه يزيد ابن البراء عند أحمد في مسنده، ح٧٣٦٦٣، وجاء عند أبي داود في السنن، ح٥٧٦ التصريح بابن البراء بأنه عبيد بن البراء.

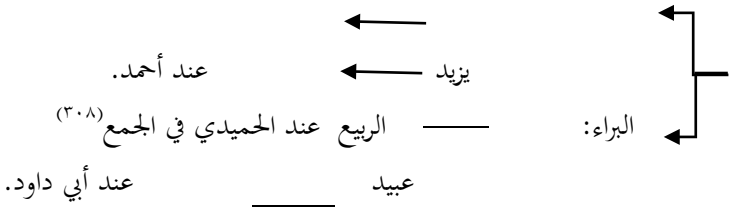

الحكم على الحديث:

بعد دراسة جميع طرق الحديث يكون الحديث صحيحا بشواهده.

المبحث الثاني: أقوال العلماء في وقت ذكر دعاء «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك».

في هذا الحديث تناولت جنبين الأولى معاني الحديث والثاني أقوال العلماء في وقت الدعاء ، وذلك على النحو الآتي:

-شرح معاني مفردات الحديث:

اللهم: صيغة دعاء ونداء مثل: يا الله، حذف منها حرف النداء، وعوض عنه بميم مشددة ،والمراد دعاء الله وحده لا شريك له، وهي صيغة نداء ودعاء(٣٠٩).

قني: يعني أبعدني، وأصُدَّق عني(٣١٠).

عذابك: العذاب عقاب ونكال مؤلم شديد(٣١١).

تبعث: مأخوذ من بعثه يبعثه بعثا، أي: أرسله(٣١٢)، والبعث هو: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء، وقال ابن كثير:

(٣٠٨) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي، ثم قال: ليس للربيع بن البراء عن أبيه في الصحيح غير هذا الحديث.

(٣٠٩) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم ، ص٧٣٧.

(٣١٠) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مادة (قن).

(٣١١) المعجم الوسيط، مادة (عذب) (٢/ ٥٨٩).

(٣١٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٧/ ٧٧٥)، (، مادة)بعث.

البعث هو المعاد وقيام الأرواح يوم القيامة[٣١٣].

أقوال العلماء في وقت الدعاء:

اختلف العلماء في الوقت الذي يدعى فيه بحديث الرسول ﷺ :«اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»؛ أيذكر عند النوم فقط؟ أم يذكر عند الصلاة؟ أم يذكر عند كليها؟

وفيما يلي تفصيل لذلك:

أولا – رأي العلماء المتقدمين:

الرأي الأول: أن هذا الدعاء يقال عند النوم فقط.

وأصحاب هذا الرأي:

– أن هذا الحديث جاء من روايات عدد من الصحابة غير البراء، ذكرت أنها من أذكار النوم، كما جاء عند حفصة وابن مسعود وحذيفة وأنس–رضي الله عنهم–، وعند البراء في بعض رواياته.

–كثير من العلماء جعلوه من أذكار النوم في كتبهم، مثل الطبراني في الدعاء، والنووي في الأذكار، وابن حجر في نتائج الأفكار، وابن تيمية في الكلم الطيب، وابن القيم في الوابل الصيب.

– رواية مسلم من طريق ثابت بن عبيد، عن يزيد بن البراء عن البراء بلفظ: كنا إذا صلينا خلف رسول الله أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه، قال: فسمعته يقول: (رب قني عذابك).

قال الألباني: عندنا هذا ليس بالمشهور، حتى إن البخاري في التاريخ الكبير قال: عن أبيه، ولم يوثقه أحد سوى العجلي، وروايته تخالف كل الطرق عن البراء أنه ﷺ كان يقوله عند النوم، فتكون رواية عبيد هذه شاذة في أحسن أحوالها[٣١٤].

الرأي الثاني: يقول أصحابه: إن هذا الدعاء يقال عند الصلاة، ولكنهم اختلفوا أيقال قبل الصلاة **أم بعدها؟** وأغلبهم على أنه يقال بعد الصلاة، ودليلهم أن:

– الروايات جاءت عند أحمد، ح ٧٣٦٦٣–ح٧٣٢٧٧، تدل على أنها بعد الانصراف من الصلاة.

– رواية (يقبل علينا بوجهه)، أي: بعد السلام من الصلاة يلتفت النبي جهة اليمين بوجهه. وفي مسند الروياني من طريق أبي أحمد حدثنا مسعر عن ثابت بن عبيد عن البراء قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله

(٣١٣) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج٦/ ٣٣٦.

(٣١٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة٥/ ٦٣٣.

أحببنا أن نكون عن يمينه فسمعته حين انصرف يقول: ربِّ قني عذابك، فدل على أنها بعد الصلاة[٣١٥].

الرأي الثالث: رأى الحافظ ابن رجب أن هذا الدعاء يقال قبل النوم وعند الصلاة، ولكن لا يداوم عليه عند الصلاة، بقوله: إن هذا ليس يجهر به حتى يسمعه الناس، إنما فيه أنه يقوله بينه وبين نفسنه، وكان يسمعه منه أحيانا جليسه كما كان يسن مع من خلفه الآية أحياناً في صلاة النهار[٣١٦].

ثانيا– رأي العلماء المتأخرين:

واختلف العلماء المتأخرون أيضا حول وقت ذكر هذا الدعاء، وانقسموا إلى رأيين:

الرأي الأول: أن هذا الدعاء يقال وقت النوم، وهذا رأي الشيخ الألباني، ود. صالح الفوزان، ود. سعد الخثلان ود. سليمان العلوان، ودليلهم الأحاديث الواردة الصحيحة [٣١٧].

الرأي الثاني: يرى أصحابه أن هذا الدعاء عامٌّ، يقال عند النوم وعند الصلاة، ولكن ليس بمطرد، وهو رأي الشيخ، ابن باز والشيخ ابن عثيمين، والدكتور عبد الكريم الخضير والدكتور عبد المحسن الزامل والدكتور مقبل الوادعي[٣١٨].

(٣١٥) أخرجه: الروياني في مسنده ح ٣٣٥-٧/ ٧٣٥.

(٣١٦) فتح الباري ابن رجب- ١٣٣/٢.

(٣١٧) الموقع الرسمي، د. صالح الفوزان، الموقع الرسمي د. سليمان العلوان.

(٣١٨) المرجع السابق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأرجوه –سبحانه– أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم والصلاة والسلام على نبينا وصحبه أجمعين، أما بعد.

فلقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

– جاء حديث: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» من خمس طرق؛ الأول من طريق حذيفة وإسناده حسن، والثانية من طريق أنس، وإسناده حسن، والثالثة من طريق حفصة، وفيه أكثر من علة، والرابعة من طريق ابن مسعود، ورواية إسرائيل فيه هي الأحفظ، والخامس من طريق البراء بن عازب وإسناده صحيح.

– اختلفت أقوال العلماء المتقدمين حول وقت الدعاء بالحديث؛ فبعضهم من جعله من أذكار النوم، في حين رأى بعضهم أنه يقال عند الصلاة، ولكنهم اختلفوا أيقال قبلها أم بعدها، وإن كان معظمهم على أنه يقال بعدها، بينما ذهب رأي ثالث من المتقدمين إلى أنه يقال قبل النوم وعند الصلاة.

– اختلفت أقوال العلماء المتأخرين حول وقت الدعاء بالحديث؛ فبعضهم من رأى أنه يدعى به قبل النوم، في حين رأى فريق آخر أنه يدعى به عند النوم وعند الصلاة، ولكنه ليس بمطرد.

– الرأي الراجح — في نظر الباحثة — أن هذا الدعاء كان يدعو به الرسول ﷺ عند النوم.

التوصيات:وبناء على ما سبق توصي الباحثة بما يأتي:

– السنة النبوية في حاجة إلى دراسة تفصيلية لبيان معاني الأحاديث التي يحفظها الإنسان حفظاً دون فهم.

–نشر الأحاديث الصحيحة، وبيان معانيها، وأهمية تطبيقها في الحياة، لنسعد في الدنيا والآخرة.

– الحرص على أن نكون دوما في رعاية الله – عز وجل — وحفظه؛ بأداء الأدعية في أوقاتها التي جاءت عن النبي،ﷺ .

–ضرورة اهتمام الباحثين بدراسة الأحاديث الشريفة، وبيان معانيها وطرقها ودرجة إسنادها، ووقتها، كما جاءت عن النبي،ﷺ.

المصادر والمراجع:

-تاريخ ابن معين، البغدادي ،أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء(ت ٢٣٣هـ)، البغدادي، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف ،)ط (، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري (ت ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، د.ت، د.ط.

-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، د.ط، د.ت.

-تقريب التهذيب، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني،توفي:٨٥٢هـ،تحقيق: محمد عوامة، ط، سوريا، دار الرشيد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسع، أبو الحجاد، مال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي ، تحقيق: د.بشار عواد معروف ط ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

-تهذيب التهذيب، ابن حجر، أبو الفض ل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العس قلاني، الهند ،مطبعة دائرة المعار النظامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

-الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم ،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الارزي ابن أبي حاتم(ط)، الهند، طبعة مجلس دائرة المعار العثمانية بحيدر آباد الدكن، بيروت، دار إحياء الت ارث العربي ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

– جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

-الجمع بين الصحيحين الباري ومسلم، الحميدي ،محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: د.علي حسين البواب ،ط٢، لبنان، دار ابن حزم٢١١٢م.

– ذخيرة الحفاظ (من الكامل لابن عدي)،المؤلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)،المحقق: د. عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: دار السلف –

الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.
-سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
-السلسلة الصحيحة، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاد نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، د. ط، الرياض، مكتبة المعار، د.ط، د.ت.
-سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَازيماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
-علل الترمذي الكبير، الترمذي ،محمد بن عيسى بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: صبحي السامرائي، أبو المعاطي النوري، محمود الصعيدي ، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩م.
-العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدار قطني، أبو الحس ن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مس عود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الرياض، دار طيبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَازيماز الذهبي تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الطيب ،ط ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن
-لسان العرب، ابن منظور ،محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي ،أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، د. ط، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.
-مسند الروياني، محمد بن هارون الروياني، ط القاهرة: مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦.
المعجم الوسيط، إبراهيم مص طفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية ،)د.ط ،دار الدعوة.
-الموقع الرسمي د. صالح الفوازن، الموقع الرسمي د. سليمان العلوان.
-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَازيماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

البحوثات المقدمة من طلبة الدكتوراة

عودة إلى نقش (GOAM 314)
دراسة في دلالاته اللغوية والدينية والاجتماعية

أ. هديل يوسف الصلوي[٣١٩]

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة لنقش معيني من نقوش مدينة يثل (براقش) في الجوف، وهو من نقوش المتحف الوطني في صنعاء (GOAM 314)، وقد سبق أن نشر النقش منير عربش وريمي أودوان، فمضمون النقش يُنْبئ بأنه من نقوش الاعتراف العلني، فقد اقترفت صاحبة النقش خطيئة، وكفرت عنها للمعبود (نكرح)، فهذه النقوش هي اعترافات علنية لمن ارتكبوا مخالفات، سواء كانت دينية أم اجتماعية، ويعد الاعتراف العلني بالذنب شرط من شروط المغفرة وقبول التوبة من المعبود، ويبقى النقش هو الإهداء الذي يُقدم كقربان في عملية الاعتراف والتكفير عن الذنب.

الكلمات المفتاحية: نقش، يثل (براقش)، نكرح، الاعتراف العلني

Abstract:

This study is concerned with an inscription found in Barāqish, also known as Yṯl, in Al-Jawf Governorate. The inscription is exhibited in Yemen National Museum in Sana'a and coded (GOAM 314). It has been published earlier by Mounir Arbach and Rémy Audouin. An instance of public confession is described in the inscription. The inscription belongs to a woman who committed a sin and sought forgiveness from Nakrḥ, an ancient South Arabian god of protection and salvation worshiped in the Maʾinean Kingdom. Such kinds of inscriptions represent public confessions of those who committed either religious or social sins. Public confession was seen as a pre-condition for forgiveness and acceptance of repentance, where such inscriptions stand as the offerings of the sinners made when seeking forgiveness through public confession and declaring repentance.

KeyWords: inscription, Yṯl (Barāqish), Nakrḥ, Public confession

٣١٩ مدرس مساعد، قسم الآثار والسياحة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء

المقدمة:

نتناول هنا نقشاً من نقوش المتحف الوطني في صنعاء (GOAM 314)، نشره الدكتور منير عربش وريمي أودوان في كتاب مجموعة القطع النقشية والأثرية من مواقع الجوف[٣٢٠]، ولفت نظر الباحثة أن الناشر اكتفى بنشر المعنى العام فقط، في حين أنه يحتاج إلى نشر علمي دقيق، ودراسة لغوية ودينية واجتماعية مفصلة.

والنقش المدروس هو من نقوش مدينة يثل (براقش حالياً)، التي تُعد من أهم مدن مملكة معين بعد العاصمة قرناو، وتقع في وادي الجوف، ويرى الإرياني أن الاسم القديم (ي ث ل) ينطق (يثيل)، معتمداً في على ذلك أن قاعدة الكتابات المسندية فيما يخص حروف المد الثلاثة (أ و ي) تنطق ولا تكتب، واعتمد في رأيه بأنها كانت ظاهرة شائعة في اللغة اليمنية القديمة، ولا تزال في عدد من أسماء المدن اليوم مثل (يريم) و(تريم) وغيرها، وأن اشتقاقها هو من مادة (ث ي ل)، والثيل في اللغة اليمنية القديمة هو: سيل الحمم البركانية المنصهرة، وقد أطلق في اللهجات اليمنية اسماً لعدد من القرى، وذلك لأنها تقع في أرض غطتها الحمم البركانية[٣٢١]، وربما أن هذا المعنى ينطبق أيضاً على اسم مدينة (يثل)، فقد أخبر الباحثة أحد الطلاب من الجوف بأنه يوجد بالقرب من المدينة عين ماء ساخنة.

ويرجح أن (يثل) هي المدينة الدينية لمعين، حيث كشفت البعثة الإيطالية عن عددٍ من المعابد في القطاع الجنوبي من المدينة، مما يرجح أن ذلك الجزء من المدينة كان مخصصاً لمعابد المعبودات المعينية، وما كشفت عنه يعود للمعبود نكرح، والمعبود عثتر يهرق، والمعبود عثتر ذو قبض، إلى جانب ذلك توجد أعمدة مع تيجانها وعوارض حجرية للسقف تبدو ظاهرة فوق الأرض، تشبه طريقة تسقيف المعابد التي تم الكشف عنها في نفس المكان، ومن المحتمل أن يكون ذلك معبد كرس للمعبود عثتر الشارق، بالإضافة إلى ذلك يذكر النقش (CIH 547) أنه تم تأدية الحج للمعبود ذي سماوي الذي كان في (يثل).

والنقش المدروس مدون على لوحة من الحجر الجيري، ويتكون من ثمانية أسطر، حروفه واضحة وكاملة، ويستدل من محتواه على أنه من نقوش الاعتراف العلني، المقدمة للمعبود نكرح، وأنه من مجموعة النقوش المقدمة من النساء، فصاحبة النقش من اقترفت خطأ وكفّرت عنه.

(٣٢٠) عربش، منير؛ ريمي أودوان: مجموعة القطع الأثرية والنقشية من مواقع الجوف، متحف صنعاء الوطني. الجزء الثاني، صنعاء: اليونسكو / الصندوق الاجتماعي للتنمية / صنعاء: المتحف الوطني، ٢٠٠٧م، ص ٧٠.

(٣٢١) الإرياني، مطهر علي: (نار ضروان) في (نقش مسندي) وفي (كتب التراث)، مجلة الإكليل، ع (٣١-٣٢)، ٢٠٠٧م، ص ٣٨-٤٠.

النقش بالخط المسند:

١. 𐩲|𐩧𐩱|𐩧𐩣𐩦𐩱

٢. 𐩠|𐩧𐩬𐩲𐩧𐩲|𐩨𐩱

٣. |𐩬𐩣𐩲𐩱𐩣|𐩣𐩱𐩧𐩲

٤. 𐩮|𐩧𐩱𐩨|𐩱𐩲𐩣𐩬𐩣

٥. |𐩱𐩲𐩥𐩦𐩠𐩨|𐩧𐩲𐩣

٦. |𐩣𐩣𐩮𐩨|𐩲𐩠𐩦𐩨𐩨

٧. 𐩱𐩲|𐩬𐩲𐩠𐩨𐩣𐩠

٨. |𐩬𐩣

النقش بالحرف العربي:

١. س ل م ت / ذ ت / خ

٢. ذ ب / ن ت خ ي ت / و

٣. ن ت ذ ر / ك ن ك ر ح /

٤. ش ي م هـ س / ب ذ ت / أ

٥. ر خ ت / ب و ل د هـ س /

٦. ب ض ل ع ن / ب أ م ر /

٧. و م ر ض و هـ ي / ن ك

٨. ر ح /

المعنى العام للنقش:

سلامة الخذابية اعترفت (باقترافها خطيئة) وكفّرت عنها للمعبود نكرح بسبب ما أحدثت (أذى في جسم) ولدها (كسر) في الضلع بأمر ورضا المعبود نكرح.

تحليل النقش ودراسته:

سطر (١):

سلمت: اسم علم مؤنث، وهو اسم صاحبة النقش، من الأسماء التي وردت في النقوش المعينية، ومنها (M 392 A)، وأيضاً في نقش: (al-Saʿīd 2002)، وقد قرأ السعيد الاسم (سلامة)؛ معتمداً في ذلك على ما ورد في كتاب الأنساب العربية[٣٢٢].

ذت: اسم موصول للمفرد المؤنث يفيد النسبة بمعنى "التي"، وتشترك السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية في استخدام الاسم الموصول للمفردة المؤنثة (ذ ت) بمعنى "التي".

خذب: اسم يدل على نسبة صاحبة النقش إلى منطقة تسمى "خذب"، وجاء هذا الاسم في نقش معيني آخر: (M 349).

سطر (٢):

نتخيت: فعل ماضٍ تكرر في نقوش الاعتراف العلني، بمعنى "اعترف (باقتراف ذنب)"، والتاء في آخره للدلالة على التأنيث، والمعنى "اعترفت".

سطر (٣):

نتذر: فعل ماضٍ عرف في نقوش الاعتراف بمعنى "كفَّرَ (عن ذنب اقترفه)"، والفعلان (ن ت خ ي) و(ن ت ذ ر) هما المفتاح لفهم محتوى نقوش الاعتراف العلني[٣٢٣].

كنكرح: الكاف: حرف جر في المعينية يفيد الملكية بمعنى (لِ)، يقابلها في السبئية[٣٢٤] والقتبانية[٣٢٥] (ل)، أما في الحضرمية فيقابلها (هـ).

---

(٣٢٢) السعيد، سعيد فايز: زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة، مجلة أدوماتو، ع (٥)، ٢٠٠٢م، ص ٥٨.

(٣٢٣) الصلوي، إبراهيم محمد: نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، مجلة كلية الآداب، ع (٢٠)، ١٩٩٧م، ص ٢٦.

(٣٢٤) بيستون، ا. ف. ل؛ وريكمانز، جاك؛ والغول، محمود؛ ومولر، والتر: المعجم السبئي، (إنجليزي- فرنسي- عربي)، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز- لوفان الجديدة، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٢م، ص ٨١.

(325) Ricks, Stephen D: Lexicon of Inscriptional Qatabanian, Studia pohl, 14. Editrice Pontificio Istituto Biblico, Roma, 1989, p.88.

نكرح: اسم معبود في معين، وهو المعبود الذي تم الاعتراف له بالخطيئة، ويستدل من خلال عدد من النقوش أن (نكرح) معبود مدينة يثل (براقش حالياً)، ويوجد فيها معبد نكرح المخصص له، والذي كشفت عنه البعثة الإيطالية، ويُعد هذا النقش من النقوش القليلة التي أوضحت بأن نكرح هو الشايم، أي (الحامي).

سطر (٤):

شيمهس: شيم (اسم فاعل)، أي: شايم، بمعنى الإله الحامي، الحافظ، ورد في السبئية[٣٢٦] والقتبانية[٣٢٧] بالمعنى نفسه، **هس:** الهاء: حرف يتوسط بين المضاف والمضاف إليه في المعينية فقط، ولا توجد هذه الهاء في السبئية والقتبانية والحضرمية[٣٢٨]، والسين: ضمير غائب متصل للمفرد المؤنث. والمعنى "حاميها، راعيها".

بذت: أداة تعليل مركبة من حرف الجر الباء والحرف المصدري ذ ت (أنْ)، بمعنى (بأنْ، لأنَّ، كي).

سطر (٥):

أرخت: فعل ماضٍ بمعنى "أحدث"[٣٢٩]، والتاء في آخره للدلالة على التأنيث، والمعنى "أحدثت".

بولدهس: الباء حرف جر يفيد الإلصاق بمعنى (بِ)، وهو اتصال شيء بشيء آخر.

ولد: (اسم) ولد، وورد في السبئية[٣٣٠] والقتبانية[٣٣١] والحضرمية بالمعنى نفسه، والهاء: حرف يتوسط بين المضاف والمضاف إليه في المعينية فقط، والسين: ضمير غائب متصل للمفرد المؤنث. أي (بولدها).

سطر (٦):

بضلعن (اسم): الباء حرف جر يفيد الإلصاق بمعنى (بِ)، وهو اتصال شيء بشيء آخر، ضلعن: الضلع:

(٣٢٦) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ١٣٦.

Biella, Joan c: Dictionary of old South Arabic (Sabaean Dialect), Harvard Semitic Studies, Vol. 25. XIII-561 p. Chico, CA, Scholars Press, 1982, p.516.

(327) Ricks, Stephen D: op.cit, p.166.

(٣٢٨) الصلوي، إبراهيم محمد: دروس في قواعد لغة النقوش اليمنية القديمة (السبئية – المعينية – القتبانية – الحضرمية – الهرمية)، السمو للطباعة والتصوير، صنعاء، ٢٠١٥م، ص ٥٨.

(٣٢٩) الصلوي، هديل: ألفاظ النقوش المعينية دراسة معجمية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٢١م، ص ١٨.

(٣٣٠) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ١٦٠.

Biella, Joan c: op.cit, p.131.

(331) Ricks, Stephen D: op.cit, p.51.

عظم من عظام القفص الصدري في الإنسان، ويوجد لدى الإنسان أربعة وعشرون ضلعاً، بحيث يكون هناك اثنا عشر ضلعاً على كل جانب من جانبي الصدر(٣٣٢).

وتكمن وظيفة الضلوع في حماية ما يحتويه القفص الصدري من أعضاء حيوية، مثل: القلب والرئتين، ويتعرض الضلع للكسر نتيجة التعرض لصدمة في منطقة الصدر، مما يؤدي إلى تمزيق الأوعية الدموية أو الأعضاء المجاورة لها الرئتين، وفي السبئية(٣٣٣) ورد (ضلعن) بمعنى "داء يصيب الضلوع؟"، وفي العبرية(٣٣٤) (ṣēlaʿ) ورد بمعنى "ضلع". والمقصود (بضلعن) أنه ربما بسبب الضرب المبرح حدث أذى في الضلوع، أي: (كسر في الضلع).

بأمر: الباء حرف جر يفيد الإلصاق بمعنى (بِ)، وهو اتصال شيء بشيء آخر.

أمر: اسم بمعنى "أْمر"، ورد في السبئية(٣٣٥) والقتبانية(٣٣٦) بالمعنى نفسه، وأمر الله: حكمه، قال تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)(٣٣٧)، والأمر هنا يقصد به "العلامة، الإشارة".

سطر (٧) (٨):

ومرضوهي/ نكرح:

مرضو: اسم مصدر بمعنى "رضى"(٣٣٨)، وفي السبئية(٣٣٩) ورد بالمعنى نفسه، وقد تكرر اللفظ (مرضوهي) في العديد من النقوش المعينية منها: M 412, M 57, M 60 , M 64، والهاء: حرف يتوسط بين المضاف والمضاف إليه في المعينية فقط، أي أنه تم الرضا والقبول من المعبود، بعد أن تابت توبة نصوحا، والشعور بالخطيئة، وخوفها من عقوبة المعبود، هذا كله يدل على معرفتها بأن المعبود مطلع على كل شيء،

(٣٣٢) ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مادة (ضلع).

(٣٣٣) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٤١.

(334) Gesenius, William: A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Boston and New York, 1963, p.6.

(335) Biella, Joan c: op.cit, p.21.

(336) Ricks, Stephen D: op.cit, p.13.

(٣٣٧) سورة النساء، الآية (٤٧).

(٣٣٨) الصلوي، هديل: ألفاظ النقوش المعينية، ص ١٣٩.

(٣٣٩) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ١١٥.

أي أن الاعتراف كان عن دافع إيماني.

دونت نقوش الاعتراف العلني على ألواح برونزية وحجرية، يتم وضعها في المعبد، ومضمون هذه النقوش اعترافات علنية لمن ارتكبوا أخطاء ومخالفات، سواء كانت دينية أم اجتماعية، يعترف فيها المذنب بارتكابه الخطيئة، وشعوره بالذنب، وعدم معاودة ارتكاب مثل هذه الأخطاء، فهي إما أخطاء ارتكبها شخص واحد أو جماعة من الناس، وغالباً ما تكون أخطاء تتعلق بالطهارة أو تقصير في تأدية الشعائر الدينية، أو عدم الالتزام بالواجبات الاجتماعية(٣٤٠)، فالاعتراف العلني هو جزء من الكفارة(٣٤١)، وأيضاً شرط من شروط المغفرة وقبول التوبة من المعبود، وفي هذا النقش – موضوع الدراسة – تبين أن المخالفة التي ارتكبتها صاحبة النقش اجتماعية.

وإلى جانب نقوش اعترافات الرجل بالخطيئة، فهناك نقوش تتضمن اعترافات لنساء، كما هو في نقشنا هذا، ويمثل هذا قمة التدين لليمني القديم، سواء كان ذكراً أم أنثى(٣٤٢).

أما ما يتعلق بنوع ومقدار الكفارة، فإنها لم تحدد في نقشنا هذا، وكما أشار الصلوي بأن السبب في عدم ذكر نوع الكفارة ومقدارها في بعض نقوش الاعتراف العلني، يرجع إلى وجود قواعد وتشريعات قد حددت الأفعال الخاطئة، ونوع الكفارة ومقدراها بحسب كل خطيئة، أي أن الشخص المذنب على علم بالأفعال الخاطئة ونوع الكفارة المحددة لكل فعل خاطئ، وذلك للتطهر مما اقترفه وارتكب من أخطاء بحق المعبود، لذا لا حاجة لذكر كل ذلك في النقوش(٣٤٣)، وهذا النظام موجود في الإسلام ويعرف بالأرش، الذي يُعد تعويضاً وكفارة، ويحدد غرامة كل خطيئة.

فالخطأ التي ارتكبته صاحبة النقش، هو قيامها بضرب ولدها، مما تسبب بحدوث الأذى في جسد ولدها، وتحديداً (كسر) في الضلع، وبناء عليه اعترفت وكفَّرت عن ذنبها للمعبود نكرح.

ويتضح لنا أن ما تسببت به من أذى في جسد ولدها كان نتيجة لضرب مبرح، فالإنسان عندما يغضب

(٣٤٠) الصلوي، هديل: نقوش الإهداءات في اليمن القديم الإهداءات البشرية أنموذجاً دراسة استقرائية تحليلية، نورحوران للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٢٠م، ص ١٤٤.

(٣٤١) النعيم، نورة بنت عبد الله بن علي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١١٠.

(٣٤٢) الصلوي، هديل: نقوش الإهداءات في اليمن القديم، ص ١٥٢.

(٣٤٣) الصلوي، إبراهيم محمد: نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني (نقش جديد من معبد أ ذ ن ن) دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، دراسات سبئية، صنعاء – نابولي، ٢٠٠٥م، ص ١١٩.

يفقد سيطرته على نفسه ويفقد أعصابه، ويقوم بعمل أشياء لا يستوعب مخاطر حدوثها إلا فيما بعد، أي إن صاحبة النقش قد فقدت أعصابها، هذا قد يكون نتيجة لخطأ ما ارتكبه ولدها، وهنا قامت بمعاقبته، وربما كان الضرب مبرحاً مما أدى إلى حدوث أذى في جسده.

وكما هو معروف اجتماعياً استخدام بعض الآباء الضرب في محاولة لضبط وتقويم سلوك أبنائهم، فوسيلة الضرب يسمح بها عند البعض، بينما يحرم استخدامه ويعاقب من يمارسه عند البعض الآخر، فالعلماء يقولون بجواز ضرب الأب والأم أولادهم للتأديب، وأنه يجب مراعاة أن لا يكون الضرب مبرحاً، أي: (موجعاً)، وأن لا يكون في مكان مؤلم، وأن لا يضرب وهو غضبان، لأن الغضب يفقد صاحبه السيطرة على نفسه(٣٤٤).

وربما هذا ما حدث في نقشنا – موضوع الدراسة – ربما كانت الأم في حالة غضب، وفقدت السيطرة على نفسها، مما جعلها تتسبب في حدوث الأذى (كسر) في ضلع ولدها، وهو الأمر الذي جعلها تعترف بخطيئتها وتكفر عنها للمعبود نكرح، ويرجح أنها أصيبت بحالة حزن شديدة وكآبة ومعاناة.

وبناء على ما سبق، فإن المضمون العام للنقش هو الاعتراف باقتراف الخطايا والتكفير عنها، فبعد الاعتراف للمعبود نكرح باقتراف الخطايا، وإعلان الندم على ما تم اقترافه، الذي كان مشروطاً بالكفارة، وإشهار ذلك في نقش، يعلق في المعبد أمام الأخرين، ليقرأه الناس جميعاً كنوع من التعزير، فالإشهار بحد ذاته هو تعزير للشخص ونوع من الردع؛ حتى لا يعاود اقتراف مثل هذه الأخطاء.

أي إن قبول التوبة والرضا من المعبود، لا يتم إلا بعد أن تكون التوبة نصوحا بعدم معاودة اقتراف الخطايا، والندم على ما تم اقترافه.

ويمكن القول أيضاً إن الخوف من غضب المعبود وعقوبته، هو ما جعل الأشخاص يعترفون باقترافهم الخطايا، وهذا يدل على معرفتهم وعلمهم بأن المعبود مطلع على كل شيء، أي أن الاعتراف كان من دافع إيماني.

الخاتمة:

يمكن القول إن المضمون العام للنقش – موضوع الدراسة – يدور حول موضوع الاعتراف العلني بإقتراف الخطايا والتكفير عنها، ويكون التعبير عنها دائماً بالفعلين اللذين يعدان مفتاح لفهم مضمون نقوش الاعتراف العلني، وهما: (ن ت خ ي) و (ن ت ذ ر).

وبشكل عام يعد الاعتراف بالخطيئة نوعاً من أنواع الطقوس الدينية التي مارسها اليمني القديم، وهي

(٣٤٤) الأهواني، أحمد فؤاد: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص ١٣٥٠-٢٧٠.

اعترافات علنية لمذنبين ارتكبوا مخالفات، سواء كانت دينية أم اجتماعية، تحوي في مضمونها أن مقترف الخطيئة يعترف بارتكابه الخطيئة.

وهناك العديد من النقوش تتضمن اعترافات لنساء، على اعتبار أن الكل سواسية، ولا فرق بين ذكر وأنثى، ومنها هذا النقش فقد ارتكبت صاحبة النقش خطيئة بأن تسببت بأذى في جسد ولدها، هذا الأمر جعلها تعترف بخطيئتها وتكفر عنها للمعبود (نكرح)، فالاعتراف العلني بالخطيئة شرط من شروط المغفرة وقبول التوبة من المعبود.

وفي ختام النقش يرد أنه تم الرضا والقبول من المعبود، بعد أن تابت وكفرت عن خطيئتها، وخوفها من عقوبة المعبود، فالعقوبات تتمثل في شعور مرتكب الخطيئة بالندم وإحساسه بالذنب، وهذا الشعور من المتعبد الذي ارتكب الخطيئة يدل على قوة إيمانه، لذلك اعترف بالخطأ للمعبود، وهذا يدل على أن المعبود مطلع على كل شيء.

(نقلاً عن كتاب مجموعة القطع الأثرية والنقشية من مواقع الجوف ص ٧٠)

المصادرالمراجع:

- **القرآن الكريم**

- **ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري:** لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

- **الأهواني، أحمد فؤاد:** التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

- **الإرياني، مطهر علي:** (نار ضروان) في (نقش مسندي) وفي (كتب التراث)، مجلة الإكليل، ع (٣١-٣٢)، ٢٠٠٧م.

- **بيستون، ا. ف. ل؛ وريكمانز، جاك؛ والغول، محمود؛ ومولر، والتر:** المعجم السبئي، (إنجليزي- فرنسي- عربي)، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز- لوفان الجديدة، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٢م.

- **السعيد، سعيد فايز:** زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة، مجلة أدوماتو، ع (٥)، ٢٠٠٢م.

- **الصلوي، إبراهيم محمد:** نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، مجلة كلية الآداب، ع (٢٠)، ١٩٩٧م.

- **الصلوي، إبراهيم محمد:** نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني (نقش جديد من معبد أ ذ ن ن) دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، دراسات سبئية، صنعاء – نابولي، ٢٠٠٥م.

- **الصلوي، إبراهيم محمد:** دروس في قواعد لغة النقوش اليمنية القديمة (السبئية – المعينية – القتبانية – الحضرمية – الهرمية)، السمو للطباعة والتصوير، صنعاء، ٢٠١٥م.

- **الصلوي، ابراهيم محمد؛ والأغبري، فهمي علي:** نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني من معبد غرو دراسة في دلالاته اللغوية والدينية، أدوماتو، ع (٢٨)، ٢٠١٣م.

- **الصلوي، هديل:** نقوش الإهداءات في اليمن القديم الإهداءات البشرية أنموذجاً دراسة استقرائية تحليلية، نورحوران للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٢٠م.

- **الصلوي، هديل:** ألفاظ النقوش المعينية دراسة معجمية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٢١م.

- **عربش، منير؛ وريمي أودوان:** مجموعة القطع الأثرية والنقشية من مواقع الجوف. متحف صنعاء الوطني. الجزء الثاني صنعاء: اليونسكو / الصندوق الاجتماعي للتنمية / صنعاء: المتحف الوطني، ٢٠٠٧م.

- **النعيم، نورة بنت عبد الله بن علي:** التشريعات في جنوب غرب الجزيرة حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ٢٠٠٠م.

- **Biella, Joan c:** Dictionary of old South Arabic (Sabaean Dialect), Harvard Semitic Studies, Vol. 25. XIII-561 p. Chico, CA, Scholars Press, 1982.
- **Gesenius, William:** A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Boston and New York, 1963.
- **Ricks, Stephen D:** Lexicon of Inscriptional Qatabanian, Studia pohl, 14. Editrice Pontificio Istituto Biblico, Roma, 1989.

الهُوية الإيمانية ودور اليمنيين في الحفاظ عليها

أ. أحمد محمد عبده مطهر[٣٤٥]

الملخص :

هدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم الهُوية لغة واصطلاحا، ومقومات الهُوية الإيمانية ومميزاتها، ودور اليمنيين في الحفاظ عليها.

وتوصل الباحث إلى النتائج أهمها:

– تعزيز الثقة بالنفس والاعتزاز بهويتنا الإيمانية وثقافتنا القرآنية، حتى لا نعيش حالة التسول الحضاري، أو الذوبان في هويات الآخرين الذي يعكس حالة التخبط والضياع والتبعية للآخرين.

– على الأسرة والشعب اليمني مسؤولية كبيرة في الحفاظ على الهوية الإيمانية.

– لا بد من تأصيل وترسيخ الهُوية الإيمانية في مناهجنا الدراسية، في مختلف المراحل والمستويات الدراسية.

– تفعيل الجانب الإعلامي في تعزيز الهُوية الإيمانية وإبراز الدور الحضاري للإسلام والمسلمين.

الكلمات المفتاحية: الهوية، ألإيمانية.

:Abstract

This research aims to highlight the concept of identity lexically and contextually, the elements and characteristics of faith identity, the role of Yemeni people in preserving it.

The researcher came out with the following important results:

- Yemeni people could preserve identity by enhancing self-confidence and pride of our faith identity and Qur'anic culture. Thus, we shall not live lack of civilization and social collapse, or follow the identities of the others that reflect the confusion of the situation, loss, and dependency on others.

٣٤٥ مدرس مساعد، قسم الداسات الأسلامية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة صنعاء

- The Yemeni family and people have a great responsibility to preserve their faith identity.

- It is necessary to establish and consolidate the faith identity in our curricula at various levels of study.

- The media shall begin to play an active awareness-raising role to promote faith identity and affirm the civilizational role of the Islam and Muslims.

Keywords: identity, faith.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وبعد.

إنّ تحديد هويّة الإنسان وانتمائه مسألةٌ على غاية من الأهمية في واقعنا الراهن؛ فالهويّة عنصر أساس في بناء الحضارات ونهضة الأمم، إذ تشكّل المنطلق لفهم موقع الإنسان ودوره في هذا العالم وفي المجتمع الإنساني، فحين يحدّد الإنسان هويّته فهو بذلك قد حدّد (غايته) في هذه الحياة، و"المنهج" الذي يضبط أفكاره وحركته بناء على ما تتضمّنه هذه الهوية، وتصوّرَ (الأمّة) التي ينتمي إليها ويعيش قضاياها ويتفاعل معها، فالحديث عن الهوية ليس مجرّد حديث نظري لا رصيد له في الواقع، وإنما هو حديث تشتدّ الحاجة إليه في مرحلة (الغثائية) والضعف والضياع والمهانة والانحطاط والتخلف الذي تمرّ به الأمة الإسلامية، وتتكالب عليها الأمم من كلّ حدبٍ وصوب، فشاعت فيها أوضاع الفرقة والتشرذم، والعودة إلى النعرات الجاهلية المنهيّ عنها كالتجمّع والانتماء والتعصّب على أساس (القومية) أو (الوطن)، حتى صارت هذه الروابط التي ترسّبت في عقول أبناء الأمة من أهمّ آثار الغزو العسكري والفكري للأمة، حتى صارت هي روابط الانتماء الأصلية، وأما (الهوية الإيمانية) فهي مجرد رابطة جامعة أقرب ما تكون إلى (الرمزية)! فتفقد رصيدها الواقعيّ الحقيقيّ في ساحة الأحداث الكبرى التي تمرّ بها الأمة.

وانطلاقا من ضرورة تنقية مفهوم الهوية من الغبش الذي التصق به لأسباب مختلفة، كان هذا البحث بعنوان: (الهُوية الإيمانية ودور اليمنيين في الحفاظ عليها).

الدراسات السابقة:

لا توجد في حدود علم الباحث دراسة مباشرة تناولت الموضوع قيد البحث.

مشكلة وتساؤلات الدراسة:

يُمْكِن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما الأدوار اللازمة لقيام اليمنيين بدورهم في غَرْس وتقوية الهُوِيَّة الإيمانية والحفاظ عليها؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

١- ما مفهوم الهوية، والهُوية الإيمانية؟

٢- ما المظاهر التي تدل على وجود الهُوية الإيمانية؟

٣- ما مُقومات الهُوية الإيمانية؟

٤- ما دور اليمنيين في الحفاظ على الهُوية الإيمانية؟

أهمية الدراسة:

١- تتعرض الأمة الإسلامية لسلسلة من التحديات الكبيرة والخطيرة، دخلت خلالها مواجهات من أجل الحفاظ على هُويتها.

٢- تعد الهُوية الإيمانية هي المستهدف الأول في ظل الصراع الحضاري القائم ومهمة العولمة هي محو الهويات والثقافات للأمم لصالح هوية وثقافة واحدة هي العولمة الأمريكية.

٣- العناية بالمحافظة على الهُوية الإيمانية تعد أساس المحافظة على بقية هويات المسلمين في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها؛ لأن جميعها تعتمد على أصل الإيمان.

أهداف الدراسة:

١- غَرْس الهُوية الإيمانية، وتقويتها، والحفاظ عليها.

٢- التعرُّف على المظاهر التي تدل على وجود الهُوية الإيمانية وتدعيمها.

٣- التعرُّف على مُقومات الهُوية الإيمانية.

٤- وَضْع تَصوُّر للدور الذي يمكن أن يلعبه اليمنيون في تدعيم وتقوية الهُويّة الإيمانية.

حدود الدراسة:

اقتصرت حُدود الدراسة على الهوية الإيمانية، كما اقتصرت الدراسة على المؤلفات، مثل: محاضرات السيد حسين بدرالدين الحوثي، وكذلك محاضرات السيد عبدالملك الحوثي، عن الهوية الإيمانية، والبُحوث التي تناولت الهُوية الإيمانية، وما يتصل بها من محاور أساسية؛ كالانتماء الإسلامي؛ ومقومات الشخصية الإسلامية.

منهج الدراسة:

استعمل الباحث المناهج البحثية المعروفة؛ كل ذلك مع الالتزام بالمتعارف عليه أكاديميا في خدمة التوظيف.

خطة الدراسة:

وقد تم تقسيم خطة البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: الدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها، ومنهجها.

الهُوية الإيمانية ودور اليمنيين في الحفاظ عليها، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مفهوم الهُوية الإيمانية، ومقوماتها، ووجوب التمسك والاعتزاز بها، وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: مفهوم الهُوية.

الفرع الثاني: مقومات ومميزات الهُوية الإيمانية.

الفرع الثالث: وجوب التمسك والاعتزاز بالهُوية الإيمانية.

المطلب الثاني: دور اليمنيين في الحفاظ على الهُوية الإيمانية، وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: دور الأسرة والشعب اليمني في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

الفرع الثاني: دور مؤسسات التعليم في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

الفرع الثالث: دور المسجد ووسائل الإعلام في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المطلب الأول: مفهوم الهُوية الإيمانية ومقوماتها وجوب التمسك والاعتزاز بها، وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: مفهوم الهُوية.

أولا– الهوية في اللغة:

وردت لفظ الهُوية بضم الهاء وكسر الواو وتضعيف الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء، والهُوية: هي الذّات[٣٤٦]، وهُوي الأرض: جمع هُوَّة، وهي: الحفرة والمطمئن من الأرض[٣٤٧]، وللهُوية دلالة على

(٣٤٦) يُنظر: حجازي: مصطفى وآخرون، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٥٤.

(٣٤٧) يُنظر: ابن منظور: محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ج١٥، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، ٣٧٤.

الشخصية، الذي يدل على مصطلح بطاقة الهُوية أو البطاقة الشخصية، التي تثبت هُوية الفرد، من اسمه وجنسيته ومولده(٣٤٨).

ثانيا– الهُوية في الاصطلاح:

يُعد مفهوم الهُوية من المواضيع المثيرة للجدل، إذ إن الهُوية تخضع في تعريفها للعلم الذي يُحقق فيها، ولكل علم تعريفه الخاص للهُوية، يختلف عن تعريفها في العلم الآخر، كعلم الكلام، وعلم النفس، وعلم الفلسفة، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم الإنسانية المختلفة.

فعلماء الكلام، يُعرفون الهُوية على أنها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"(٣٤٩).

وفي علم النفس تعرف الهُوية على أنها: "كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه: الاستمرار والثبات وعدم التغير"(٣٥٠).

وفي علم الفلسفة تُعرف الهُوية على أنها: "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضاً: وحدة الذات"(٣٥١)، والهُوية فلسفياً هي حقيقة الشيء، أو الحقيقة المطلقة لشخص لتُمَيزه عن غيره(٣٥٢).

وفي علم الاجتماع تُعرف الهُوية على أنها:"عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي: تحديد حالته الشخصية"(٣٥٣).

ويمكن الجمع بين التعاريف السابقة، وبذلك تكون الهُوية هي: الالتقاء والاتفاق حول مجموعة من الخصائص والمميزات المشتركة بين عدد من الأشخاص، مما يشكل في مجموعه العام ما يميز أمّة عن غيرها من الأمم،

(٣٤٨) يُنظر: الحفيان: د. فيصل، اللغة والهُوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، بحث في مجلة التسامح، العدد٥، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، مسقط، ص١٢٦–١٢٧.

(٣٤٩) الجرجاني: علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، ج١، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١، ٣٢٠.

(٣٥٠) عاقل: فاخر، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، ط١، ص٥٥.

(٣٥١) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٠٨.

(٣٥٢) يُنظر: مدكور: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١٩٧٢م، ١٠٣٩/٢، والجابري: الموسوعة الفلسفية العربية، ١٩٨٦م، ٨٢١/٢.

(٣٥٣) بدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م، ط١، ص١٨٥.

وبذلك يكون للهُوية اعتبارها من حيث إنها علامة فارقة بين أمّة وأخرى، وشخص وآخر، وكذلك فإنه إذا تم الاعتماد على المفهوم اللغوي لكلمة (هُوية)، أو تم الاعتماد على استعمالاتها في معجم العلوم الإنسانية المختلفة –كما تم ذكره سابقاً– فإن المعنى العام للهُوية لا يتغير، ففي اللغة تم الإشارة إلى أن (الهُوية) جمع هوة، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض، ويمكن أن يُستنتَج من ذلك أن الهُوية هي الشيء الذي تسكن إليه وتطمئن إليه، وتشعر من خلاله بالحماية والأمان والتميز، فهو يخصك أنت ولا يخص غيرك من غير المنتمين إليه، وهذا المعنى هو ما تشير إليه تعريفات العلوم الإنسانية المختلفة، لمفهوم الهُوية –التي تم ذكرها سابقاً– فهي تشتمل على التميز عن الغير، والمطابقة للنفس أو للمثيل، أي خصوصية الذات وما يتميز به الفرد والمجتمع عن الأغيار، من خصائص وميزات وقيم ومقومات، فميزات الفرد هي هُويته، وميزات الجماعة هي هُوية الجماعة.

ثالثا– الهُوية الإيمانية.

الهُوية الإيمانية هي: الإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته، فاللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة القرآن الكريم، التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية، وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية(٣٥٤)، وقد أدرك الأعداء ذلك، حيث إن الصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإيمانية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار عليها(٣٥٥)، وفي المجتمعات الإسلامية –التي منها اليمن– يعد الإسلام المتمثل بالقرآن الكريم الهُوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتماء الحقيقي ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وهُوية الإنسان المسلم تتمثل في الحفاظ على الدين الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾(٣٥٦)، سُمِيَ الدينُ صبغة

(٣٥٤) يُنظر: عمارة: د. محمد، مخاطر العولمة على الهُوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ط١، ص٤٦.

(٣٥٥) يُنظر: الجندي: أنور، حتى لا تضيع الهُوية الإسلامية والانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، د.ط.ت، ص٧.

(٣٥٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

استعارة ومجازا، إذ تظهر أعماله وسمته على الدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب[٣٥٧]، فالصبغة هي الهُوية، والهُوية هي الإسلام، والقرآن يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله، ومفهوم الهُوية في القرآن هي هُوية الإسلام، التي تعني: الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الدينية والإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي أيضاً محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في الحياة[٣٥٨].

الفرع الثاني: مقومات ومميزات الهُوية الإيمانية.

أولا– مقومات الهُوية الإيمانية:

١– العقيدة الإسلامية:

تُعد العقيدة الإسلامية التي نستمدها من القران الكريم مصدرا أساسيا لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا، كون العقيدة الإسلامية المقوم الأهم والأكبر الذي يجمعنا مع مختلف شعوب وقوميات وأمم العالم الأخرى الداخلة في الدين الإسلامي، حيث ينضوي تحت لوائها كل مسلم أياً كان لونه أو لغته أو المكان الذي يوجد فيه، فتُحيل الجميع تحت معتقد واحد هو (الإسلام)، وتحت مسمى واحد هو (المسلمون)، لأن الإسلام كان العامل الأول في بناء الدول العربية والإسلامية فيما بعد، أما مجرد الدعوة إلى هُوية عربية فقط، وتعريتها من القرآن بدعوى التقدم والمدنية، فذلك أمر مرفوض؛ لأن العروبة والقرآن مُرتبطان ولا انْفِكاك بينهما[٣٥٩].

٢– اللغة العربية:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، فالعروبة عامل يجمع ويشمل جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم، فلا يحتاج المسلم لأن يكون عربياً في النسب حتى تكتمل عروبته في نظر الإسلام، إذ إن علاقة الإسلام بالعروبة ليست علاقة عادية، فالإسلام مرتبط بالعروبة، والعروبة مرتبطة بالإسلام، والعرب لهم خصوصية في

(٣٥٧) يُنظر: القرطبي: محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، تح: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، ط٢، ص١٤٤.

(٣٥٨) يُنظر: الأشقر: د. عمر سليمان، معالم الشخصية الإسلامية، دار النفائس، الاردن، ١٤١٥م، ط٦، ص١٩.

(٣٥٩) يُنظر: يوسف: خليل يوسف، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، رسالة دكتوراه غير منشورة، تربية عين شمس، ١٩٦٢م، ص٨٠.

نظر الإسلام بحكم عروبة القرآن، وعروبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعروبة المسلمين الأوائل الذين تحملوا أعباء الدين وإيصاله إلى الناس كافة، وكذلك فاللغة العربية لها فضل على سائر الألسن، ولأنها لسان أهل الجنة، ويثاب المسلم على تعلمها وعلى تعليمها غيره(٣٦٠)، القرآن الكريم هو حافظ اللغة العربية، ومن هنا ظلت العربية وستظل تنمو وترتقي، وهي محفوظة بحفظ الله تعالى لكتابه العزيز، فاللغة بوصفها مظهراً اجتماعياً هي مرآة مجتمعها، تنحط بانحطاطه وترتقي برقيه، فبفضل القرآن ارتقت الهُوية العربية وارتقت معها لغتها، والقرآن هو الهُوية التي يشرف بها المؤمن ويزداد عزاً؛

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(٣٦١)، لذلك فأعداء الإسلام يستشعرون خطر القرآن عليهم في تقويض مشاريعهم المهيمنة على الأمة الإسلامية وعلى بلدانها وثرواتها، بل ويخافون أن تكتسح الثقافة القرآنية بلدانهم ومجتمعاتهم، فهم يرون في القرآن والإسلام خطورة بالغة عليهم، لذلك يسعون لإبعاد المسلمين عن التمسك بقيم القرآن وأحكامه، وكذلك يحاول أعداء الإسلام محاربة اللغة العربية ليس باعتبارها لغة قومية للعرب فهذا لا يضيرهم، ولكن لأنها لغة القرآن، وقد ارتبطت بصورة وثيقة بالإسلام، ولأن الله سبحانه وتعالى أرادها لغة عالمية لجميع المسلمين، فحاولوا إبعاد الناس عنها وترويج لغات أخرى تحوز الاهتمام ولتكون هي اللغة العالمية بعيدا عن لغة القرآن(٣٦٢)، وهنا لا بد من تقرير أمر في غاية الأهمية، وهو اقتران العُروبة بالقرآن منذ أمدٍ بعيد في حضارة واحدة، وتاريخ مشترك؛ بل وشعر العالم كله بهذا الرباط القوي الجامع، فالعالم إذا تصور القرآن لا يستطيع أن ينسى العرب الذين آمنوا به، وطافوا أرجاء العالمي برسالته، وإذا تصور العروبة لا يستطيع أن ينسى الدين الذي أعْلَى شأنها، وجَمَع من شتاتها دولة قدمت للإنسانية أزكى المثل، إن القرآن لا ينفك عن العروبة أبداً، ذلك القرآن الكريم –وهو دستور المسلمين– لغته هي العربية(٣٦٣).

(٣٦٠) يُنظر: مجموعة من العلماء: الموسوعة الفقهية، ج٣٠، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (ب. ت. ط)، ٢٧٢.

(٣٦١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.

(٣٦٢) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، دروس رمضان الدرس الرابع عشر، صعدة، اليمن، ٢٠٠٣م، ص٥–٦.

(٣٦٣) يُنظر: الغزالي: محمد، حقيقة القومية العربية، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٢.

٣- التاريخ:

من مقومات الهُوية الإيمانية التاريخ المشترك الذي أسهم في صناعته أبناء الإسلام من العرب وغيرهم، وكان أيضا لغير العرب من المسلمين أدوار رئيسة وفاعلة في صياغة مجريات الأحداث التي مرت بها أمتنا الإسلامية، وكان لهم محطات مُضيئة ومواقف مشرفة، أسهمت وبشكل فعال ومؤثر في تغيير مجرى حياة الأمة الإسلامية(٣٦٤)، لذلك فإن من أساليب الأعداء في إضلال أمة الإسلام وإبعادها عن هويتها الإيمانية هو محاولة إبعاد المسلمين عن تاريخهم الإسلامي وخاصة ذلك التاريخ الذي ارتبط بعظمة الإسلام وقادة المسلمين الذين كانوا نماذج للعدل والاستقامة(٣٦٥)، كذلك يحاول أعداء الإسلام إبعاد المسلمين عن أعلام الهدى وتغييبهم عن المناهج الدراسية وعن وعي الأمة وهويتها حتى يتم استبدالهم وربط الأمة بأعلام وهمية لا يمثلون الهُوية الحقيقية للإسلام(٣٦٦).

٤- التراث:

يعد التراث من مقومات الهُوية، ويُعنى بالتراث: "النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث صبغتها بصبغ خاصة، وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها"(٣٦٧)، وبما أن التراث في أية أمة من الأمم يعني أيضاً: مكوناتها التاريخية، وأنه كلما امتد هذا التراث عمقاً في التاريخ ترسخ وجود الأمة طبيعياً في كينونتها وهُويتها، فإن إهماله أو اختراقه من قبل الآخر،

(٣٦٤) يُنظر: عنان: محمد عبدالله، تاريخ الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م، ط٣، ص٧٠، وهنتجتون: صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ١٩٩٩م، ط٢، ص١٠٣.

(٣٦٥) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن الكريم، يوم القدس العالمي، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص٩.

(٣٦٦) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن الكريم، معرفة الله، الدرس الثالث عشر، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص٢.

(٣٦٧) محسن: عبدالحميد، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٦.

يعني بأن هذه الجماعة أو الأمة قد اخترقت هُويتها وفي طريقها إلى الذوبان والاضمحلال[٣٦٨]، لذلك يحاول أعداء الإسلام أن يمحوا الآثار الإسلامية ويغيروها ويبعدوا الناس عنها لما لها من أهمية وأثر روحي ينعكس على مشاعر المسلمين وتوجهاتهم، كما فعلوا في مكة والمدينة والآثار المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بينما يحافظون على الآثار الخاصة بملوكهم، بل ويحافظون حتى على آثار اليهود ولا يمسونها بسوء، أما الآثار الإسلامية فهم يعملون جاهدين على طمسها وتغييرها وإبعاد الناس عنها إمعانا في إبعاد المسلمين عن ثقافتهم وهويتهم الدينية ولأنهم يدركون أثرها الروحي في الناس[٣٦٩]، لذلك يجب الالتفات والانتباه إلى أهمية التوعية بالهُوية الإيمانية[٣٧٠].

٥- التكوين النفسي المشترك:

يشمل العادات والتقاليد والأخلاق والمشاعر والأحاسيس والأعياد ومناسبات الأفراح والأحزان ومقاييس الذوق والجمال والحب والطعام والشراب واللباس والروابط الأسرية، التي كان للدين الإسلامي الدور الأعظم في تشكيلها وصقلها وتهذيبها[٣٧١]، لذلك تعاني معظم شعوب الأمة العربية والإسلامية من ضياع الهُوية والتخبط في البحث عن هويات أخرى، وكأنهم لا يدركون أن ما بأيديهم من هُوية إسلامية وأسس إيمانية كفيلة بأن تجعلهم خير الأمم وأعزها وأصلحها وأكرمها، وبينما تعتز الأمم الأخرى بهوياتها وثقافاتها على ما فيها من علل وتتشبث بلغاتها، نجد من أمتنا العربية من يتنكر لثقافته ولغته مع أنها لغة القرآن وثقافة الإسلام، ويسعون للذوبان في ثقافات أخرى ولغات أخرى، وليس العيب في التعرف على ثقافات الآخرين ولغاتهم، ولكن المعيب هو الذوبان في ثقافات الآخرين، والتنكر للثقافة الأصلية التي نشأ الإنسان فيها وتعلم قيمها، ولا سيما إن كانت هذه الثقافة هي الثقافة الإسلامية، وقيمها ومبادئها القرآنية، فما أبعد

(٣٦٨) يُنظر: خشيم: علي فهيم، المستقبل يتعلق بالماضي، مجلة الوحدة (المغرب)، السنة١٠، العدد١٠٥، ١٩٩٤م، ص١٥.

(٣٦٩) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، دروس رمضان، الدرس السابع، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص١٦-١٧.

(٣٧٠) يُنظر: النبهان: د. محمد، أزمة البحث عن هُوية في مواجهة الحضارة الغربية، المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، مؤسسة آل البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الدورة العاشرة لمؤتمر المجتمع، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ص٢١٣-٢١٤.

(٣٧١) يُنظر: عمارة: د. محمد، الأمة العربية وقضية الوحدة، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨١م، ط٣، ص١٤٦-١٥١.

الإنسان حين يتنكر لها ويذهب للبحث عن ثقافة وهُوية غيرها[٣٧٢].

ثانيا: مميزات الهُوية الإيمانية:

١- إلهية المصدر:

وهي أول ميزة للهُوية الإيمانية لأنها تجعل من الدين الإسلامي – الذي هو من عند الله – مركز الصدارة مما جعلها خالدة مستمرة[٣٧٣]، وهذه الهُوية تبين للإنسان كيف يتعامل مع هذه الحياة في مختلف النواحي[٣٧٤]، وكل ما في الهُوية الإيمانية هو بوحى من عند الله، وما عند البشر فهو قاصر؛ لأنهم بشر، مما جعلها موضع ثقة الناس، فهي تغرس فيهم دافعاً فطرياً نحو الاستقامة والرقابة التي لا تعني إعاقة البشر أو تخلفهم عن التقدم، بل هي حافز قوي إلى العمل والنهضة والا بداع، وعبادة يُتقرب بها إلى الله[٣٧٥].

٢- إنسانية عالمية:

تمتاز الهُوية الإيمانية بخاصية عدم الانتماء إلى أمة معينة أو منحصرة في مكان أو زمان، لأنها لا تنتسب إلى أحد أو جماعة من كبار المفكرين أو صغارهم، وقد جاء الخطاب القرآني للناس عامة، ،

قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[٣٧٦]، وقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾**[٣٧٧]، فهي هُوية لا تمييز فيها على أساس الجنس أو العنصر أو اللون أو الدم بل كل هذه الأمور لا اعتبار لها في ميزان الإسلام، بل التمايز للتقوى،

(٣٧٢) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، لتحذن حذو بني إسرائيل، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص١.

(٣٧٣) يُنظر: العيادي: أحمد صبحي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، الأردن، ٢٠٠٤م، ط٢، ص٤٢.

(٣٧٤) يُنظر: السيد: عزمي حسن وآخرون، الثقافة الإسلامية مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، دار المناهج، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ط٥، ص١٢١.

(٣٧٥) يُنظر: هندي: صالح دياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، الأردن، ١٩٨٤م، ط٥، ص٢٢.

(٣٧٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣٧٧) سورة الفرقان، الآية: ١.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣٧٨)، وتجعل الإنسان مخلوقا مكرما له احترامه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(٣٧٩).

٣– كاملة:

إن الهُوية التي تستمد مقوماتها وخصائصها من الشريعة الإسلامية لا بد أن تكون كاملة في جميع شؤون الحياة في الدنيا والآخرة، فهي شملت في تصوراتها الكون والإنسان والحياة، ونظرت للإنسان باعتباره كلاً لا يتجزأ، وبالتالي استراحت من خصام العقائد والثقافات التي تفصل بين الدنيا والآخرة، والجسد والروح وبين الفردية والجماعة، هذا الانقسام الذي يدفع الإنسان إلى الحيرة والقلق والاضطراب(٣٨٠)، وهي كذلك كاملة في نظام فريد من التناسق والترابط والوحدة مما جعل هذه الهُوية قادرة على مواجهة الظروف وتقديم الحلول التي تناسب البيئات على اختلاف الزمان والمكان والأفراد(٣٨١)، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(٣٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٣٨٣).

٤– أخلاقية:

ومن مميزات الهُوية الإيمانية أنها أخلاقية في سلوكها، لا ينفصم فيها القول عن العمل ولا العمل عن النية، وهذا يعني التطبيق الفردي والجماعي(٣٨٤)، قال تعالى﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(٣٨٥)، وهي هُوية رفعت الأخلاق فيها مكاناً علياً حين جعلتها غاية الرسالة، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى

(٣٧٨) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣٧٩) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣٨٠) يُنظر: هندي: صالح دياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، ، الأردن، ١٩٨٤م، ط٥، ص٢٢.

(٣٨١) يُنظر: العيادي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص٤٤.

(٣٨٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣٨٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣٨٤) يُنظر: العيادي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص٤٤.

(٣٨٥) سورة الصف، الآية: ٣.

آله وسلم: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣٨٦).

واعتبرت الأخلاق ثمرة الاعتقاد الصحيح، ولا تعترف بتجزئة الأخلاق ولا بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، ومن ثم لا انفصال فيها بين الأخلاق والعلم ولا بين الأخلاق والاقتصاد والسياسة، ولا بين الأخلاق والجنس كالهويات الغربية التي ماتت في خميرة التقدم الأخلاقي، وافتتنت بالعلم والعقل فأصبحت شقية عمياء حتى نسيت أبجديات الأخلاق.

إن الهُوية الإيمانية اعتنت بالأخلاق منذ بزوغ فجره وإشراقة شمسه، فالقرآن الكريم في عهديه المكي والمدني على السواء في اعتناء كامل بجانب الأخلاق(٣٨٧)، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٣٨٨).

ولم يشرع الإسلام العبادات بكافة صورها طقوسًا ولا شعائر مجردة من المعنى والمضمون؛ بل إن كل عبادة تحمل في جوهرها قيمة أخلاقية مطلوب أن تنعكس على سلوك المسلم المؤدي لهذه العبادة، وأن تتضح جليًا في شخصيته وتعاملاته مع الغير، وفيما يرسمه لذاته من إطار يحرص على الالتزام به ولا يحيد عنه، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما بُعث في أقوام كانوا بعيدين عن الأخلاق الفاضلة؛ إلا أنهم كانوا قد تطرفوا ببعضها حتى خرجوا به من طور الاعتدال، فأبقى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الحسن من أخلاقهم وصرف عن الرذائل منها(٣٨٩).

لذلك أحدث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تغييرا في نفوس المسلمين فطهر المجتمع من الرذائل، وأبقى على العادات الحميدة، وحث المسلمين عليها كالصدق، والوفاء بالعهد، واحترام الجوار، والشجاعة، والصبر، عدم قبول الذل والمهانة، وغيرها من العادات الحسنة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام، وأرسى قواعد الدين الجديد التي قامت بنبذ العصبية، وجعل ولاءهم لله سبحانه وتعالى وحده، وأصبحت

(٣٨٦) البخاري: محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، الأدب المفرد، ترجمة: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ٩٨٧م، ص١٠٠.

(٣٨٧) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، ٣٥٦٢/٦.

(٣٨٨) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣٨٩) يُنظر: أفضل، المسؤولية الأخلاقية وأثرها على الفرد والمجتمع، ص٢٨٠.

هذه المبادئ منهج حياة بكل مقوماتها، وأساسا يقوم عليها واقعهم، وتغلغلت في نفوسهم هذه التعاليم الجديدة، وكونت منهم أمة صالحة لا للحياة فحسب؛ بل لبسط سلطانها، ونشر دينها على الدنيا بأسرها، وهكذا جاء الإسلام بتشريعات شملت جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية(٣٩٠).

والإسلام كان حريصًا منذ اللمسات الأولى في تشييد دعائم الدولة الإسلامية على التأكيد على أهمية الأخلاق في بناء المجتمعات وتنميتها وارتقائها؛ بل إن الدعوة إلى هذه القيم الفاضلة قد بدأت مع الدعوة الإسلامية في مكة منذ اللحظات الأولى(٣٩١).

ويتضح مما سبق أن الهُوية الإيمانية هُوية متميزة عن غيرها من الهُويات، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمّة مقومات بقائها ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها، فلا يذوبون في ثقافات أو هُويات غيرهم من الأمم، إذ تستوعب حياة المسلم كلها، وكل مظاهر شخصيته، فهي تامة الموضوع، محددة المعالم، واضحة الملامح، تحدد لحاملها وبكل دقة ووضوح وظيفته وهدفه وغايته في كل هذه الحياة.

الفرع الثالث: وجوب التمسك والاعتزاز بالهُوية الإيمانية.

مما لا شك فيه أنّ لكلّ أمّة –قديمة كانت أَم حديثة– شخصيتها المستقلة المتجسّدة في هويتها المتميزة، التي تشكل منظومتها الثقافية والحضارية، فبدون الهويات المتمايزة تختلط الثقافات، وتتداخل صور الحضارات(٣٩٢)، والهُوية لا يشعر الإنسان بوجودها كذات مستقلّة، ولكنها كالصحة لا يشعر الإنسان بقيمتها وأهميتها إلا إذا فقدها، فالإنسان لا يشعر بالصحة وبوجودها إلا إذا سقم جسمه، واعتلّت حالته، فأصبح يبحث عن الصحّة بين عيادات الأطباء، وكذلك الهُوية لا يشعر الإنسان بوجودها إلا إذا فقدها وتاهت منه، فأصبح إنساناً بِلا هُوية، عند ذلك يشعر الإنسان حقيقةً أنه بِلا ذات، بِلا معنى، فيقع في الغربة، وما ذلك إلا لأنّ الأمّة إذا فقدت هويتها ضاعت بين الأمم، وتشرد أبناؤها، وطواها النسيان، وأسرع

(٣٩٠) يُنظر: قطب: سيد (ت: ١٣٨٥هـ)، المستقبل لهذا الدين، مكتبة السالمية، الكويت، (د. ت. ط)، ص٣، وحلمي: مصطفى، الإسلام والأديان دراسة مقارنة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ص٨.

(٣٩١) يُنظر: الخطيب: عبد الكريم (ت: ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن ج٢٨، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت. ط)، ٨٣٣.

(٣٩٢) يُنظر: بكار: د. عبدالكريم، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها، دار العلم، الأردن، ١٤٢١هـ، ط١، ص٦٧.

إليها الذوبان، لذلك تعتبر الهُوية بمثابة الحصن لثقافة الأمة، والقلعة التي تحفظ للأمم تواجدها وتميزها وشموخها وحضورها، فهي كالإطار الذي يحمي مكوناته الداخلية، سواء من البشر أو الثقافات أو القيَم من الضياع والتشرذم، ويحصنها ضدّ التمييع والذوبان، كما أنه يمنع كلّ وافد غريب –سواء كان فكراً أو سلوكاً– من التسلل أو الاقتحام، إذاً فوظيفة الهُوية هي: حماية الذات الجماعية من عوامل الذوبان والتعرية(٣٩٣).

إن الأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة لتستعيد عافيتها، ونهوضها، وعزتها، من خلال الصلة الصادقة بالله سبحانه وتعالى، والعودة الحقيقية إلى الإيمان كمنظومة متكاملة في مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، لأنه بالتمسك بقيم الإيمان ومبادئه وقيمه وأخلاقه تتحقق للمؤمنين العزة، فلا يعيشوا حالة الذل والهوان، والتبعية والارتهان، والخنوع والاستسلام لأعداء الأمة(٣٩٤).

وتتمثل أهمية الهُوية الإيمانية في كونها ترتقي بالإنسان ليحقق إنسانيته الكاملة وبدونها ينحط في روحيته وأخلاقه وسلوكه ويتحول إلى حيوان كسائر الحيوانات، والانتماء للهُوية الإيمانية هو انتماء يترتب عليه مسؤولية في مواقفنا وأعمالنا، والمعيار المهم في الانتماء هو الطاعة والالتزام العملي وليس الانتماء المتأثر بالمزاج الشخصي الذي يلتزم فيه الإنسان ببعض أشياء وأشياء لا يلتزم بها، فالإسلام جاء ليقيم لنا حضارة ذات خصائص ربانية ومميزات عالمية، لها شخصيتها المعتبرة والمستقلة، فكانت حقاً كما أراد الله لها أن تكون، القائل في وصفها سبحانه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾(٣٩٥).

إن من أولى الواجبات علينا هو أن نحافظ على هويتنا الإيمانية بإقامة شعائر الإسلام، والاعتزاز بالانتماء إليه، وحُسن الالتزام بآدابه وأحكامه وأخلاقه وفي جميع شؤون الحياة، ويُعد الحفاظ على الهُوية الإيمانية حفاظا على الإسلام؛ لأنّ الأمة الإسلامية إذا فقدت هويتها الإيمانية فالنتيجة الحتمية هي الضياع الذي لا يحمي لها كيانها ووجودها كأمة، ويدفع عنها المخاطر والتحديات التي تعيشها، إذ إنه لا سبيل لبقائها قوية وعزيزة إلا بالحفاظ على هذه الهوية، والالتزام والتمسك بهذا الانتماء بمفهومه الصحيح، وتنقية واقع الأمة الإسلامية –من كل الثقافات المغلوطة والدخيلة– حتى يتطابق مع هذا المفهوم بشكله الصحيح، فحالة الاستهداف وما يمتلكه أعداؤنا من إمكانات تؤثر على الكثير من أبناء الإسلام في كل شؤون

(٣٩٣) يُنظر: النعيم: مشاري، تحولات الهُوية العمرانية، مجلة المستقبل العربي، عدد٢٦٣، ٢٠٠١م، ص٩٧-١٠٤.

(٣٩٤) يُنظر: الحوثي: عبدالملك بدرالدين، محاضرات الهوية الإيمانية، رجب، لسنوات، ١٤٣٩هـ- ١٤٤١هـ-١٤٤٢هـ، www.almasirahnews.com.

(٣٩٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

حياتهم، من حيث الإمكانات الإعلامية الهائلة، التي يستطيعون من خلالها أن يغزوا أمتنا ثقافيا وفكريا، وتضليلا وإفسادا، إذ تأثر الكثير من أبناء أمتنا في مفاهيمهم، وفي ثقافاتهم، وفي تفكيرهم، وحتى في نمط حياتهم، وفي سلوكهم، وفي أعمالهم؛ ثم بالتالي في واقعهم(٣٩٦)، ففي القرآن الكريم نجد سورة البقرة غنية وغزيرة بهذه المعاني، ففي قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾(٣٩٧).

يتحدث الله سبحانه وتعالى عن وجوب التمسك والاعتزاز بديننا وشريعتنا، وهويتنا الإيمانية، والتمسك والاعتزاز أيضاً بمنهجنا وسلوكنا الخاص الذي وضعه لنا ربنا سبحانه وتعالى، ويحذرنا في الوقت نفسه من خطورة ترك هذا المنهج والسلوك والتشبه بالكافرين والمشركين، والتمسك بالهُوية الإيمانية والاعتزاز بها هو الموضوع الرئيس الذي تتحدث عنه هذه الآيات، إذ إن المادة الأساسية لهذه الآيات، هي إعطاء الجماعة المسلمة خصائص الأمة المستخلفة وشخصيتها المستقلة بقبلتها وبشرائعها، وبمنهجها الجامع الشامل المميز، وقبل كل شيء بتصورها الخاص للوجود والحياة ولحقيقة الارتباط بربها، ولوظيفتها في الأرض وما تقتضيه هذه الوظيفة من تكاليف في النفس والمال، وفي الشعور والسلوك، ومن بذل وتضحية(٣٩٨).

وفي قوله تعالى:﴿**آمَنَ الرَّ سو ل بِمَا أ نْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِهِ وَالْمؤْمنونَ كلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ وَكتبِهِ وَرسلِهِ لَا نفَرق بيَنَ أَحَد مِنْ رسلِهِ وَقَالوا سمِعْنَا وَأَطَعْنَا غفْرَانَكَ رَبنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِير**﴾(٣٩٩)، فالذي أنزل إلى النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو القرآن(٤٠٠)، ويبين الله سبحانه وتعالى أن الهُوية الإيمانية لأنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله عليهم السلام جميعا، وهي تقرير للمؤمنين أن إيمانهم يجب أن يكون كأنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله عليهم السلام وهي توضح لنا المقاييس الصحيحة والصادقة التي ننظر من خلالها إلى بعضنا بعض، ونقيم على أساسها مواقفنا، لذلك فالعقائد في

(٣٩٦) يُنظر: الحوثي، محاضرات الهوية الإيمانية،www.almasirahnews.com.

(٣٩٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٤-١٠٥.

(٣٩٨) يُنظر: ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٦٤، وقطب: سيد، في ظلال القرآن، ج٢، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ط١٥، ١٢٣.

(٣٩٩) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٤٠٠) يُنظر: الحوثي: بدرالدين بن أمير الدين (ت:١٤٣١هـ)، التيسير في التفسير، ج١، مؤسسة المصطفى، اليمن، صعدة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٤١٢.

الإسلام كلها عملية، بمعنى أن الإسلام لا بد أن يكون إيمانا يترك تأثيرا على النفس، ثم في واقع الحياة، وإلا كان إيمانا أجوف، لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة، لذلك فإيمان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إيمانا عمليا حركيا مع استقامة وثبات، وإخلاص لله سبحانه وتعالى وانقطاع إليه وثقة عظيمة به، وكذلك يجب أن يكون إيمان المؤمنين بالله سبحانه وتعالى إيمانا واعيا، إيمانا عمليا، إيمانا يبعث على التطبيق، إيمانا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى في النفوس، فيما وعد به أولياءه في الدنيا والآخرة، والإيمان بالله لا يمكن أن ينسجم مع الخوف من غير الله، لأن الإنسان المؤمن هو من يكون خوفه من الله أعظم من خوفه من غيره، هو من يكون رجاؤه في الله أعظم من رجائه في غيره، المؤمن بالله هو من يعيش دائما حالة التذكر لله، الحرص على رضاء الله، الخوف من بطش الله، الرغبة فيما عند الله، الإيمان بالله هو إيمان عملي يبعث على العمل، والخوف، والرجاء، والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى[٤٠١].

وتحدث القرآن الكريم عن موضوع الهُوية وذلك بحادثة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، التي تُعد من أهم الأدلة على فرضية التميز والاختصاص وهما لبّ جوهر موضوع الهُوية، ونال موضوع تغيير القبلة أهمية ومكانة خاصة في القرآن الكريم إذ وردت أكثر من آية تتحدث عن هذا الموضوع، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتوقع من ربه أن يحولَه إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[٤٠٢]، لذلك لما هاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة أمره الله سبحانه، أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بضعة عشر شهراً، وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحبُ قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو الله سبحانه وتعالى،

فأنزل الله تعالى: ﴿**فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[٤٠٣]، وبهذا يتبين دور موضوع القبلة في تثبيت التميز والاختصاص للأمة المسلمة، وأن يكون لها هويتها الخاصة، وخصوصيتها المستقلة ليس فقط في المنهج والاعتقاد ولكن حتى في السلوك والعبادات الظاهرة وأشكال الحياة المختلفة، إذ إن الاختصاص والتميز ضروريان للأمة المسلمة[٤٠٤].

(٤٠١) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، الهُوية الإيمانية، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص٢-٣.

(٤٠٢) يُنظر: البيضاوي: ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، تح: عبدالقادر عرفان، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٨هـ، ط١، ٤٢٠.

(٤٠٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٤٠٤) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٩٠/٢، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ١٢٧/١-١٢٩.

وفي آيات أخرى من الآيات القرآنية الدالة على الهُوية في قوله تعالى:﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**﴾[٤٠٥]، يتضح الخطاب الصادر من الله سبحانه وتعالى إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمته، بأنهم على الحق وعلى الطريق المستقيم، وأن لكل أمة من الأمم شريعتهم الخاصة وحضارتهم الخاصة، وثقافتهم الخاصة، وهويتهم الخاصة وأنهم ليسوا بدعا من الأمم[٤٠٦]، وفي سورة (الكافرون) يقول تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[٤٠٧]، في هذه السورة إجمال لحقيقة الافتراق الذي لا التقاء فيه، والاختلاف الذي لا تشابه فيه، والانفصال الذي لا اتصال فيه، والتميز الذي لا اختلاط فيه، وكانت هذه المفاضلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي هو اختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق، فهي البراءة الكاملة، والمفاضلة التامة، والحسم الصريح، إذ بين للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه لا يمكن أن يعبد الباطل، وأنهم لن يعبدوا الحق[٤٠٨].

ولبيان وجوب الاعتزاز بالهُوية الإيمانية نجد أن القرآن الكريم اعترف بهويات متعددة للإنسان، لكنه ركز على أن الهُوية المقدسة هي الهُوية الإيمانية، قال تعالى:﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾[٤٠٩]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٤١٠]، لذلك يجب أن نعتز بهويتنا الإيمانية، إذ إن الإسلام يرفض أن يكون المسلمون تابعين ومقلدين للأمم الأخرى، لأن التبعية هي جوهر التخلف[٤١١].

مما سبق يتضح أن الله سبحانه وتعالى يريد الخير والعزة لهذه الأمة، ويريد لها أن تنال شرف الشهادة على

(٤٠٥) سورة الحج، الآية: ٦٧.

(٤٠٦) يُنظر: الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل تفسير كتاب الله المنزل، ج١٠، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ط١، ٣٩٣.

(٤٠٧) سورة الكافرون، الآية: ١-٦.

(٤٠٨) يُنظر: الفقيه يوسف: يوسف بن أحمد (ت: ٨٣٢هـ)، الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، ج٥، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م،٥٣٤، والحوثي، التيسير في التفسير، ٥٩٨/٧.

(٤٠٩) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤١٠) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤١١) يُنظر: بدران: شبل، التربية والنظام السياسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م، ص٢٠٥.

الناس، بأنها خير الأمم التي أخرجت للناس، بشرط أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ولا تستطيع الأمة القيام بهذا الواجب إلا إذا كان لها شخصيتها المستقلة وهُويتها الخاصة، حتى تستطيع أن تؤثر في المقابل، وبدون هذه العزة فستفشل هذه الأمة حتماً في الوصول إلى هذه المرتبة العظيمة التي ارادها الله سبحانه وتعالى لها.

المطلب الثاني: دور اليمنيين في الحفاظ على الهُوية الإيمانية، وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: دور الأسرة والشعب اليمني في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

أولا: دور الأسرة في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

إنه مما ينبغي على كلّ فرد في الأسرة اليمنية المسلمة أن يعي دوره في الحفاظ على الهُوية الإيمانية، وفي هذه المهمة التي ترتجى من الأسرة اليمنية لأداء دورها في الحفاظ على الهُوية الإيمانية لا بد أن تتوفر فيها مقومات وأن تلم الأسرة اليمنية بمبادئ متعلقة بطبيعة العمل التربوي داخل الأسرة لتكون قادرة على غرس وتعزيز الهُوية الإيمانية، لأن من أبرز المشكلات التي تعيق هذا العمل جهلُ بعض الآباء والأمهات بمبادئ التربية من وجهة نظر الإسلام واعتمادهم على التقليد والمحاكاة وترك عملية التربية للصدفة أو للمجتمع يربيهم كيف يشاء وللتسويف واللامبالاة، بل يجب أن يتعاظم لدى الأسرة الإحساس الشديد بأهمية الهُوية الإيمانية ومسؤوليتها تجاه الأبناء لاسيما بعد أن ضعُف دور المؤسسات الثقافية والتربوية في المجتمع، ولا بد أن يكون للأسرة اليمنية منهج واضح في تربية أبنائها من خلال المنهج القرآني فمتى التزمت الأسرة بهذا المنهج أصبحت حصناً منيعاً لأفراد الأسرة تحفظهم من تقلبات الحياة، فإذا تمسكت الأسرة بهذا المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه الكريم ووضحه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سنته الصحيحة عندها ستسير الأسرة في الطريق الصحيح(٤١٢)، لذلك فالأسرة اليمنية مطالبة بحفظ الهُوية الإيمانية وتوضيح قيمها ومبادئها من خلال الآتي:

١- الاهتمام بالبناء العقدي للأبناء:

مما لا شك فيه أن الفرد يحتاج إلى طاقة إيمانية تدفعه وتغذيه، والقرآن وضع منهاجاً يقوم على الإيمان الذي

(٤١٢) يُنظر: أبو دف: محمود خليل، مقدمة في التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ط١، ص١٥٧.

لا يتحقق حتى يصبح سلوكاً واقعياً في الحياة، يربي العقل وذلك من خلال إطلاعه على أسرار الكون والتفكر في مخلوقاته مما يكسبه مناعة ضد الأفكار والعقائد المنحرفة(٤١٣)، فالعقيدة هي جوهر الخلاف بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم وهي مفترق الطرق، بل هي قطب الرحى الذي تدور حوله سائر الأفعال والأقوال والتصرفات فهي منهج الأبناء كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾(٤١٤)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٤١٥).

٢- تعزيز السلوك الأخلاقي لدى الأبناء:

فالتربية الخلقية هي التي تسلح الأبناء بالإرادة والصبر والشجاعة على مواجهة مشكلات الحياة بعزيمة وثبات وتحفظهم من الطيش والانحرافات الخلقية والاجتماعية(٤١٦)، والأسرة اليمنية وهي تغرس هذه الفضائل الأخلاقية في نفوس أبنائها لتعزيز ثقافتهم ينبغي أن تراعي ما يأتي(٤١٧):

١- إبراز محاسن الأخلاق الفاضلة في حياتهم وبيان عواقب السلوك اللاأخلاقي.

٢- تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقية النظرية، والقيم الممارسة في المجتمع، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتماشى مع قيم الإسلام وتعويد الشباب على ممارستها في أفضل صورة ممكنة عن علم ووعي.

٣- تغيير اتجاهات الأبناء النفسية والفكرية المتعارضة مع السلوكات الاجتماعية المرغوب عنها، إلى السلوك المرغوب فيه والمتوافق مع عقيدة المجتمع وقيمه ومظاهر سلوكه الخلقي.

٤- من الضروري ربط الأبناء بالعبادات، حتى ترسخ لديهم القيم الخلقية وتصبح سلوكاً ثابتاً في حياتهم، ذلك أن العبادات تنهى عن الرذائل وتحث على الفضائل لقوله تعالى:﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾(٤١٨).

(٤١٣) يُنظر: أبو دف: محمود، والآغا، التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته، مجلة الجامعة الإسلامية، مج٩، العدد٢، ٢٠٠١م، ص٢٢.

(٤١٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤١٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤١٦) يُنظر: رابح: تركي، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م، ص٧٣.

(٤١٧) يُنظر: أبو دف، والآغا، التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني، ص٣٣.

(٤١٨) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

٣- مراقبة وسائل الإعلام:

إن أغلب وسائل الإعلام في العالم معادية للإسلام وتعمل على تقويض أركانه وهدم بنيانه عن طريق إفساد عقيدة الأمة وأخلاقها، وقد أشار القرآن إلى هذا السلوك من قبل حيث :

يقول تعالى: **﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾**(٤١٩).

فأعداء الإسلام يستخدمون كل التقنيات الحديثة المتاحة لتحقيق أغراضهم الخبيثة حتى استطاعوا أن يغزوا المسلمين في عقر دارهم ويلهوهم عن عباداتهم وواجباتهم حتى سرقوا عقولهم وأفكارهم(٤٢٠).

لذلك يمكن للأسرة اليمنية أن تسهم في تطوير علاقتها مع وسائل الإعلام من خلال:

١- مراقبة ومتابعة وسائل الإعلام من أجل حماية الأبناء ومن أجل تنمية القيم الأخلاقية لأن وسائل الإعلام تسهم في هدم الثقافة والقيم إذا ما استخدمت بطريقة غير صحيحة، ولأن الإعلام يُعد عامل ربط مؤثر بين وسائط التنشئة ويحدث نوعاً من التناسق بين هذه الأركان(٤٢١).

٢- غرس الفضائل ومكارم الأخلاق في نفوس الأبناء كالحياء والحشمة وغض البصر وحفظ الفرج، وأن وسائل الإعلام الخبيثة تركز على المرأة وتحاول إشاعة الرذيلة والفاحشة بما تقدمه من أفلام ومسلسلات وقصص وأخبار تساعد على ارتكاب الجريمة والسفور والاختلاط والخلوة والتبرج.

٣- تنبيه الأبناء إلى سلبيات الإعلام المعاصر وخطورته، المتمثلة في(٤٢٢):

أ- محاولة تشكيك المسلمين في عقيدتهم.

ب- نشر ما يناقض المبادئ والقيم الإسلامية.

ج- قتل روح الا بداع والتفكير والبحث لدى الأبناء.

د- محاربة الدين والكيد للمسلمين والاستهانة بالثقافة الإسلامية.

هـ- نقل العادات والتقاليد الغربية المنافية للإسلام.

(٤١٩) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٤٢٠) يُنظر: خياط: محمد جميل، التحدي الإعلامي في مجال التربية، دراسات تربوية واجتماعية، مج٢، العدد١، ص٦٦.

(٤٢١) يُنظر: محجوب: عباس، مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي، كتاب الأمة، قطر، ١٩٨٧م، ٢٤.

(٤٢٢) يُنظر: أبو دف، مقدمة في التربية الإسلامية، ص١٧٥.

ثانيا– دور الشعب اليمني في تعزيز الهُوية الإيمانية:

لقد فاقت الهُوية الإيمانية بما تفردت به من أسس متينة، وأهداف واضحة سليمة جميع النظريات السائدة في هذا الزمن وكل زمن؛ فالمجتمع وهو يعاني من الانهيار الشديد في الأخلاق، والقيم، والعادات، والعلاقات يعيش في ظلام وجهل؛ إلا أن الهُوية الإيمانية جاءت لتبدد هذا الظلام القائم، وتضع للناس منهجاً ربانياً واضحاً في الحياة يضمن حياة السعادة والطمأنينة حتى يكون الفرد والمجتمع قوياً موحداً متماسكاً؛ لأنه يرتكز على قواعد الحق والعدل بسبب الآثار التي نتجت عن التزامه للهُوية الإيمانية؛ ويتمثل أثر الهُوية الإيمانية في هداية العقل بتصحيح مفاهيم الفرد، وتصوراته عن الكون والحياة في الدنيا، وعن الحياة الأخرى؛ إذ إن المفاهيم والتصورات لا تصلح ولا تستقيم إلا بالعلم والإيمان(٤٢٣)، لذلك فالشعب اليمني يجب أن يتحمل مسؤوليته الكاملة وأن يكون له دوره الإيجابي في حفظ الهُوية الإيمانية وتوظيفها لمواجهة مخاطر العولمة الثقافية، ويمكن أن نلخص دور الشعب اليمني في تعزيز الهُوية الإيمانية في الآتي:

١– الاعتزاز بالذات:

إن الموقف من الذات وإمكاناتها عامل في غاية الأهمية في بلوغ النجاح أو السقوط في الفشل، وهذا الأمر كما يسري على الأفراد فإنه يسري على الأمم والشعوب بنفس الدرجة، فالأمة التي لا تثق بقدراتها ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتقد إلا ما يقولون ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها، فلا يمكن لأمة أن تنهض وهي تشعر بنقص في ذاتها يجعلها تنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن مسايرة الأمم القوية المزدهرة، فضلاً عن التقدم عليها، ولهذا كان المستعمر دائماً يعمد إلى فرض الأفكار التي تعبر عن ثقافته وحضارته، على الشعوب التي يستعمرها، ويجبرها على تبني هذه الأفكار بطريقة أو بأخرى، لذا لا بد أن ينغرس في وعي الأمة المسلمة أنها صاحبة رسالة سامية، وأن البشرية التي تعيش في فوضى، واضطراب نفسي، وفراغ روحي، وسقوط أخلاقي، هي في أمس الحاجة إلى تعاليم الإسلام لينتشلها مما هي فيه، ولا بد من أن تؤمن الأمة المسلمة أنها

(٤٢٣) يُنظر: جمجوم: سميرة محمد، أثر العقيدة في الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٠هـ١٩٨١م، ص٥٠، وملكاوي: محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الرياض، ١٤٠٥هـ ١٨٨٥م، ط١، ص٣٨.

تملك كل المقومات والعوامل التي تجعلها تعيد بناء حضارتها ومجدها، وتستعيد دورها وموقعها الغائب المغيب كقادة للبشرية، وما عليها إلا أن تجعل من إسلامها إسلاما يقوم على الخير، والعدل، والإخاء، فيكون ثمرة ذلك كله حضارة روحها التوازن والتكامل(٤٢٤).

٢- التحصين الذاتي:

أصبح معلوماً لدينا أن العولمة الثقافية تستهدف إلغاء الهويات والثقافات الأخرى والقضاء عليها، وتبين لنا أن الأمر ليس بهذه السهولة التي يتصورها أصحاب ودعاة العولمة الثقافية، حيث إن الهويات والثقافات الوطنية والقومية والدينية عميقة الجذور في وعي الشعوب، وأن الشعوب تستنفر ذاتها وقدراتها في التمسك والتشبث بثقافاتها وهوياتها وخصوصياتها ضد كل ما يحاول النيل منها، حتى لو كانت ردة الفعل هذه عن طريق إغلاق النوافذ والأبواب والانكفاء على الذات والعزلة عن الآخرين نهائياً، كما هو الحال عند بعض الثقافات والحضارات(٤٢٥).

وفي ظل هذه الهجمة التي تتعرض لها الهُوية الإيمانية فمن أهم خطوات المجابهة الفعلية التي ينبغي على الشعب اليمني، أن يتخذها لمواجهة أي اختراق على مستوى الثقافة والهُوية، ولكي يكتسب المناعة الحضارية والتحصين الذاتي، هو العمل على زيادة الوعي، تحصيناً للذات اليمنية من الانحرافات الفكرية، وتقوية الجانب الروحي في الشخصية اليمنية المسلمة، وتوثيق الروابط بين الخالق والعبد، وخلق أجواء روحية في المجتمع اليمني المسلم، فبهذا وقف الجيل الأول من هذه الأمة بوجه كل اختراق فكري وواجهه، وبذلك يستطيع أبناء هذا الجيل أن يقفوا ويتصدوا لاختراق العولمة الثقافية.

٣- ممارسة ثقافة المقاطعة:

ليس صحيحاً أن يُلقى العبء في كل أمر على الحكومة والمؤسسات الرسمية، ذلك أن هناك أموراً كثيرة لا تستطيع تلك الحكومات أو المؤسسات الرسمية اتخاذها أو تنفيذها –لأي سبب من الأسباب– أمور لا تستطيع إلا الجماهير اتخاذها والعمل بها، إذا ما آمنت بها وأرادت فعلاً أن تنفذها، ومن أبرز وأهم تلك الأمور: (المقاطعة)، مقاطعة أي شيء في أي مجال من مجالات الحياة، بمقاطعته يُزال أو يخف تهديده لديننا، لأمتنا، لحضارتنا لقيمنا،

(٤٢٤) يُنظر: عصمة: الحسين، العالم الإسلامي وتحديات العولمة، مجلة الكلمة، الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة الخامسة، العدد (١٩) ربيع ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص٨٣.

(٤٢٥) يُنظر: عمارة: محمد، الإسلام وقضايا العصر، دار الوحدة، بيروت، ١٩٣١م، ص٨١-٨٢.

لهويتنا، لثقافتنا، ولخصوصياتنا، بدءاً من عالم الأفكار وحتى رغيف الخبز، إذ إن سياسة المقاطعة ناجحة وفاعلة، وإنها تُحقق المرجو منها، والمقاطعة الثقافية لا تقل أهمية وخطورة عن المقاطعة الاقتصادية، بل وتزيد، حيث يستطيع الشعب اليمني من خلالها أن يؤدي عملاً كبيراً ومهماً في مواجهة الهيمنة الثقافية الغربية الأمريكية التي تريد أن تفرض على العالم ثقافتها باسم العولمة الثقافية(٤٢٦).

إن ثقافة المقاطعة ركن أساس وحيوي في ثقافة المقاومة، وثقافة المقاومة يجب أن تسبق قرار المواجهة، قرار المواجهة هذا ليس مجرد خيار يطرح أمام الشعب اليمني، ولكنه ضرورة لازمة وعملية لمواجهة الهيمنة، ولا بديل عنها إلا تكريس التبعية أو إعادة إنتاج التخلف بكل أشكاله(٤٢٧).

رابعا– نشر الفضيلة في المجتمع وحمايته من الرذيلة والفساد:

يتمثل خطر العولمة الثقافية في أنها شكل آخر من أشكال الاستعمار الذي يتخطى الجانب المادي من الحياة إلى الحياة نفسها، أي إلى العقل البشري والنفس الإنسانية، فالعولمة الثقافية تستهوي الشهوات بقوة، كما تثير الرغبات الجسدية الجامحة وتثير العقل وتنحرف به عن الصواب، ويبدو الخطر الأخلاقي للعولمة الثقافية واضحا من خلال ما يبث عبر شبكات التلفزة والإنترنت من أفلام جنسية ومواد إعلامية تروج للفاحشة والرذيلة وما يحققه الانفتاح العالمي من فرص لترويج الأنشطة غير الأخلاقية وتسهيل ذلك، وكذلك التأثير على الروابط الأسرية(٤٢٨).

لذلك يجب على المجتمع اليمني نشر الفضيلة في المجتمع وحمايته من الرذيلة والفساد إذ يعد ذلك من أعظم مقاصد الهُوية الإيمانية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم(٤٢٩)، فأهل اليمن كانوا وما زال الكثير منهم يتصفون ويتمتعون بقيم وأخلاق وعادات الإسلام التي تجعلهم محافظين على هُويتهم ومتمسكين بمبادئ الإسلام، كذلك فمن قيم وأخلاق اليمنيين عدم قبولهم بالتبعية لأعداء الإسلام والمسلمين، وهناك نماذج مهمة وبارزة في واقع اليمنيين، إذ نجد أن المرأة اليمنية على مرِّ التاريخ، امرأة محتشمة، مؤمنة، نزيهة، متميزة بالأخلاق العالية، والقيم العظيمة، وصون النفس، ومن قيم وعادات اليمنيين إحياؤهم للجمعة الأولى من شهر رجب، إذ تُعد من أعز وأقدس الذكريات لأهل اليمن، وتعد أيضاً من

(٤٢٦) يُنظر: البجيرمي، ثقافة المقاطعة ضرورة عملية لمواجهة الهيمنة، www.Palestine .info.info.

(٤٢٧) يُنظر: الحوثي: حسين بدرالدين، الشعار سلاح وموقف، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م، ص١٠.

(٤٢٨) يُنظر: طالبي، العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، ص١٠.

(٤٢٩) يُنظر: أفضل، المسؤولية الأخلاقية وأثرها على الفرد والمجتمع، ص٢٧١.

الصفحات البيضاء الناصعة في تاريخهم، لأن بها ارتبط اليمنيون بالإسلام، ولذلك فهي مناسبةٌ مهمةٌ في الحفاظ على الهُوية الإيمانية وفي تحذير وترسيخ هذه الهُوية لكل الأجيال الحاضرة والمستقبلية، حيث التحق عدد كبير من أبناء اليمن بالإسلام في أول جمعة من رجب سنة ٩ للهجرة النبوية، ولهذا يحتفلون بهذا اليوم ويجعلونه بمثابة العيد(٤٣٠).

ويجب أن تكون هذه المناسبة (جمعة رجب) محطة تربوية وتوعوية وتثقيفية لتعزيز وترسيخ الهوية الإيمانية، والانتماء الإيماني (الحقيقي والصادق بمفهومه القرآني)، والمسؤولية التي يجب أن نعيها، وبما يجعلنا ننطلق انطلاقة مبنية على أساس هذا الانتماء، وهو ما يحتاج إليه الجميع –سواء على مستوى هذا الشعب اليمني أو على مستوى الأمة بلها– في مقابل ما تواجهه الأمة الإسلامية اليوم من تحديات، ومخاطر، وفتن، وكون الأمة تعيش وتواجه تحديات كبيرة لا يمكن تجاهلها، أو التنكر عن مسؤولياتها تجاه هذه التحديات والمخاطر التي ستسحقها ولن تتركها(٤٣١).

كذلك من قيم وهوية أبناء اليمن محبتهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإحياؤهم لمولده لتعزيز الولاء والمحبة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وترسيخ المفاهيم والمبادئ والقيم الإيمانية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولتأكيد التمسك بالهُوية الإيمانية، فإذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد وصف أهل اليمن بأنهم أهل الإيمان والحكمة، وكانت طلائع أهل اليمن من الأوس والخزرج هم من رحبوا بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأحسنوا استقباله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند قدومه إلى المدينة المنورة، كما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أثنى على أهل اليمن في أكثر من موضع ومناسبة، كل ذلك يدل على قوة ارتباط أهل اليمن بالإسلام ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن ثم فإن هذا الارتباط وهذه المنزلة الخاصة تعبر عن الهُوية الإيمانية لأهل اليمن فيما يعتقدونه، وفي علاقتهم بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونظرتهم إليه كقائد وقدوة وفي احتفالهم بمولده صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشكل مميز عن سائر الشعوب وتعظيمهم لمنزلته صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباعه والاقتداء به كما يريد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك مما تميز به أهل اليمن في هُويتهم الإيمانية، وكذلك من قيم وهوية أبناء اليمن مناصرتهم

(٤٣٠) تختلف مراسيم الاحتفال بهذا اليوم عند أهل اليمن، فأهل المناطق المجاورة للجند يزورون مسجد الجند، أما في صنعاء وما حولها فيلبسون الثياب الجديدة ويتزاورون كأنه عيد، يُنظر: اليمني: عمارة بن علي (ت: ٥٦٩هـ)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، ط٢، ص٧٢-٧٤.

(٤٣١) يُنظر: الحوثي، محاضرات الهوية الإيمانية،www.almasirahnews.com.

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته من بعده، ومحبتهم لأهل البيت عليهم السلام(٤٣٢).

إن مجتمعنا اليمني لديه تراث حضاري وثقافي وعلمي، لكن الأفكار الدخيلة والظروف التي مر بها بلدنا وحاول العدو أن يسيطر على أفكارنا، أدى إلى تخلى وابتعاد البعض عن هذه الموروث الثقافي والفكري، لذلك فالبعد الثقافي والحضاري لبلدنا يجب أن نحافظ عليه، إذ ما نلاحظه اليوم هو كثرة اهتمام الدول بحضارتها وتراثها، وقد سار على هذا النهج الكثير من الدول، واهتمت بالتراث الشعبي من حيث الأزياء وفن العمارة والمساكن والآداب، بالإضافة إلى الفنون الشعبية والصناعات اليدوية المحلية، وأخذت تطورها وتبعث فيها الحياة من جديد لتبرزها إلى الشعوب وتفخر بها وتصرف الأموال الطائلة عليها، وما زال الكثير من الشعوب يعتز بتراثه وأمجاده وهي وسائل دفع معنوي لتلك المجتمعات للنهوض والتقدم، وما من شعب بدل ثقافته وتراثه وطرحهما جانباً واستعاض عنها بأفكار وثقافة دخيلة، إلا برز الخلل فيه وانتشر الفساد ولم تعمر البلاد، والتقدم الحضاري لا يعني تدمير أفكار الشعوب أو إفسادها وترك كل ما هو خير وصالح، فالحضارة والتقدم لا تتنافى مع حفظ التراث، بل على العكس فإذا امتزج العلم والمعرفة بالتراث حدث تطور عظيم وطفرات حضارية واسعة، ولا يكون هناك تنافر بين الصور الحضارية الإنسانية وبين التراث العام للأمة ما كان صالحاً منه، بل يزيد من ثباته، ويقوي إرادة المجتمعات في التقدم والتطور في كافة نواحي الحياة ولا نعني هنا بالتراث: الفجور والرقص وحالات تبني القوانين الجاهلية، وصور التعامل القديم وغيرها، فهذا تراث غير صالح، وليس مطلوبا المحافظة عليها، بل يحرم فيها التبعية(٤٣٣).

ومما سبق ومن أجل الحفاظ على قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا التي تدلل على هويتنا الإيمانية يجب أن تُضمَن الهُوية في الدستور والقانون، وأن تشتق منها فلسفة الدولة العادلة ومناهجها التعليمية والإرشادية والتثقيفية وأهدافها.

الفرع الثاني: دور مؤسسات التعليم في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

تواجه الأمة الإسلامية اليوم أكثر من أي وقت مضى الكثير من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع

(٤٣٢) يُنظر: ابن خلدون: عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ٢٥٢.

(٤٣٣) يُنظر: الزبيدي: الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م، ص٢٨٦، والمحطوري: د. المرتضى بن زيد، عهد الإمام علي للأشتر (قانون حياة ودستور دولة)، مكتبة بدر للطباعة والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠١٢م، ص١٥٨.

بها بعيدا عن أداء دورها في العطاء القيمي والثقافي، وتحول دون تحقيق رسالتها الخالدة ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية والإسلامية والعربية، وتزداد هذه التحديات في ظل الهيمنة الأمريكية التي ما انفكت تحاول النيل من الإسلام حضارة ودولة، واشتدت الحملات وعلت الأصوات لتغيير المناهج الإسلامية، ومعلوم أن التعليم هو رسالة الأمة الإسلامية وحامي حضارتها وصانع أجيالها، فهو أداة الإسلام المنظمة لتحقيق رسالته وأهدافه وتحويلها إلى نماذج حية، وهو من أهم ثغور هذه الأمة التي يحافظ على هُويتها بما يصنعه وما يعده من أجيال، فإما أن يكون التعليم قلعة الأمة وحصنها الحصين والصخرة التي تتحطم عليها أحلام الغزاة، وإما أن يكون الثغر الذي يؤتى الإسلام من قبله، مما يحتم على اليمنيين أن يعملوا على تقوية جذوره وأسسه، لأن التدخلات الخارجية تحاول طمس الهُوية الإيمانية وتذويبها وتشويه الشخصية الإسلامية بوصمها بالإرهاب والتطرف تارة، وبوصفها بالجمود والتخلف تارة أخرى، أو التدخل السافر في صياغة أهداف ومناهج إعداد هذه الشخصية بحذف الكثير من النصوص من القرآن الكريم أو ما صح من السنة المطهرة أو السيرة النبوية، لإبعادها عن مسارها الصحيح، إلى جانب استهداف قيم الأمة(٤٣٤).

ولذلك فإن الحفاظ على الهُوية الإيمانية يأتي على أسس متنوعة كما يأتي:

١- إعداد المعلم:

إن تعليمنا يعاني كَمَّاً وكيفاً من مشكلات عديدة، ومخرجاته من حيث الكيف متدنية، وعملية الإصلاح التعليمي تبدأ من المعلم المتدبر القادر على كشف التناقض بين الخطاب السياسي وبين الواقع حتى يبدأ التغيير، لذلك فبلادنا تحتاج إلى إدخال عناصر التعليم التدبري في برامج إعداد المعلم، والمعلم المتدبر هو الذي يتدبر ما يقال له وما يقال عنه وما يقوم به من أعمال وما ينتج عنها من نتائج، أي أن يكون معلمًا متدبرًا في عالم شديد التغير(٤٣٥)، فأساتذة العلوم الإسلامية في الجامعات والمعاهد، والمفكرون والكتاب الإسلاميون ومدرسو العلوم الإسلامية في المدارس الثانوية والابتدائية، هذه الشريحة لها دور كبير ومؤثر في نشر ثقافة التمسك والاعتزاز بالهُوية الإيمانية فعلى الرغم من أن موضوع الهُوية وأهميتها وخطورتها ليس

(٤٣٤) يُنظر: عمار: حامد، الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٤.

(٤٣٥) يُنظر: نصار: سامي محمد، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣٥.

جديداً أو غريباً على الفكر والثقافة اليمنية، وعلى الرغم من كل هذه الأهمية والحساسية التي تثيرها قضية الهُوية، فإن موضوع الهُوية لم يتم تدريسه في كل مراحل التعليم، بل إنه لا توجد لحد الآن مادة منهجية في الجامعات والمعاهد الإسلامية تُدرس العولمة، وتشرحها وتوضحها للطلبة مع أن هذه الظاهرة هي الآن الشغل الشاغل للعالم بأسره(٤٣٦)، وإذا كانت الإنجازات العلمية الآن تتم من خلال انتقال كيفي وقفزات جذرية فإن المعلم مطالب أكثر من غيره بتحقيق تلك الكيفية في ظل التحولات المتسارعة في شتى المجالات(٤٣٧).

ولا تقتصر أهمية المعلم على دوره المباشر في تنمية الا بداع وإنما يتعداه إلى ما يتبنى المعلم من اتجاهات إيجابية نحو الابتكارية وهذا الأمر يتطلب إعادة النظر في تكوين المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناء الخدمة بأن يمتلك المعلم صفات المعلم المبدع، وهي: مرونة شخصيته، وإشعار الطالب بالأمان وعدم الخوف واستخدام التشجيع، وإدراك الفروق الفردية بين المتعلمين وإثراء الموقف التعليمي بالأنشطة الا بداعية، وإظهار قيمة أفكار الطلاب، والإلمام بسمات الطلاب المبدعين، أو تشجيع الطلاب للتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم الذاتية وامتلاك القدرة على التسامح والبهجة والحرية(٤٣٨).

ومن أجل الحفاظ على الهوية الإيمانية لا بد أن يتصف المعلم بعدد من الصفات والخصائص، منها:

أ- أن يستند في عمله وسلوكه وممارساته إلى قاعدة فكرية متينة، وعقيدة تنبعث من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والفهم الحقيقي للإسلام، وأن هذا الإسلام هو المستهدف في ظل العولمة الثقافية.

ب- أن يدرك أهمية وقدسية الرسالة التي يحملها، وأن الفئة التي يتعامل معها هي نواة التغيير والتقدم.

ج- أن يدرك أهمية تطوير نفسه وإمكاناته، وقدراته، وأنه لم يعد المصدر الأول للمعلومة، فثمة مصادر عديدة تعطي المعلومات، وعليه أن يهيئ نفسه للتعامل مع مشكلات جديدة في ظل العولمة الثقافية.

د- أن يتعامل مع المتعلم على أساس أنه حر يتمتع بحرية، وأنه إنسان فاعل قادر على العمل، والإنتاج، والا بداع، لا العمل على إحباطها.

---

(٤٣٦) الحديث هنا عن البلد التي يسكن فيها الباحث.

(٤٣٧) يُنظر: طلعت: عبدالحميد، العولمة ومستقبل تعليم الكبار في الوطن العربي، فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٩.

(٤٣٨) يُنظر: شحاتة: حسن، مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٠٧.

هـ- أن يربي لدى المتعلم حبه للمعرفة، والتعلم الذاتي، وأن يوظف معارفه في المجتمع الذي يعيش فيه.

و- أن يعد المتعلم ذهنياً وفكرياً بحيث يكون قادرا على فهم ما يدور حوله من تغيرات، وتبدلات عن طريق زيادة وعيهم بالمفاهيم والأيدولوجيات المختلفة، وزيادة وعيه بالآخر، فالوعي بالآخر يحصن الذات أكثر، والتفاعل الإيجابي بين طرفي العملية التعليمية يؤدي إلى النهوض بالمنظومة التربوية ككل ويزيد النتائج المأمولة، مما ينعكس على تأسيس مجتمع المعرفة، فالتفاعل والتفاهم هو قنطرة العبور إلى حياة أفضل، وخلق مجتمع متعلم واع يمكنه مواكبة الركب، وتحقيق الطموحات.

٢- تعديل المناهج الدراسية:

إن الأمر المقطوع به أن المقدمات الإسلامية صحيحة وأنها ترتبط بالقوة في شتى مجالاتها-لذا يجب أن نصارح أنفسنا بأن القصور فينا نحن-لأننا لا نقيم نشاطاتنا التربوية على الأسس الإسلامية القويمة التي أتى بها القرآن الكريم ولم نحسن الاستفادة مما ثبت نفعه من مساهمات الآخرين، وهو أمر أباحه الإسلام بضوابط معروفة، ولقد ثبت أنه من خلال أكثر من عشرين عاماً أن عقول الطلاب في كل المراحل تنمو بطريقة تختلف بعض الاختلاف عن التوجيهات الإسلامية في تربية العقل مما أدى بالمسلمين على اختلاف البلدان والظروف إلى وضع متدنٍ في العلم والحضارة، لذلك يجب أن يتجسد تعديل المناهج الدراسية من خلال المراحل الأولى للتعليم بالتأكيد على تدريس اللغة العربية، والتراث الإسلامي إلى جانب العلوم الحديثة، والتكنولوجيا، وأن يسود التوازن في التدريس دون أن يطغى جانب على آخر، فلا يسود تدريس العلوم الحديثة والتكنولوجيا على تدريس اللغة وعلوم الشريعة، كذلك يجب غرس الانتماء العربي والإسلامي في نفوس أبنائنا الطلاب وتنميته، وأن يبين لهم أن هناك فرقاً بين تعلم علوم أمة من الأمم، واعتناق حضارتها والانتماء إليها[٤٣٩]، لذلك فالتعليم هو المحور الأساسي للحفاظ على الثقافات الموروثة وتنميتها وفتح الآفاق للتقدم والرقي، ولذلك يجب علينا العمل على ربط منهجنا العلمي بالغايات التي نتطلع لتحقيقها[٤٤٠].

إن مناهجنا الدراسية حصن لهويتنا الإيمانية في عالم يموج بتيارات العولمة، ومحاولتها تنميط الحياة وقولبتها في صور ونماذج حياة القطب الواحد المهيمن، وهي التي تمد الأبناء بمقومات هويتنا الثقافية وخصوصيتنا

(٤٣٩) يُنظر: العشماوي، العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، ص١٠٩.

(٤٤٠) يُنظر: التوم: عبدالله عثمان، وآدم عبد الرؤوف، العولمة دراسة تحليلية نقدية، دار الوراق، لندن، ١٩٩٩م، ص١٣٥.

الحضارية، وكلما ازدادت الضغوط العولمية، يتنامى في مناهجنا الوعي ويحتدم بتلك المقومات(٤٤١).

ويمكن أن نوجز أهداف المناهج بما يحمي هويتنا الإيمانية على النحو الآتي:

أ- تنمية القيم والاتجاهات في مختلف المواد الدراسية، وهذه القيم تساعد في إعداد الفرد لمواجهة العولمة، وتعمل على تمكين الفرد من التعامل الايجابي، والواعي، والناقد مع القيم الوافدة والمطروحة، وأن تكون هذه القيم مستمدة من القرآن الكريم، وما صح من سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيرته، وأن تكون في مجالات الحياة كلها، فثمة قيم عقائدية، وفكرية واجتماعية وقائية، وصحية وفنية، وجمالية، وأن تعزز المناهج الهُوية الإيمانية والذاتية الثقافية، فأهم دور للمنهج هو إبراز الهُوية الإيمانية والذاتية الثقافية، التي تعني انتماء الأفراد إلى المجتمع الإسلامي بتقاليده، وعاداته وأساليب حياته.

ب- أن تحوي المناهج الدراسية المهارات، والمعلومات التي ينبغي أن يلم بها الإنسان حتى يستطيع مواجهة تحديات العولمة الثقافية، وأن تحوي آخر ما يطرأ من اكتشافات علمية، وإنسانية، وتعليم الطلاب أساليب الوصول إلى المعرفة المناسبة، والمطلوبة.

ج- أن تعمل المناهج على تمكين الفرد من التعامل الواعي والناقد مع القيم الوافدة التي جاءت بها العولمة الثقافية.

د- تزويد الدارسين بالحقائق والمعلومات والنظريات والقوانين التاريخية بصورة تحقق أهداف تاريخنا وهويتنا الإيمانية.

هـ- تدريب الدارسين على الأسلوب العلمي في دراسة تاريخنا وهويتنا الإيمانية وإجراء البحوث المتصلة بذلك، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تزويد الطالب بالمهارات والقدرات والخبرات والمنهج العلمي، فرقي المجتمع وتقدمه مرهون بنجاحنا في غرس صفات الخلق والابتكار والتحليل والمبادرة، والاعتماد على النفس، فالعقلية العملية تتغلب على المشاكل وتقهر الصعوبات، وتبني المجتمعات على أسس سليمة وتختصر الزمن فتقطع المسافات بأقل قدر من الجهد والوقت، وبذلك تنفك من أسر التخلف وتلحق بركاب الدول المتقدمة.

و- أن نضع في الاعتبار أن أفضل حصانة للإنسان المسلم ضد سلبيات العولمة هو التعاون من أجل تشكيل الإنسان القوي القادر على فهم محتويات العولمة والتعايش معها والأخذ بإيجابياتها وتجنب سلبياتها.

ز- مد الشباب بالزاد المعرفي، والقدرة على الوقوف أمام التفسيرات الخاطئة والمضللة التي تحاول التشكيك في قدرات أبناء الأمة الإسلامية وذاتهم وماضيهم الحضاري.

(٤٤١) يُنظر: شحاتة، مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، ص١٧٨.

ح- ترسيخ وعي الطلاب بقضايا الهُوية الإيمانية والوطن والعروبة، وعدم الانبهار بكل فكر يأتي من الغرب، وإلا سنجد أنفسنا قد استسلمنا لهذا الغزو الفكري الذي يهدف إلى تغريب ثقافتنا، ونسبة كل ابتكار وتحديد أحرزه المسلمون عبر حقب التاريخ إلى الآخرين، بهدف تناسي ثقافتنا الإسلامية الأصيلة ودورها الزاهر في إثراء الحضارات العالمية التي نهلت منها وقت أن كنا نعمل ونبتكر، لذا فمن الضروري تنمية البحث العلمي وتشجيع البحوث التطبيقية وإحداث طفرة في مجال التعليم حتى تلحق بركب التقدم العلمي.

٣- العناية باللغة العربية:

إن اللغة العربية ليست أداة للتخاطب فقط بل هي وعاء ثقافي وهُوية إسلامية، والحفاظ عليها هو حفاظ على هذه الهُوية وعلى هذه الثقافة، فهي فكر وذات وعنوان ولغة تفكير وتعبير، ويشكل امتلاكنا للمعارف والتكنولوجيا بهذه اللغة الطريق لتمثل هذه التكنولوجيا وإنتاجها، وتعريب المعرفة مهم جدا لأننا نملك ناحية المعرفة عندما ننقلها إلى لساننا، أما عندما ننتقل نحن إلى ألسنة الآخرين فسنكون عالة عليهم وسنبقى أتباعا ضائعي الهُوية، لذلك فحماية الأجيال من الأخطار ومنها شبكة الانترنت تقتضي إيجاد مجموعة من المواقع العلمية والثقافية والتاريخية والدينية على صفحات الشبكة باللغة العربية كبديل ناجح عن المواقع الأجنبية(٤٤٢).

إن اللغة وعاء الثقافة، وجوهرها، ويكون الاهتمام بها من خلال تطوير أساليب تعليمها، وتكثيف استخدامها، وأن تكون لغة العلم، والتعليم في مؤسسات التعليم جميعا وفي مراحل التعلم كافة، وجعل اللغة العربية لغة أساسية من لغات العالم،

وللحفاظ على اللغة العربية من طغيان العولمة الذي يستهدفها لا بد من عمل الآتي:

أ- إعادة النظر فيما يعرض من البرامج عبر وسائل الإعلام المرئي والمسموع ليكون المعروض مؤصلا للثقافة العربية وداعما للغة العربية الأم.

ب- إنتاج برمجيات الحاسب الآلي المتطورة والقادرة على التعامل مع النص العربي لسهولة تسويقه عبر الشبكات العالمية.

ج- استخدام وسائل العولمة وتقنيتها المتطورة لنشر الإنتاج الثقافي العربي عبر الصورة والصوت مع الاهتمام بجودته

(٤٤٢) يُنظر: مدكور: علي أحمد، الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

لينجذب إليه المتلقي العربي فيستهلكه بدلا عن الإنتاج الغربي.

د- تعريب المناهج العلمية والعملية التطبيقية في كل الفروع العلمية والثقافية.

هـ- تهيئة السبل لتعلم اللغة، وإتقانها لمن يطلب ذلك.

و- العمل على الحد من انتشار العامية داخل الوطن العربي والإسلامي.

ز- زيادة حجم المنشورات العربية وإدخالها على شبكة الإنترنت.

ح- أن تعمل مجامع اللغة العربية على جعل اللغة العربية لغة العلوم الحديثة.

الفرع الثالث: دور المسجد ووسائل الإعلام في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

أولا: دور المسجد في الحفاظ على الهُوية الإيمانية.

المسجد في المجتمع الإسلامي له أهمية كبرى ودور عظيم في تنمية المجتمع وترشيده، وفي تكوين الفرد المسلم، بل إن المسجد ميدان تعليم وتطبيق في لحظة واحدة، ميدان تعلم حيث يتعلم المسلم فيه كيف يحترم شعور الآخرين وكيف ينضبط في الصف مع المصلين، بالإضافة إلى أمور دينه وأخلاقياته إلى غير ذلك من جوانب حياته، وفي المسجد يتم تطبيق ما تعلمه المسلم، لأنه المكان اللائق الذي يجب أن يكون مكان إجلال الجميع، لذا فإن المسجد لم يكن مكاناً لأداء الصلاة فقط، ولكن كان يمثل الموجه في بناء المجتمع من كل جانب بما توحيه الرسالة المحمدية، ففتح أبوابه للصلاة، ولتوجيه المجتمع توجيهاً إسلامياً سواء من خلال المنبر أو حلقات العلم والدرس أو الأحداث التي تجري داخله، ولأهمية المسجد كان أول مؤسسة أنشأها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد الهجرة هو المسجد؛ لتكون رسالة إلى عموم المسلمين حول محورية وظيفته في حياتهم، فبرجوعنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت أولى خطواته في قباء هي بناء المسجد، وأول عمل قام به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة كان بناء المسجد، وهذا الأمر لم يكن على سبيل المصادفة، ولم يكن مجرد إشارة عابرة، وإنما هذا منهج أصيل لا قيام لأمة إسلامية بغير تفعيل وظيفة المسجد؛ لأن المساجد الآن كثيرة، لكنّ الكثير منها غير مفعّل، ولا يقوم بالوظائف المناطة به، ولقد قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببناء المسجد ليظهر للمسلمين أهمية المسجد في حياتهم، ومكانته في نفوسهم، ودوره في

الحفاظ على الهُوية الإيمانية(٤٤٣).

واليمن كان من أوائل المناطق التي بني فيها المسجد، إذ بني أول مسجد في صنعاء في بستان باذان وحدد له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المكان الذي يُبنى فيه المسجد، وجِهَة القبلة وجعلها نحو جبل ضين(٤٤٤)، وتم بناء المسجد على غرار مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي صار مثالا للمساجد الإسلامية الأولى(٤٤٥)، إذ إن كل منطقة يدخلها الإسلام كان أول ما يُنْشَأُ فيها هو إيجاد مكان التجمع وهو المسجد، لذلك فبعد أن أعلن أهل حمير إسلامهم أرسل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن في العام التاسع الهجري، ودخل داعيا ومعلما ولما وصل صنعاء تحرك جنوبا محققا الهدف الذي أمره به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو مدينة (الجند)، حتى وصل معاذ إلى (الجند)، وفي أول جمعة من رجب من العام العاشر الهجري التقى معاذ بالناس فأقام فيهم صلاة الجمعة(٤٤٦)، لذلك سنعرض أدوار المسجد التربوية على النحو الآتي:

١- التربية الإيمانية:

أهم وظيفة للمسجد هي الحفاظ على إيمان المسلمين، وهذا هو الأساس والرئيس الذي كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يغرسه في نفوس أصحابه في مكّة، وفي نفوس الأنصار في بيعتي العقبة، إنه الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا دليل على ما للمساجد من أثر بالغ في

(٤٤٣) يُنظر: السباعي: مصطفى (ت: ١٣٨٤هـ)، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٨٨٥م، ط٣، ص٧٤، والشويمان: عبدالله بن إبراهيم، الهجرة في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٧هـ، ص١٥٤.

(٤٤٤) ضين: جبل هرمي بركاني في الشمال الغربي من مدينة صنعاء، بمسافة ثمانية عشر كيلو، على مقربة من الطريق إلى مدينة عمران في شرقي ضروان، يُنظر: المقحفي: إبراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، ج٢، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ٩٥٢.

(٤٤٥) يُنظر: الشجاع: د. عبدالرحمن، اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ ١٩٧٨م، ط١، ص١٥٢-١٥٣.

(٤٤٦) يُنظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (ب. ت)، ط٢، ٣/٢٣٠، والجندي: بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت: ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، (د. ت. ط)، ص٢٥-٢٧.

الإسلام، حيث يُعد وجودها وعمارتها بالأذان والصلاة صورة حية للمجتمع الإسلامي، كما يعني فقدها أو فقد عمارتها بعبادة الله تعالى ابتعاد المجتمع عن الإسلام، وتلاشي مظاهره من واقع المجتمع(٤٤٧)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(٤٤٨).

إن مهمة المساجد هي كما بين الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾(٤٤٩)، ومن الآية نرى أن الله تعالى أذِن أن ترفع بيوته بتعظيمها، ورفع شأنها بالتقديس والتطهير وإقامة الشعائر الدينية فيها بعد رفع قواعدها وبنيانها، كل هذا لما فيه من اتصال العبد المؤمن بخالقه جل وعلا، ولما فيه من القوة الروحية التي يفتقر إليها الإنسان، واستمرار الصلاة في المسجد إمداد للجماعة الإسلامية بالقوة التي لا بد منها لإصلاح المجتمع، فإبراز ملامح التفاف المسلمين حول المقاصد الإسلامية، ووحدة العقيدة والكلمة، هو هذا التوارد على الصلوات المكتوبة جماعة في المسجد؛ حيث ترسخ العقيدة الإسلامية في القلوب، وتتعمق روح التعاون، وتتقوى عرى التكافل في حياة المسلمين، وتنبثق الأخلاق الكريمة وتنتشر، بل وتتزايد في ظل الإخاء، والتسامح، والتساوي الذي يظهر أنه لا عنصرية ولا طبقية في الإسلام، بل الجميع سواسية عند الله لا فرق بينهم إلا بالتقوى(٤٥٠).

٢- التربية الاجتماعية:

ينفرد المجتمع الإسلامي بنظامه الخاص، والعلة الرئيسة هي: أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة، جاءت من لدن الله سبحانه وتعالى، فهذه الشريعة هي التي أوجدت المجتمع، وأقامته على أسس الهُوية الإيمانية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده، لا التي أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض، وفي ظل هذه الشريعة تم نمو الجماعة الإسلامية ووجدت ارتباطات العمل والإنتاج والحكم، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية ومبادئ

(٤٤٧) يُنظر: مؤنس: حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠١هـ، ص٢٠.

(٤٤٨) سورة التوبة، الآية ١٨.

(٤٤٩) سورة النور، الآية ٣٦.

(٤٥٠) يُنظر: قطب: محمد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص١٩٠-١٩١.

السلوك وقوانين التعامل ووسائل مقومات المجتمع الخاصة التي تحدد نوعه، وترسم له طريق النمو والتطور(٤٥١).

وحري بالمسجد أن يقوم بدوره في بناء هذا المجتمع، لأنه مركز التوجيه والإشعاع، ومقر التخطيط لبناء المجتمع، ومنبر الهداية والإرشاد لجميع من دخله من المسلمين دون تفريق بينهم، لأن أول ما دعا إليه الإسلام عدم التفرقة بين المسلمين فقيرهم وغنيهم، عربيهم وعجميهم، ولم يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى،

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(٤٥٢).وما من مكان يتجلى فيه هذا القانون الاجتماعي بصورة جلية مثل المسجد، إذ يقف الجميع في صف واحد في الصلاة، وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق التي تميز بعضهم عن بعض، ووحدة المجتمع الإسلامي وتكاثفه وقوته مستمدة من عدم التفريق بين الأجناس والطبقات والأعمار، لذا أصبح هذا المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وليس هذا في الصلاة فحسب بل حتى في المعاملات الشرعية والشخصية، والاجتماعية في الحياة، فالمسجد هو المكان الطبيعي الذي يجمع المسلمين لغرض واحد، وبنية خالصة خلف إمام واحد، لا يختلفون عليه، هذا الاجتماع الذي يوحي بالتآلف والوحدة هو السبيل إلى السيطرة على طبائع النفوس ونزعاتها، فبداخل المسجد يتربى المسلم على تطهير نفسه، وتصحيح عقيدته في القرب من ربه، سراً وعلانية، وفي داخل المسجد يتربى المسلم على الاتصال بإخوانه المسلمين والسؤال عنهم، وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبينهم، مما يجعله يهتم بجميع شؤونهم، وفي اجتماع المسلمين في المسجد يشعر الجميع بالقوة والانتماء للجماعة مما يجعل الفرد منهم يشعر بالطمأنينة، ويحس بالراحة النفسية والكرامة والأمان، ويتجسد خارج المسجد هذا الشعور الاجتماعي في تعامل المسلمين وتفاعلهم في شكل أمة واحدة، بفعل ما اكتسبوه من القيم والفضائل في المسجد، والأمة الإسلامية هي الجديرة بأن تسمى أمة لما يربط بين أفرادها بعضهم البعض، ومجتمعاتها بعضها البعض من الروابط والقوى التي منشأها الدين الإسلامي(٤٥٣)، وليس أدل على

(٤٥١) يُنظر: قطب: سيد، نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص٦٣.

(٤٥٢) سورة الحجرات، الآية١٣.

(٤٥٣) يُنظر: سيد: قطب، نحو مجتمع إسلامي، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٩م، ط٣، ص٨٥.

هذا القول من قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾(٤٥٤)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾(٤٥٥).

٣- التربية التعليمة والتثقيفية:

يعد المسجد من أعظم الأماكن لدراسة القرآن وتعلمه(٤٥٦)، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد النبوي بالمدينة لتعليم المسلمين أمور دينهم، وتبصيرهم عاقبة أمرهم، وكان من الطبيعي بالنسبة لتطور مفهوم العلم في الإسلام أن تنشأ البذرة الأولى دينية محضة، فالناس بحاجة إلى تفهم الدين الجديد، ومعرفة قواعده وأصوله، وفهم أهدافه ومراميه، ومن تم فالمكان المناسب لذلك هو المسجد(٤٥٧).

إن المسجد كان أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار، ولتربية الرجال والنساء(٤٥٨)، ومن هنا نرى أن المسجد لم يكن للصلاة فقط، بل كان إلى جانب أداء الصلاة مكاناً للتعليم، ومدارسة القرآن الكريم، وتفهم معانيه على يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم(٤٥٩)، ولقد كان من الطبيعي أن يكون المسجد هو مقر تعليم قراءة القرآن وذلك لمكانة المسجد السامية التي أوجدها الإسلام(٤٦٠).

لذلك فمن خلال المسجد نستطيع أن نساهم في حفظ الهُوية الإيمانية وتعزيز الانتماء إليها وتوظيفها في مواجهة العولمة الثقافية التي تفرض نفسها على هذا العصر، وهنا يبرز دور خطباء وأئمة المساجد الذين يقع عليهم العبء الأكبر في هذا الأمر، وذلك بأن يهتم الخطباء بتوعية الناس بموضوع الهُوية الإيمانية ومقوماتها وسماتها وأهميتها لاسيما في الوقت الراهن، وأيضاً تعريفهم وتوعيتهم بأهداف العولمة الثقافية ومخاطرها والنتائج السيئة التي ستترتب على اختراقها لهويتنا ولثقافتنا، وتمييع انتمائنا لهويتنا الإيمانية، إذ إن الخطباء في المساجد

(٤٥٤) سورة آل عمران، الآية١١٠.

(٤٥٥) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٤٥٦) يُنظر: حسن، تاريخ الإسلام، ص٤٢١.

(٤٥٧) يُنظر: علي: سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٣.

(٤٥٨) يُنظر: النحلاوي: عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ، ص١٣٠.

(٤٥٩) يُنظر: مؤنس، المساجد، ص٢٠.

(٤٦٠) يُنظر: محمود: علي عبد الحليم، فقه الدعوة إلى الله، ١٤١٣هـ، ص٤٥.

يستطيعون من خلال خطبة الجمعة، توعية الناس بموضوع العولمة ومظاهرها وأهدافها ومخاطرها على ثقافتنا وهويتنا وخصوصياتنا وأن يبينوا لهم سبل التعامل معها، وكيفية مواجهتها والتصدي لمساوئها، وأيضاً إثارة قضية الهُوية الإيمانية، وبيان أهميتها ودورها في التصدي للعولمة وأهدافها، فخطبة الجمعة هي من أقوى وأمضى الأسلحة التي يملكها المسلمون وينافسون ويواجهون به آليات العولمة وتقنيتها المتطورة،

وهو سلاح لا يحتاج إلى مال أو تقنية، إنه يحتاج فقط إلى الخطيب الكفؤ والموهبة على مخاطبة الناس(٤٦١).

ثانيا: دور وسائل الإعلام في تعزيز الهُوية الإيمانية:

تعد المؤسسة الإعلامية اليوم في عصر العولمة واحدة من أهم وأخطر المؤسسات التي تملك القدرة والإمكانية والفاعلية لتهيئة النفوس والعقول لاستقبال وتقبل الأفكار والرؤى والمضامين التي يحملها الخطاب الإعلامي، إذ برز دورها في الفترة الأخيرة وبشكل لم يسبق له مثيل، وذلك بما تملكه هذه المؤسسة من وسائل متطورة، وتقنية عالية، وأسلوب جذاب، وقدرة على تغيير القناعات والمشاعر والأحاسيس، بطريقة قد يشعر بها المخاطَب، ويتنبه إليها أحياناً، وفي أغلب الأحيان لا يشعر بها ولا ينتبه إليها، فالإعلام الآن هو الذي يحضر الأمم، وينشئ عندها القابليات للعمالة الثقافية والحضارية، ويفقدها ذاتها دون أن تدري أنها لا تملك من أمرها شيئا ومعركة الإعلام هي معركة مستمرة والفاصلة اليوم هي معركة الإعلام، بعد أن سكتت أصوات المدافع، وتوارى أصحابها، وأصبحوا لا يُدعون إلى الظهور إلا في الأوقات الاستثنائية التي يغيب فيها الرُشد، وتهزم الفكرة، وتنتصر الشهوة، ويرتكس الإنسان إلى حياة الغابة وحتى في هذه الأوقات الاستثنائية يبقى الإعلام من أخطر أسلحتها أيضاً(٤٦٢).

فالإعلام يحمل غسيلا للأدمغة ويسعون من خلاله لمحو هويتنا الإيمانية وكل يوم يفتتحون محطات جديدة للسيطرة الإعلامية الكاملة فهم يوجهون المعلومات ويشوهون التحليلات وينشرون الفجور ويسعون لطمس ديننا وهويتنا، واليهود يركزون تركيزا خاصا على الإعلام والسينما ووسائل التثقيف، فهذا الإعلام العالمي الذي تمثله العولمة تحكمه أمريكا وإسرائيل في النهاية، وهو لا يجلب خيرا لنا وإنما دمارا لشعوبنا، لذلك فعلى إعلامنا أن يأخذ دوره الحقيقي في بناء الأجيال وغرس القيم الأصيلة، من أجل أن ينشئ جيلا له شخصيته

(٤٦١) يُنظر: دكير، تجديد الخطاب الديني، من على موقع المجلة على الشبكة: www.kalema.net.

(٤٦٢) يُنظر: حسنة، مراجعات في الفكر، ص٣٦.

معتزا بتاريخه وأصالته، وذلك من خلال الآتي:

١- استغلال التطور الإعلامي:

المطلوب اليوم من المؤسسة الإعلامية في بلدنا، أن تستغل التطورات والتقنيات الهائلة التي طرأت على هذا العلم ووسائله، تستغلها في حفظ الهُوية الإيمانية وقيمها وثوابتها، وذلك بنشرها وغرسها في نفوس وعقول أبنائها، وتوعية المواطن اليمني بأهمية وخطورة ومعنى أن يكون له هويته الخاصة المتميزة، وثقافته المستقلة المتفردة، وأهمية ومعنى تمسكه بها والاعتزاز والافتخار بانتمائه إليها، وأيضاً تعريف المسلمين جميعهم بالثوابت التي تربطهم ببعضهم، وتجمع بينهم، وتجعلهم في نظر أنفسهم وفي نظر الآخرين إليهم، أمة واحدة، وشعباً واحداً، بما يجمعهم في دين وثقافة وتاريخ وتراث وقيم وأخلاق وأخوة ومصالح مشتركة ومصير واحد فضلاً عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم لغة كل مسلم وإن لم يكن عربي النسب(٤٦٣).

٢- تطوير البرامج الإعلامية:

إن الإعلام الممتع والنافع والمشوق يُعد وسيلة من وسائل مواجهة الإعلام الهابط الذي يعمل على نقل ثقافة الغرب استجابة لسلطان العولمة، لذلك يجب أن ينطلق الإعلام من القيم الأصيلة لخير أمة أخرجت للناس، مما يتطلب إعداد الإعلاميين إيمانيا ومهنيا وثقافيا، ولا يقصد إيجاد قنوات بث ديني منفرد لنقل المعرفة الدينية، بل أن تتحول كل قنوات البث إلى قنوات تكون روح الدين هي الروح السارية فيها وفي كل برامجها، مما يجعل من الوعي الديني المنبثق عن هذه الروح الرادع والضابط لكل حركة أو مشهد أو كلمة تقدم للناس، ولا يستطيع أحد أن يغفل دور وسائل الإعلام بأنواعها، وقيامها جنبًا إلى جَنْب مع التربية بمؤسساتها بالدور الفعال في تدعيم الهُوية الإيمانية؛ ولكن وسائل الإعلام تحتاج إلى تخطيط شامل وإعادة نَظَر، وتغيير لما هي عليه من وضع مُتردٍّ(٤٦٤).

إن دور الإعلام ينبغي أن يقوم على أسس واضحة تنبع من الفطرة الإنسانية، وتلبي حاجاتها، وتجعل الاتصالَ بين الناس اتّصالَ خيرٍ وإصلاح، وتجعل التعارف بينهم تعارفاً على ما ينفعهم في شتى سُبل حياتهم

(٤٦٣) يُنظر: شفيق: منير، النظام العالمي الجديد، الناشر للطباعة النشر والإعلام، ط١، ١٩٩٢م، ص١٦.

(٤٦٤) يُنظر: علوان: عبدالله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٤٢.

من خلال الدعوة إلى الخير، وإلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هذه الأسس هي التي يجب أن تشكّل طبيعة الكلمة الإعلامية في المجتمع اليمني، وتحدد منبتها ونهجها وغايتها(٤٦٥)، فبهذه الأسس سيكون الإعلام اليمني متميزاً عن غيره من حيث إنه منبر للدعوة إلى الله على بصيرة، ينشر الحقّ والعدل والفضيلة، وينشر ذلك كله بأسلوبٍ راقٍ رفيع مهذب، يرعى للكلمة قيمتها، ويرعى للمتلقي –مشاهِداً أو مستمعاً– احترامه وتقديره، يتخذ من قول الله جلّ وعلا: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾(٤٦٦) منهجاً يضبط به كلامه الذي يبثّه إلى الناس في أيّ مادّة إعلامية مشاهَدة أو مسموعة أو مقروءة، فالسعي إلى توجيه وترشيد وسائل الإعلام، إلى المحافظة على الهُوية الإيمانية لا يحتاج إلى مجرد أجهزة إعلامية، بل إلى مضامين إعلامية راقية تقف عند حدود الدين، وتحترم الفضيلة(٤٦٧).

(٤٦٥) يُنظر: عبدالواحد، الإعلام في المجتمع المسلم، ص٦١.

(٤٦٦) سورة ق، الآية: ١٨.

(٤٦٧) يُنظر: المرجع السابق، ص٧٠.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولا– النتائج:

١– التمسك بالهُوية الإيمانية والاعتزاز بها من فرائض الإسلام وعندما تفقد الأمّة هُويتها الإيمانية وثقافتها الأصلية وتصبح عالة على غيرها فهي بذلك تفقد مكانها ومكانتها، ويكون الذلّ والصغار والهوان أبرز سماتها.

٢– تنمية الجانب الإيماني والاهتمام به من قبل الأسرة والمجتمع، والمؤسسات التعليمية على وجه الخصوص، لأنه الضمانة الأقوى لبقاء هذه الهُوية واستمرارها.

٣– التمسك بالثقافة القرآنية، والعمل على إحياء المشروع القرآني الذي يستنهض الأمة ويعيدها إلى هويتها الحقيقية، ويحميها من أي اختراق.

٤– تعزيز الثقة بأنفسنا والاعتزاز بهويتنا الإيمانية وثقافتنا القرآنية، حتى لا نعيش حالة التسول الحضاري، أو الذوبان في هويات الآخرين الذي يعكس حالة التخبط والضياع والتبعية للآخرين.

ثانيا– التوصيات:

١– تأصيل وترسيخ الهُوية الإيمانية في المناهج الدراسية، في مختلف المراحل والمستويات الدراسية.

٢– تفعيل الجانب الإعلامي في تعزيز الهُوية الإيمانية وإبراز الدور الحضاري للإسلام والمسلمين.

٣– أن تُضمَن الهُوية في الدستور والقانون، وأن تشتق منها فلسفة الدولة العادلة ومناهجها التعليمية والإرشادية والتثقيفية وأهدافها.

٤– المحافظة على الموروث الثقافي الإسلامي، وصيانة الآثار الإسلامية والمحافظة عليها.

المصادر والمراجع:

١. القران الكريم.

٢. ابن خلدون: عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٤. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥. أبو دف: محمود خليل، مقدمة في التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦. أبو دف: محمود، والآغا، التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته، مجلة الجامعة الإسلامية، مج٩، العدد٢، ٢٠٠١م.

٧. الأشقر: د. عمر سليمان، معالم الشخصية الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط٦، ١٤١٥م.

٨. أفضل: سجاد أحمد بن محمد أفضل، المسؤولية الأخلاقية وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء السنة النبوية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة علامة إقبال المفتوحة، باكستان، ٢٠٠٩م.

٩. البجيرمي، ثقافة المقاطعة ضرورة عملية لمواجهة الهيمنة، www.Palestine.info.info.

١٠. البخاري: محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، الأدب المفرد، ترجمة: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ٩٨٧م.

١١. بدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

١٢. بكار: د. عبدالكريم، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها، دار العلم، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.

١٣. البيضاوي: ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: عبدالقادر عرفان، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٤. التوم: عبدالله عثمان، وآدم عبد الرؤوف، العولمة دراسة تحليلية نقدية، دار الوراق، لندن، ١٩٩٩م.

١٥. الجابري: محمد عابد، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦. الجرجاني: علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١. جمجوم: سميرة محمد، أثر العقيدة في الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٠هـ ١٩٨١م.

٢. الجندي: أنور، حتى لا تضيع الهُوية الإسلامية والانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، د.ط.ت، ص٧.

٣. الجندي: بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت: ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، (د. ت. ط).

٤. حجازي: مصطفى وآخرون، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥. حسن: إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦. حسنة: عمر عبيد، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٩٩٤م.

٧. الحفيان: د. فيصل، اللغة والهُوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، بحث في مجلة التسامح، العدد٥، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، مسقط.

٨. حلمي: مصطفى، الإسلام والأديان دراسة مقارنة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠٨.

٩. الحوثي: بدرالدين بن أمير الدين (ت:١٤٣١هـ)، التيسير في التفسير، مؤسسة المصطفى، اليمن، صعدة، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٠. الحوثي: حسين بدرالدين، الشعار سلاح وموقف، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١١. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن الكريم، معرفة الله، الدرس الثالث عشر، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١٢. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن الكريم، يوم القدس العالمي، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١٣. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، الهُوية الإيمانية، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١٤. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، دروس رمضان الدرس الرابع عشر، صعدة، اليمن، ٢٠٠٣م.

١٥. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، دروس رمضان، الدرس السابع، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١٦. الحوثي: حسين بدرالدين، دروس من هدي القرآن، لتحذن حذو بني إسرائيل، صعدة، اليمن، ٢٠٠٢م.

١٧. الحوثي: عبدالملك بدرالدين، محاضرات الهوية الإيمانية، رجب، لسنوات، ١٤٣٩هـ١٤٤١هـ١٤٤٢هـ، www.almasirahnews.com.

١٨. خشيم: علي فهيم، المستقبل يتعلق بالماضي، مجلة الوحدة (المغرب)، السنة١٠، العدد١٠٥، ١٩٩٤م.

١٩. الخطيب: عبد الكريم (ت: ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن ج٢٨، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت. ط).

٢٠. خياط: محمد جميل، التحدي الإعلامي في مجال التربية، دراسات تربوية واجتماعية، مج٢، العدد١.

٢١. دران: شبل، التربية والنظام السياسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

٢٢. دكير، تجديد الخطاب الديني، من على موقع المجلة على الشبكة: www.kalema.net.

٢٣. رابح: تركي، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٤.الزبيدي: عبد الرضا، الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام دراسة في ضوء نهج البلاغة، مكتبة فدك، سرور، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

٢٥. السباعي: مصطفى (ت: ١٣٨٤هـ)، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٨٨٥م.

٢٦.السيد: عزمي حسن وآخرون، الثقافة الإسلامية مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، دار المناهج، عمان، الأردن، ط٥، ٢٠٠٤م.

٢٧.الشجاع: د. عبدالرحمن، اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٧٨م.

٢٨. شحاتة: حسن، مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٩. شفيق: منير، النظام العالمي الجديد، الناشر للطباعة النشر والإعلام، ط١، ١٩٩٢م.

٣٠. الشويمان: عبدالله بن إبراهيم، الهجرة في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٧هـ.

٣١. الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢. طالبي: د. عمار، العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، مجلة الرائد، الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد٢٣٦، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م.

٣٣. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، (ب. ت).

٣٤. طلعت: عبدالحميد، العولمة ومستقبل تعليم الكبار في الوطن العربي، فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٥. عاقل: فاخر، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٣٦. عبدالواحد: حامد، الإعلام في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي، مكة، سلسلة كتاب دعوة الحق، العدد٣٣، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٣٧. العشماوي: فوزية، الحوار بين الحضارات وقضايا العصر العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، الاجتهاد، العدد١٠٥، ٢٠٠٥م.

٣٨. عصمة: الحسين، العالم الإسلامي وتحديات العولمة، مجلة الكلمة، الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة الخامسة، العدد (١٩) ربيع ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٣٩. علوان: عبدالله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤٠. علي: سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

٤١. عمار: حامد، الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٢. عمارة: د. محمد، الإسلام وقضايا العصر، دار الوحدة، بيروت، ١٩٣١م.

٤٣. عمارة: د. محمد، الأمة العربية وقضية الوحدة، دار الوحدة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٤٤. عمارة: د. محمد، مخاطر العولمة على الهُوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م.

٤٥. عنان: محمد عبدالله، تاريخ الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٠م.

٤٦. العيادي: أحمد صبحي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، الأردن، ط٢، ٢٠٠٤م.

٤٧. الغزالي: محمد، حقيقة القومية العربية، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٨. الفقيه يوسف: يوسف بن أحمد (ت: ٨٣٢هـ)، الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١.٤٩ لقرطبي: محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٥٠. قطب: سيد (ت: ١٣٨٥هـ)، المستقبل لهذا الدين، مكتبة السالمية، الكويت، (د. ت. ط).

٥١. قطب: سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ط١٥، ١٤٠٨هـ.

٥٢. قطب: سيد، نحو مجتمع إسلامي، بيروت، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩م.

٥٣. قطب: محمد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥٤. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

٥٥. مجموعة من العلماء: الموسوعة الفقهية، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (ب. ت. ط).

٥٦. محجوب: عباس، مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي، كتاب الأمة، قطر، ١٩٨٧م.

٥٧. محسن: عبدالحميد، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٨. المحطوري: د. المرتضى بن زيد، عهد الإمام علي للأشتر (قانون حياة ودستور دولة)، مكتبة بدر للطباعة والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠١٢م.

٥٩. محمود: علي عبد الحليم، فقه الدعوة إلى الله، ١٤١٣هـ.

٦٠. مدكور: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط٣، ١٩٧٢م.

٦١. مدكور: علي أحمد، الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٢. المقحفي: إبراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٦٣. ملكاوي: محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ١٨٨٥م.

٦٤. مؤنس: حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠١هـ.

٦٥. النبهان: د. محمد، أزمة البحث عن هُوية في مواجهة الحضارة الغربية، المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، مؤسسة آل البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الدورة العاشرة لمؤتمر المجتمع، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٦٦. النحلاوي: عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ.

٦٧. نصار: سامي محمد، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦٨. النعيم: مشاري، تحولات الهُوية العمرانية، مجلة المستقبل العربي، ٢٠٠١م، العدد٢٦٣.

٦٩. هنتجتون: صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، ١٩٩٩م.

٧٠. هندي: صالح دياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ط٥، ١٩٨٤م.

٧١. اليمني: عمارة بن علي (ت: ٥٦٩هـ)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد علي الأكوع، مطبعة السعادة – القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

٧٢. يوسف: خليل يوسف، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، رسالة دكتوراه غير منشورة، تربية عين شمس، ١٩٦٢م.

دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالأطفال في المجتمع اليمني

أ.خالد زيد الشامي[٤٦٨]

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المؤسسات الاجتماعية التي تشارك الأسرة في عملية التنشئة ولمعرفة اشكال المؤسسات الاجتماعية التي يعيش الطفل في كنفها والتي تصنع أجيال للمستقبل عن طريق إعدادهم داخل ما يسمى بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، نجد أن الأسرة هي المؤسسة الأهم التي بواسطتها تجري عملية التنشئة، وتجعل الطفل والرعاية والعناية إلى جانب المؤسسات الأخرى التي سنذكرها خلال البحث وهذه المؤسسات تؤثر على حياة الطفل تأثيراً مباشراً وقوياً، لأنها تستمر معه في مرحلة الطفولة و ما بعدها وهذه المؤسسات تلعب دورا فعالا طيلة حياة الفرد، ولأن موضوع التنشئة الاجتماعية هي أحد النقاط التي يلتقي فيها علماء الاجتماع مع علماء النفس ويمثلان حقلاً خصباً للدراسة ومحور اهتمام الباحثين و بواسطة هذا البحث سنرصد التأثيرات لهذه المدارس المختلفة على شخصية الطفل وما يلمسه ويتقبله عن طريق معيشته في كنفها وما تتركه من أثر على حياته ومستقبله، وقد اخترنا بعض مدارس التنشئة الاجتماعية التي تُعد المدارس في علم الاجتماع و تحديداً الأسرة والمدرسة والمسجد و رياض الأطفال والاقران ووسائل الاعلام، وخلص البحث إلى بعض النتائج منها أن الأسرة اهم مدرسة للتنشئة الاجتماعية وأن الطفل يبدأ في من مرحلة الرضاعة إلى مختلف مراحل حياته من داخل الأسرة، وأن أهداف التنشئة تتحقق بواسطة المدرسة خارج محيط الأسرة والمسجد الذي يؤكد دوره ومحوريته عن طريق جيل مؤمن قادر أن يتسلح بالإيمان منذ نعومة اظافره ويتكون البحث من ثلاثة محاور المحور الأول: منهجية البحث، الثاني: التنشئة الاجتماعية، الثالث: اهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالطفال في المجتمع اليمني.

٤٦٨ – طالب دكتوراة ،قسم علم الاجتماع –كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة صنعاء

المحور الأول: منهجية البحث وأهدافه/

١- مشكلة البحث.

٢- اهداف البحث.

٣- منهجية أدوات البحث.

٤- مفاهيم الدراسة.

المحور الثاني :

- التنشئة الاجتماعية، ماهيتها وأهدافها.

المحور الثالث:

اهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتأثيرها.

- الخلاصة والنتائج.
- المراجع.

الكلمات المفتاحية: مؤسسات التنشئة، الأطفال، المجتمع، الشامي.

Abstract:

This research aimed at studying the social institutions that contribute in the family's upbringing process and to know the forms of social institutions, where the child lives, which prepare generations for the future in the so-called the institutions of social upbringing. The family is the most important institution in which the process of upbringing and care take place along with the other institutions that will be mentioned during this research. These institutions have direct and strong impact on the child's life because they continue with the child during his/her childhood and after childhood. These institutions play an effective role on the whole individual's life. The social upbringing is a topic that both sociologists and psychologists have exchanged opinions and ideas about, so it represents a fertile field for study and the focus of researchers' attention. In this research, we will monitor the impact of these different schools on the child's personality, what s/he recognizes and accepts during those schools and what impact they have on his/her life and future. Some of the social upbringing schools, which are the most important schools in sociology, have been selected, specifically the family, school, mosque, kindergarten, companions and the media. The research concluded that the family is the most important school for the social upbringing, the child begins within his/her family from infancy to the various stages in his/her life and the goals of upbringing can be achieved in the school outside the family as well as the mosque which confirms its role and centrality through a generation of believers capable of arming themselves with faith (Iman) from an early age.

المقدمة:

للأطفال الحق في النمو في بيئة تحميهم وتمنحهم الأمان ولهم حق النمو اجتماعياً ونفسياً وجسدياً في ظل اهتمامات مجتمعية لا تخلو من الرعاية والحماية ولكي يتحقق مثل واقع كهذا نجد أن الأنسب أن نتلمس الواقع الذي يعيشه الطفل والمؤسسات الاجتماعية التي تجسد هذا الواقع، ونحن بحاجة إلى الوقوف على اهم هذه المؤسسات والاطلاع على العديد من الأساليب ومعرفة أشكال المؤسسات الاجتماعية التي يعيش الطفل في كنفها التي تصنع أجيالاً للمستقبل عن طريق إعدادهم داخل ما يسمى بمؤسسات التنشئة الاجتماعية [٤٦٩].

وعبر الآلية التي تستخدم في سلوك الفرد في مدى أكثر تحديدا وهو المدى المعتاد والمقبول طبقا لمعايير الجماعة التي ينشأ فيها وهي عملية لا تنتهي بانتهاء الطفولة بل تستمر مادامت الحياة، وإذا كان لبعض الفئات الاجتماعية صوت ومطالب فإن الأطفال لا صوت، لهم وقد لا يكون لآبائهم أيضاً لأنهم لا يكونون مجموعات ضاغطة على الأقل ولو كان للطفل حق التصويت وكان لديه القدرة على استخدام هذا الحق في كيان ديمقراطي لكان الأطفال اقوى فئات أصحاب المصالح في المجتمعات [٤٧٠].

ولذلك فالاستمرار في الكتابة عن الطفولة وإظهار الدور الإيجابي لمؤسسات التنشئة الاجتماعية هو ضمن الأولويات التي تعنى وتهتم بالأطفال، ولا شك ان بعض ما يسند من حاجيات معنوية ومادية للأطفال تقدمه أجهزة مشرفة تمثل سلطة بأشكالها الراقية اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً ومن الناحية المؤسسية يفضل ان يكون مركز الخدمة للأطفال عن طريق المؤسسات التي تتمتع بدرجة عالية من الشرعية والقبول في المجتمع وبين افراده، ومن ثم في تلك المؤسسات التي يعترف بها المجتمع والتي هي أكثر كفاءة وقدرة وتأثيراً في حياة الأطفال وتطورهم ونشأتهم في المجتمع.

المحور الأول :منهجية البحث وأهدافه:

أولا: مشكلة البحث:

المشكلة الرئيسة التي تطرحها التنشئة الاجتماعية وتتصدى لمواجهتها هي كيف نربي أطفالنا بحيث يصبحون أعضاء فاعلين قادرين على التكيف مع معطيات المجتمع الذي يعيشون فيه ويطلق على عملية

١) أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية: ١١.

٢) عبد الله، استراتيجية تنمية الطفل العربي ورقة مقدمة إلى مؤتمر الطفل العربي في تونس:٤٨.

التنشئة الاجتماعية أحيانا عملية التهيئة والتطبع الاجتماعي حيث يرى بعضهم أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تعليم وتعلم وتربية تعتمد على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكاً معيناً واتجاهات مناسبة وهذه التنشئة المقصودة في البحث تمر عبر مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تفرض نفسها وتلعب الدور المهم في حياة الطفل، ابتداءً من الاسرة كأهم المؤسسات مروراً بالمؤسسات التعليمية والتربوية، كالمدرسة ورياض الأطفال، وصولاً إلى المساجد والملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية أو جمعيات الايواء.

ويمثل موضوع التنشئة الاجتماعية واحدا من النقاط التي يلتقي فيها علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وهو يمثل حقلاً خصباً للدراسة ومحور اهتمام الباحثين والمهتمين بهذا المجال المهم، وميدان التنشئة له علاقة بعلم الانثروبولوجيا، سواءً الاجتماعية أم الثقافية [٤٧١].

إن الطفل لا يحدد حاجاته، وإنما تحددها حاجات غيره، وحاجات غيره إليه أيضاً، بدءً بالوالدين ومرورا بالمدرسة وانتهاء بالمجتمع، والدولة وإذا كان هذا الطفل غير مرغوب فيه او محل عناية ورعاية بعد ان وجد، وهذا يحدث في مستوى العائلة والمجتمع على حد سواء، فإن ضعفت الحاجة اليه تضعف العناية به وقد يؤدي إلى إهماله ولا شك في أن تخلف وضع الطفل في العالم العربي على وجه العموم وفي اليمن على وجه الخصوص قد يبعث سؤالا عن حاجات المجتمع الفعلية للطفل على الرغم مما يقال عنه بصفته أولوية.

واذا كانت بعض المشروعات والخدمات تتواصل على الرغم من قلة مردودها او عدم نجاعتها فلأن مصير المؤسسة مرتبط بها ومن منطلق ان البنية الاجتماعية للأطفال كما يراها بعضهم هي عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة مجتمعه والتوافق الاجتماعي معه، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية، لابد ان تكون هذه العملية بواسطة تنظيمات اجتماعية مختلفة، وهذه التنظيمات يقيمها المجتمع لتنظيم علاقة الأفراد لتحقيق حياة افضل للنشء وتسمى هذه التنظيمات مؤسسات التنشئة الاجتماعية[٤٧٢] وتختلف هذه المؤسسات باختلاف مجموع وظائفها التي تؤديها والتي تتشابك أحيانا وتتداخل فيما بينها في بعض الأوقات والمؤسسة في شكلها ومضمونها تمثل في كل وظيفي يستمد مقوماته من النظام الثقافي للمجتمع.

٣) الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية: ٩٧.

٤) الجوهري، مرجع سابق: ٨٢.

ونحن هنا بصدد دراسة دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتبيين العلاقة بين هذه المؤسسات وبين الأطفال، نتيجة للدور المهم الذي تلعبه في حياة الأطفال، وفي بناء شخصية الطفل ككائن اجتماعي فاعل.

ثانيا أهمية البحث:

نظرا لحيوية المواضيع المتمثلة في دراسات مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالأطفال في مختلف المراحل العمرية للطفل، كان اختيارنا لهذا الموضوع، والذي لا يزال يحتل اهتماما بالغا لدى العديد من الباحثين، ويعد من ضمن الدراسات المهمة.

ثالثا اهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١-التعريف بمؤسسات التنشئة الاجتماعية.

٢-الكشف عن علاقة مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالطفال.

٣-معرفة الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات وتأثيرها في تطور ونمو الطفل.

رابعا تساؤلات البحث:

١-ماهي مؤسسات التنشئة الاجتماعية وما علاقتها بالأطفال؟

٢-ما هو الدور الذي تلعبه مؤسسات التنشئة الاجتماعية وما تأثيرها على الأطفال؟

خامسا منهجية وأدوات البحث:

١-المنهج الوصفي الذي بواسطته يكون وصف حالة الدراسة والخروج عن طريق الوصف لحجم ومقدار وخصائص البحث.

٢- المنهج التاريخي وهو إحدى الوسائل التي نتطرق إلى استخدامها باعتباره ربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

سادسا مفاهيم البحث:

١- مفهوم كلمة دور: هي السلوك المتوقع من الفرد والجماعة، ويعني نمطاً من الدوافع والأهداف والقيم والاتجاهات والسلوكيات التي يتوقع أعضاء الجماعة أن يروها فيمن يحتل وضعا معينا، والدور الذي يصف السلوك المتوقع من شخص ما.

٢- مفهوم التنشئة الاجتماعية: بحسب بارسونز فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، ويرى إميل دور كايم انها عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد، ويُعرّف بارسونز مؤسس علم الاجتماع التنشئة أنها العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه الجماعة ويعرفها معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انها العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، ويرى آخرون ان عملية تشكيل السلوك الإنساني للفرد وعملية تعليم وتعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي.

٣- المفهوم الاجتماعي للمؤسسة: هي الوحدة الاجتماعية او المؤسسة الاجتماعية أو الدينية أو التربوية أو الثقافية، التي تسمو بالإنسان جسدياً وعقلياً وروحياً وثقافياً وصحيا وتعمل على كل ما يساعد الطفل في حياته وما يحتاج اليه منذ نعومه أظافره.

٤- مفهوم العلاقة: العلاقة الاجتماعية تلاحم الافراد والمجتمعات لذلك تفهم العلاقة الاجتماعية التي تقوم على إعادة الروية في الكثير من القضايا الفكرية والاشكالات التي يطرحها مفهوم العلاقة، وطرح مفهوم العلاقة يجعل منه مفهوما ضروريا للعمل في ظل تحديات المجتمعات المختلفة وحاجياتنا العملية للعلاقات الاجتماعية تفرض علينا العمل على تأصيل مفهوم العلاقات الاجتماعية فكرا وممارسة [٤٧٣].

والعلاقة التي نقصد هنا هي السلوك الذي يصدر من هذه المؤسسات تجاه الأطفال مركزة على مجموعة الدوافع التي تكمن عن طريق هذه العلاقة نفسها مثل دافع الاهتمام والمشاركة اجتماعيا واقتصاديا واشباع الحاجيات كالانتماء على سبيل المثال.

٤٧٣) عبد العزيز، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية:٣٨.

٥- مفهوم الأطفال، في علم الاجتماع يطلق مفهوم الطفل على الانسان منذ لحظة الولادة الأولى حتى يبلغ رشده، وهناك اتجاه يحدد الطفل انه الانسان الوليد ضمن المرحلة العمرية الأولى حتى يصل الثامنة عشرة من العمر، وهناك اتجاه اخر يقول انه الوليد إلى أن يبلغ سن الرشد.

المحور الثاني: التنشئة الاجتماعية :

أولا ماهي التنشئة الاجتماعية:

تشمل التنشئة الاجتماعية القيم والأساليب كافة، التي يتلقاها الفرد من الاسرة، ولاسيما الوالدين، ويتلقاها أيضا من المدرسة ومن الأصدقاء والمحيطين به من اجل بناء شخصية ثابته متوائمة جسميا ونفسيا واجتماعياً ابتداء بالرضاعة، والطعام والتدريب والنظافة والغذاء والتنافس واللعب والصراع مع الاخرين، في مواقف الحياة كافة وتختلف هذه الأساليب التي يتلقاها الفرد من جماعة إلى أخرى في الرعاية والدفء والعطف والحماية والتدليل والإهمال والقسوة والتفرقة في المعاملة.

ثانيا اهداف التنشئة الاجتماعية:

١- تهدف التنشئة الاجتماعية إلى التدريبات الأساس للأطفال لضبط السلوك واشباع الحاجيات وفقاً للتحديد الاجتماعي بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل من اسرته العادات واللغة والتقاليد السائدة في المجتمع والمعاني المرتبطة بإشباع رغباته وحاجاته الفطرية والاجتماعية والنفسية، كما يكتسب القدرة على توقع استجابات غيره نحو سلوكه واتجاهاته.

٢- اكتساب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك وتوجهه وتنبثق المعايير الاجتماعية من أهداف المجتمع وغاياته فإنه يغرس قيمه واتجاهاته في الافراد كما يضع المعايير الاجتماعية التي تساعد الفرد في اختيار استجاباته للمثيرات في المواقف الاجتماعية.

٣- تعلم الأدوار الاجتماعية كي يحافظ المجتمع على بقائه واستمراره وتحقيق رغبات افراده وجماعاته فإنه يضع تنظيماً خاصاً للمراكز والادوار الاجتماعية التي يشغلها ويمارسها الافراد والجماعات وتختلف المراكز باختلاف السن والمهنة والجنس وثقافة المجتمع فقد تشغل المرأة مركز يأخذه الرجل في نظام ثقافي اخر.

٤- اكتساب المعرفة والقيم والاتجاهات والرموز أنماط السلوك كافة، أي انها تشمل أساليب التعامل والتفكير الخاصة بجماعة معينة ومجتمع معين يعيش فيه الانسان.

٥- اكتساب العناصر الثقافية للجماعة، التي تصبح جزءً من تكوينه الشخصي هنا يظهر التباين في أنماط الشخصية على أساس درجة تمثل الفرد للأنماط والثقافة بالإضافة إلى الفوارق الفردية والاجتماعية.

٦- تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي حيث يكتسب الفرد صفته الاجتماعية، ويتحول الفرد كذلك من طفل يعتمد على غيره في نموه إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية.

ويتضح مما سبق ان التنشئة الاجتماعية تعمل على بقاء شخصية الفرد المتماثلة مع قيم واتجاهات وعادات مجتمعه، أي أن الفرد يتشرب ثقافة مجتمعه بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية [٤٧٤].

ثالثا التنشئة الاجتماعية في الإسلام:

يحوي الإسلام قيم التربية الإسلامية التي هي علم إعداد الإنسان المسلم لحياة الدنيا والاخرة من النواحي العقلية والعلمية والصحية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية، وفي جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام وفي ضوء طرق وأساليب التربية، التي يتبناها الدين الإسلامي الحنيف.

رابعاً مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

يقيّم المجتمع من أجل تحقيق أهدافه المؤسسات الاجتماعية، وذلك لتلبية الاحتياجات الأساسية المتصلة بإعداد الفرد لمتطلبات المواطنة الصالحة والمؤسسات الاجتماعية هي كل التنظيمات الاجتماعية المختلفة، التي يقيمها المجتمع لتنظيم علاقات الأفراد ولتحقيق حياة أفضل لهم، وتختلف اشكال المؤسسات الاجتماعية وتركيبتها باختلاف مجموعة الوظائف التي تؤديها المؤسسة.

ويختلف المحتوى الأساس لعملية التنشئة الاجتماعية بشكل جوهري في المراحل المختلفة لدورة حياة الانسان وباختلاف المؤسسة الاجتماعية الرئيسة فيتعلم الناس أشياء مختلفة في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة في حياتهم، وعلى أي حال فإن الحاجة للتنشئة الاجتماعية وتأثيرات التعليم والخصائص الاجتماعية تقرر طبيعة عمل التنشئة عن طريق المؤسسات.

أما أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تؤدي دوراً تكاملياً في بناء شخصية الفرد وكيانه الاجتماعي فهي:

١. الأسرة. ٢.المدرسة.

٣. رياض الأطفال. ٤.وسائل الإعلام

٥.جماعة الأقران. ٦.المساجد.

٧.مؤسسات الإيواء والملاجئ.

٦) أبو جادو مرجع سابق: ,١٨

المحور الثالث:

أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية

سوف نتناول مؤسسات التنشئة الاجتماعية، على النحو الآتي:

أولاً: الأسرة:

المؤسسة الاجتماعية الاولى

هي الخلية الأولى والمؤسسة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الطفل احتكاكا مباشراً ومستمراً منذ ولادته ومنذ السنوات الأولى وهي التي تشكل وجدانه الاجتماعي والثقافي وتنشئته اجتماعياً منذ الميلاد ومنذ بداية العام الثاني الذي يبدأ فيه ترسيخ العادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي. والاسرة لها في التنشئة الاجتماعية أهمية كبيرة فهي باكورة الفعل الاجتماعي الذي يمارسه الطفل مع بداية السنوات، مما ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد، لذا فالقيم والعادات والتقاليد والاتجاهات تبدأ من الاسرة ومن الاب والام على وجه التحديد أو يجب ان تكون [٤٧٥]. والأسرة تشكل جماعة لها من المقومات ما يجعلها قادرة على التأثير في افراد الاسرة فهي وجوه إنسانية ديناميكية متفاعلة مع افراد الاسرة ولها قيادتها المتمثلة بالوالدين كما ان لها نظامها وقيمها التي تتبعها.

ومن الضروري التوافق بين الطفل وأسرته وهذا التوافق صار من الأمور غير القابلة للجدل بواسطة هذا التوافق والتكامل السليم يتوحد الطفل مع القيم الاجتماعية والثقافية وكذلك يتعلم الأدوار المتعددة والتي سوف يلعبها في المستقبل وازدياد الاهتمام باثر الظروف الاجتماعية على الأطفال لإشباع حاجاتهم ومطالبهم ومن ثم تسهيل النمو الجسدي والنفسي إيجاباً وسلباً واحتياجات الأطفال ماتزال في مصاف الاهتمامات الخاصة في عالمنا الثالث لحاجاتهم إلى التوجيه الاجتماعي نظراً لسرعة معدلات التغير وتشابك موجهات جديدة إضافة إلى ما هو متوارث معرفته [٤٧٦].

وقد كانت الاسرة ومازالت اقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تؤثر في كل مكتسبات الإنسان المادية والمعنوية، فهي المستمرة مع الإنسان باستمرار حياته، بطريقة مباشرة او غير مباشرة، إلى ان يشكل اسرة

٧) بيومي، علم الاجتماع العائلي:,٢٥

٨) بيومي، مرجع سابق:٢٢.

جديدة، وهي المسؤولة عن موضوع التربية الاجتماعية التي يقصد بها تأديب الولد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية معينة وفاضلة تنبع مع العقيدة الإسلامية والشعور الإيماني العميق ليظهر المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل والادب والاتزان والعقل الناضج والتصرف الحكيم [٤٧٧].

ويتلقى الطفل في الاسرة عاداته وقيمه ومعتقداته ويتفاعل مع والده واخوته ويتأثر بهم ويتعامل وفاقاً أنماط السلوك السائدة مع الأسرة ومع الآخرين وفي إطار الاسرة نجد نماذج مختلفة التعامل منها الاسر المتسامحة والاسر المرنة، والاسر التي تتعامل بعكس ذلك.

والاسرة من أهم الأركان التي يعتمد عليها المجتمع في تنشئة الطفل لما لها من مركزية واضحة فأعضاء الاسرة هم اول من يتصلون بالطفل اجتماعيا في أعوامه الأولى التي تكون جامعة في ارتقائه وتطوره الاجتماعي حيث تشكل هذه العلاقة الانفعالية التفاعلية بين الوليد ووالديه.

ومن ناحية العقيدة فمجتمعنا اليمني مجتمعاً مسلماً ليس فيه تعدد ديانات نجد ان هناك انسجاماً تاماً مع انتماء الاسرة إلى الدين الإسلامي فتلقين الطفل آداب الشريعة الإسلامية وتعاملها السمحة والقيم الإسلامية التي ينشأ عليها وفي كل أسرة وتختلف أساليب التنشئة داخل محيط الاسرة فنجد ان هناك أنماط معينة من أساليب التنشئة التي يتلقاها الطفل في محيط اسرته إلى جانب ذلك تؤشر الابعاد الآتية على أنماط القيم التي يتقبلها الطفل ومدى تقبله لها وهي:

١-اختلاف أساليب التنشئة داخل الأسرة، التسلط، الحماية الزائدة، الإهمال، التدليل، العقاب البدني، التذبذب، عدم استقرار الوالدين على أسلوب معين لمعاملة الطفل، التفرقة وعدم المساواة.

٢- علاقة أساليب التنشئة في الأسرة بالثقافة الزائدة، مثال خلق الطاعة والأدب كهدف من اهداف التنشئة [٤٧٨].

٣-أساليب التنشئة ودعم المعايير المرتبطة بالدور وتثبيت المعتقدات العامة المشتركة التي تؤكد السلوك المناسب للولد، والتأكيد على توافق سلوك الطفل مع معايير الدور المرتبطة بنوعه.

٤-أساليب التنشئة الاجتماعية ودعم معايير الضبط الاجتماعي، الثواب، العقاب، واختلافاتها داخل ثقافات مختلفة [٤٧٩].

٩) الطيعي، تنمية قدرات التفكير عند الأطفال:٥٥.

٤٧٨) احمد، قيمة التنشئة الاجتماعية : ٣٥٤.

ومما لاشك فيه أن الحديث عن مؤسسات ووسائل التنشئة الاجتماعية تبدأ بالأسرة تكون في مقدمة هذه المؤسسات كأهم وأول مؤسسة لأن دورها البارز يكمن في عدّها المؤسسة والهيئة والمعمل الصغير الذي يكون في اطاره تدريب الوليد البشري على تجارب التفاعل الاجتماعي في المجتمع الواسع وتتبدى أهمية الاسرة أيضاً في كونها تعكس خصائص المجتمع ففيها الانقسام على أساس النوع والمكان والسن والثقافة والتعليم، ثم ان بذور النظم الاجتماعية المتباينة، الاقتصادية والسياسية والقيم الدينية وقضاء وقت الفراغ من هنا كانت الأسرة أهم وأخطر مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ثم انها أي الأسرة اثناء ذلك تقترب إلى ذات النماذج التي ينبغي أن تحتذي أو تشوه النماذج التي ينبغي أن ترفض ومن ثم تُعد رواية القصة والحكاية من الوسائل القريبة من الطفل والتي تستخدمها الاسرة لاكتمال عملية التنشئة الاجتماعية (٤٨٠).

ولكي تؤدي الاسرة دورها فإنها قد تلجأ إلى وسائل عديدة، إما التلقي المباشر للتقاليد الأخلاقية التي ينبغي أن تحكم سلوك الفرد مع الاخرين في المجتمع، او قد تتأرجح بين الترغيب والترهيب لتأكيد اقتناع الطفل بقيم ومعايير أخلاقية محددة إلى جانب ذلك فقد تلجأ الاسرة إلى زاوية القصص والحكايات للطفل، ومن الناحية الضاهرية فهي تود تسليته وملء فراغه وخلق حالة من الاسترخاء لديه وفي الوقت نفسه فهي تستهدف نقل قيم ومعايير وانماط السلوك الاجتماعي اليه، فهي تروي له القصص والحكايات واثناء ذلك تقيم له صرح خاليا تؤدي في الكائنات أدوارها الخيرة والشريرة القوية والضعيفة، ولأن الاسرة تؤدي دورها الأساس والفاعل في نمو الطفل وإشباع حاجياته البيولوجية والاجتماعية بما يؤدي إلى تشكيل شخصيته وتحديد ملامحها وصناعة مستقبله(٤٨١).

المؤسسات التعليمية:

تُعد المؤسسات التعليمية من المؤسسات الرئيسة في انجاز عملية التنشئة الاجتماعية واستكمالها وتؤدي المدرسة دورها في التنشئة بالأساليب المتنوعة فهي من ناحية تزود الطفل بمجموعة من المعارف بواسطة المقررات الدراسية المختلفة وتزيد من رصيد العلم والمعرفة لديه حتى يعالج سلوكه في المجال الاجتماعي ويصبح اكثر رشداً في المجال الاجتماعي ثم أنها تقدم نماذج بشرية متمثلة في اساتذته ومدرسيه، ينبغي ان يحتذي

٤٧٩) احمد، مرجع سابق :٣٦٠.

٤٨٠) القليصي، الطفل و التنشئة الاجتماعية: ٣٤٠.

٤٨١) عبد الحليم، الطفل في الوطن العربي واقع واحتياجات:١١٣.

ويستوعب قيمها وسلوكياتها واساليبها في ممارسة العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الاخرين وكذلك قائمة جماعة أصدقاء الدراسة من التلاميذ والفصول المدرسية المختلفة والرياضة والتمثيل والرسم والموسيقى، وتلعب المدارس والمؤسسات التعليمية دورا كبيرا في تنشئة الطفل باعتبارها مجتمعات صغيرة يجرب فيها التلميذ قدرته على التفاعل مع الاخرين وإقامة علاقات معهم تهدف إلى تحقيق اهداف الجماعة والمجتمع وتأكيد استقراره[٤٨٢].

المدرسة:

وهي المؤسسة الاجتماعية الثانية، التي تسهم في نشر الثقافة والمعرفة، لكونها إحدى المؤسسات الاجتماعية فهي المكان الذي يتلقى فيه الأطفال الأنواع المختلفة للمعرفة والخبرات الجيدة، التي تُسهم في التغلب على المشكلات والصعوبات التي يواجهونها في حياتهم الحاضرة والمستقبلية، وقد اشار جيليفورد إلى ضرورة ان تعطى التربية القدر الكافي من الأهمية وفرص الممارسة لكل القدرات العقلية، لان كل قدرة تستدعي طريقة خاصة لإشباعها.

والتعليم والتنشئة متلازمان قويان لتلبية حاجات الأطفال والتنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التي يتعلم الطفل بواسطتها التعايش مع المجتمع أو الجماعة الاجتماعية حتى يتمكن من الحياة بين تلك الجماعة ويصبح فرداً قادراً على المشاركة واكتساب المعارف والنماذج والقيم فالطفل يولد وليس لديه أي عادات اجتماعية او ارتباطات سابقة وهو عن طريق التنشئة الاجتماعية يمكن له ان يتعلم كيف يتصرف بصفته عضواً في مجتمعه بالطريقة نفسها الذي يتعلم فيها كيف يقرأ ويكتب [٤٨٣].

ويكتسب الطفل طابعا معرفيا وعلميا في اثناء عملية التنشئة الاجتماعية طابع معرفي وعلمي، وبعض ما يتعلمه الطفل اثناء تنشئته الاجتماعية يعلمه له بوضوح جماعة من الناس لديهم ارتباط وثيق بتعلمه مثل الآباء والمعلمون الذين يوكل اليهم المجتمع على وجه الخصوص اعداد الصغار حتى يصبحوا أعضاء مؤهلين ومشاركين في المجتمع، وحين يبلغ الطفل سن السادسة من عمره يرسل من قبل المؤسسة الاجتماعية الأولى إلى المؤسسة الاجتماعية الثانية وهي المدرسة ليربى تربية مقصودة تعتمد على الاستقلالية والعقلانية وتقلص النموذج الذاتي لان الطفل ينتقل من التعامل مع افراد اسرته وجماعته المرجعية إلى جماعة أخرى مختلفة كل الاختلاف وإلى مؤسسة أخرى وهي المدرسة، ومن هنا تدخل مجموعة من العوامل المختلفة منها ما هو

٤٨٢- يوسف، مرجع سابق: ٣٤٣.

٤٨٣- موسى، دور نظام التعليم في تنشئة الطفل، :١٥٩.

داخل المدرسة ومنها ما يعود إلى التنشئة الاجتماعية لتقرير نموذج السلوك الذي يسلكه ومدى انسجامه مع القوانين والالفة السائدة في المدرسة وكذلك فإن الفكرة التي تقوم عليها المدرسة هي التنشئة والتنمية بمختلف جوانبها، يقول جون ديون ان بإمكان المدرسة ان تغير نظام المجتمع إلى حد ما، ويرى لوين ان الاطفال يجب أن تحفظ أمرين رئيسين في المدرسة هما التعلم والتكيف ويعتقد ان عدداً كبيراً من الأطفال لا يتعلمون في المدرسة كما ان عدداً لا يحصى من الأطفال لا يستطيعون التكيف، والمدرسة هي المكان المهم لتلقي المعارف وعلى المدرسة ان تهتم بتطوير معارف الطفل وزرع ثقته بنفسه وتعليم القراءة والكتابة والعلوم المختلفة.

ومن الأدوار المهمة للمدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية:

١. تقديم الرعاية الاجتماعية للتلاميذ، وتعليمهم، ومساعدتهم على التفاعل في مجتمعهم.

٢. اكساب التلاميذ العادات الصحيحة والسليمة.

٣. التعاون بين الاسرة والمدرسة لإتمام عملية التنشئة الاجتماعية.

٤. استخدام أسلوب الثواب والعقاب.

٥. تعليم أنماط السلوك الحميدة وخصال التعاون، وإيجاد نوع من الثقة بين التلاميذ.

العلاقة بين الأسرة والمدرسة:

أصبحت العلاقة بين الاسرة والمدرسة قوية، وأوثق مما كانت في السابق، فقد توثقت العلاقة بينهما وذلك لان التلميذ هو الطفل محور هذه العلاقة الثنائية ومصلحته هي الهدف فنجد ان هناك تنسيقاً لتحقيق هذه المصلحة وهذا الهدف اما بواسطة مجالس الإباء او بواسطة لقاءات الاسر او عن طريق المحاضرات والندوات المشتركة بين الاسرة والمدرسة.

ثالثا: رياض الأطفال:

كلمة روضة معناها حديقة، والحديقة تمثل المتعة والمناظر الجميلة، لذلك فكلمة روضة عندما تطلق على مكان مغلق، مثل شقة فيها غرف يحجز فيها الأطفال من أربع إلى خمس ساعات، ليست روضة فرياض الأطفال هي بداية للطفل لأن ينتقل إلى المدرسة وقد استطاع ان يلم بأمور عديدة فيلعب كما يشاء ويمارس النشاط وبذلك يكتسب النمو السليم لجسده وعقله فحرية الحركة في هذه الرياض هي التي تكسبه النمو الأفضل على عكس ما يحدث في المدرسة، وعدم وجود فلسفة واضحة لرياض الاطفال قد يرجع إلى عدم توافر مناهج تربوية خاصة بمرحلة ما قبل المدرسة.

وهناك صعوبات عديده تواجه الأطفال ورياض الأطفال باعتبار ان رياض الأطفال محددة لرعاية الطفل لمدة زمنية تحدده لفترة زمنية اثناء الدوام الرسمي ومن هذه الصعوبات:

١ – قلة توافر الأدوات والألعاب التربوية.

٢ – أصحاب هذه الرياض يسعون إلى تحقيق الربح ولا يهتمون بالجانب الاجتماعي.

٣ – عدم تخصص المعلمات في رياض الأطفال.

٤ – قلة الدخل الناجم عن العمل بالنسبة للمعلمات في رياض الأطفال.

٥ – قلة اهتمام أولياء الأمور بمتابعة أطفالهم في هذه الرياض.

٦ – ضعف الوعي بأهمية هذا الوقت الذي يقضيه الأطفال في تلك الرياض[٤٨٤].

كان الهدف من انشاء رياض الأطفال هو احتضان ورعاية أطفال النسوة اللائي يخرجن إلى العمل في المصانع على اثر الثورة الصناعية في أوروبا في القرن التاسع عشر ثم تطور الامر من مجرد حضانة إلى تربية شاملة تهدف إلى تنمية قدرات الأطفال و تسهيل نموهم في مرحلة مهمة من مراحل حياتهم، كما أُكتشف انه يمكن للروضة ان تلعب دورا تعويضيا بالنسبة لأطفال الفئات المحرومة اقتصاديا واجتماعيا حيث انها تقدم لهم البيئة التربوية قبل المدرسة بهدف اعداد الطفل اجتماعيا ونفسيا وعقليا للاستعداد للدخول إلى المدرسة والتعود على جوها العام [٤٨٥].

ويؤكد ميرويل ان الروضة تساعد الأطفال على التوافق مع البيئة فهي تهيئ فرص للأطفال للقيام بالنشاط الذي يتوافق مع نموهم، ويرى أن رياض الأطفال مكان ملائم للطفل على أساسه يكتسب الخبرات التربوية وحاجياته، واكد على أهمية اللعب والنشاط في النمو الروحي والخلقي، ونادى بضرورة أن تنتج الروضة النشاط التلقائي والتعبير عن الذات والتفاعل مع الاقران.

لقد انتشرت رياض الأطفال خصوصا في المدن الحضرية نتيجة تطور العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وفي الواقع ان الطفل في هذه المرحلة من نموه تحركه مجموعة من الدوافع ذات الطبيعة الاجتماعية والنفسية، بدافع حب الاستطلاع، واستكشاف يدفع به للتعرف إلى الأشياء من حوله وللسؤال

٤٨٤– أبو جادو، مرجع سابق :٣٠.

٤٨٥– أبو جادو، مرجع سابق: ٢٢٩.

عن كل شيء والدافع للتعلم يخلق لديه فهما لتعلم خبرات جديدة والدافع للعب يجعله ينخرط في لعبه، والخلاصة ان الحضانة ورياض الأطفال لها دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية حيث انها تسعى إلى تحقيق النمو المتكامل للطفل ولذا يجب ان يشمل هدفها تهيئة الطفل اعداده أعداداً سويا للمراحل العمرية لينمو لدى الطفل الاسس الفرضية لآداب السلوك والإدراك المعنوي والاحاسيس والعادات والتقاليد مع الاخرين.

ونجد انه على الرغم من عدم وجود مناهج وكتب محددة لرياض الأطفال وكذلك نقص المعلمات والمعلمين المؤهلين في هذا المجال للعمل الميداني وعدم وضوح فلسفة محددة لرياض الأطفال باعتبار إن رياض الأطفال هي مرحلة ما قبل الدراسة إضافة إلى ذلك عدم وجود الوعي الكافي بأهمية متابعة الأطفال في مرحلة رياض الطفل وعدم إدراك الاسر لأهمية مرحلة ما قبل الدراسة، إلا أن رياض الأطفال أصبحت ضرورة لتنشئة الطفل وانتشارها يساعد الأسر في تربية الأطفال، ونجد أن مطالبة الجهات ذات العلاقة بتوفير متطلبات هذه المؤسسات أصبح ضروريا.

رابعا: وسائل الاعلام:

تلعب وسائل الاعلام دورا في التنشئة الاجتماعية إذ تعد احدى اهم مدارس التنشئة الاجتماعية في تكوين سلوك وشخصية الطفل بما في ذلك المسموعة والمقروءة والمرئية، لأنه يتأثر بما يشاهده وبما يستمع إليه وبما يقرأه، وبالتالي تتكون لديه مجموعة من الأفكار والتصورات والقيم والمعلومات التي تكوّن شخصية الطفل والوقوف تحديدا عند جهاز التلفاز نظراً لأنه وسيلة سريعة التأثير بشكل كبير أكثر من تأثير الأسرة والمدرسة، وتكون الشخصية الاجتماعية على أنماط معينة وتؤثر في التنشئة الاجتماعية على النحو الاتي:

- نشر معلومات في كافة المجالات وتُناسب للأعمار كافة.
- ينعكس تأثيرها في نمو الشخصية الاجتماعية ويتأثر الطفل بثقافة الاخرين بما يقدم له في وسائل الاعلام.
- اشباع الحاجة والمعلومة.
- التسلية والترفيه.

ومن ضمن وسائل الاعلام القصص والحكايات التي تُعد القاسم المشترك في كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية فهي معه الجدة او الام وهي القصة في المكتبة وهي المقرر الدراسي والأستاذ في المدرسة وهي التمثيلية والمسلسل الإذاعي وهي الحكاية من رفاق الشارع او المدرسة والحي [٤٨٦].

٤٨٦) عبد الحميد، التنشئة الاجتماعية:٢٠٠.

ويرتبط التلفزيون بتربية الأطفال من جانب انه جهاز فبعض الأطفال يستمر امام التلفاز لساعات مما قد يعرضه إلى تلقي برامج عدوانية او تطور معرفي إيجابي، وعلى الرغم من الأهمية القصوى للتلفزيون فإن الجدل مازال قائماً بين أنصار هذا الجهاز ومعارضيه فكل يحاول ان يسرد القصص الحجج التي تؤيد وجهة نظره، فيرى جورج كومستلك ان التلفزيون يلعب دورا رئيسا في تنشئة الطفل الاجتماعية وينافس في ذلك الاسرة والمدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى.

خامسا: جماعة الاقران:

وهم الأطفال الذين يشبهون الطفل في المستوى الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي أحيانا وفي صفات أخرى كالسن ويمكن تصنيف الرفاق على أساس تفاعلهم على المستوى السلوكي من التعقيد اكثر من التصنيف على عامل السن، ويزداد تأثير الرفاق في سن ما قبل المدرسة حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر يتمثل في الانتقال من اللعب الفردي إلى اللعب الجماعي ويلاحظ ان هناك تفضيلا عند الأطفال للعب مع الرفاق على اللعب مع الكبار، عن طريق بعض الدراسات حول الطفل أظهرت تطور حواس الطفل في التعلم وبدون هذا الاستخدام يعاق التعليم والنمو واعتبر لعب الطفل افضل وسط قادر على اتاحة فرص الاستخدام للحواس والعقل، وخلال اللعب يكتشف الطفل بيئته ويتعرف إلى عناصرها المتنوعة والمختلفة ويتعلم ادواره وادوار الذين يحيطون به من الكبار والاقران، عن طريق ممارسته ألوان اللعب المختلفة مع اقرانه وتفاعله مع مواده وادواته يتعلم ثقافة مجتمعه ويطور قدراته ومهارات التفكير التي يحتاجها في مرحلة النمو، ولاشك ان انتقال الطفل إلى المدرسة بكل ما يتضمنه هذا الانتقال من التغييرات العميقة يتوقع ان ينعكس على طبيعة علاقاته وتبدأ بوادر الظهور للرفاق التي تتكامل تدريجيا مع النمو.

ففي المدرسة الابتدائية يبدأ تأثير جماعة الرفاق في تطور شخصية الطفل إذ يصبح الرفاق نماذج سلوكية يمكن تقليدها من جماعة الرفاق، كذلك مصدر الثواب وعقاب سلوك الطفل واختلاطه يعيش الطفل بواسطتها صلاحيات سلوكه الخاص ومدى فاعليته، كما يوضح الرفاق مصدر التفاعل الاجتماعي واتساق لمشاعر الغضب والعدوانية التي غالبا ما يكتسبها.

وقد اهتم بعض الباحثين بالتعرف إلى دور جماعة الاقران في تدعيم التوجهات الاستقلالية والسلوك القيادي لدى عينة من المراهقين، والتعرف إلى العلاقة بين التوجهات الاستقلالية والسلوك القيادي.

سادسا: المسجد:

المسجد ودوره أحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية الفاعلة، والمسجد يقوم بالدور المهم والوظيفة الحيوية في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك ما يتميز به من خصائص فرديه أهمها مكانته في التقديس وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد والاجماع على تدعيمها ويلعب المسجد بمقامة مؤسسة دينية الدور الأهم في التنشئة الاجتماعية للفرد من حيث:

١- تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة افراد المجتمع والبشرية جمعاء.

٢- امداد الفرد بإطار سلوكي نابع من تعاليم دينه.

٣- الدعوة إلى توجهه بالتعاليم السماوية ممارسة عملية، وتنمية الضمير عند الفرد والمجتمع.

٤- توحيد السلوك الاجتماعي.

٥- تتبع دور الأساليب النفسية والاجتماعية في غرس القيم الدينية التي لها إثر كبير في التنشئة الاجتماعية مثل: الترغيب والترهيب، الدعوة إلى السلوك السوي طمعا في الثواب ورضاء النفس، والابتعاد عن السلوك المنحرف تجنبا للعقاب.

٦- التكرار والامتناع والدعوة إلى المشاركة الجماعية.

٧- الارشاد العملي وعرض النماذج السلوكية المثالية.

ومن هنا نلاحظ أهمية المؤسسات الدينية (المسجد) وسيلة من وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسات تربوية اجتماعية لها دورها الديني والدنيوي المهم.

ومما سبق يتضح ان المؤسسات الاجتماعية التي يتعامل معها الطفل تزداد درجة تعاونها وتشابكها واحتياجاته لها، أيضا كلما تدرج في نموه الاجتماعي، فيتعلم ما هو مشترك بين هذه المؤسسات كما يتعلم ما هو خاص ببعضهم دون الاخر وكلها تلعب دور فعال من اجل تحقيق التنشئة الاجتماعية المتكاملة للفرد، واضافة إلى ما سبق فالمسجد يعلم الطفل تأدية الشعائر الدينية كالصلاة والانضباط والسلوكيات الايمانية منذ نعومة اضافره.

تأثير مؤسسات التنشئة الاجتماعية

نجد بواسطة البحث حول مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتأثيرها انها في حد ذاتها تُعد عملية تعلم لأنها تتضمن تغييرا وتعديلا في السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة ولان مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة تستخدم اثناء هذه العملية بعض الوسائل المعروفة في تحقق التعلم سواء كان ذلك بقصد او بدون قصد فموضوع التنشئة الاجتماعية الجوهري هو الإنسان الذي يتفاعل مع مجتمعة ضمن إطار ثقافي يؤمن ويتمسك به.

الخاتمة:

يخلص البحث إلى ان اهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الفاعلة في المجتمع هي التي تلبي حاجياته، وتختلف باختلاف الوظيفة التي تقوم بها، وتتشابك وتتداخل كما ذكرنا في مهامها في بعض الأوقات ويكون لها مخرجات متفاوتة، كما انه يختلف المحتوى الأساس لعملية التنشئة الاجتماعية بشكل جوهري للمراحل المختلفة لدورة حياة الانسان باختلاف هذه المؤسسات وفي الأخير تؤدي جميعها الدور المناط بها لتنشئة الأطفال في المجتمع الذي يتفاعل مع هذه المؤسسات وما تقدمه لهم على تعددها وقوتها ومكانتها بالنسبة للطفل سواء في محيط الاسرة او المدرسة او على مستوى الاعلام وتأثيره او جماعة الرفاق او المسجد وما له من تأثير، هي اهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي يظهر تأثيرها بشكل مباشر وواضح سواء على مستوى المجتمع او على مستوى الطفل المستهدف بالتنشئة عن طريق تلك المؤسسات ثم الخروج بنتائج حول ما سبق استعراضه في البحث على النحو الاتي:

١-الأسرة نُعدها اهم مدرسة للتنشئة الاجتماعية للأطفال وفيها يبدأ الطفل من الرضاعة إلى مراحل الطفولة المختلفة.

٢-الاسرة هي التي تعلم الطفل العادات واللغة والتقاليد وكل ما يرتبط باحتياجاته ورغباته الفطرية والاجتماعية والنفسية.

٣-تتحقق أهداف التنشئة الاجتماعية في اكتساب المعرفة عن طريق أساليب التعامل والتفكير والتعلم بواسطة المؤسسة الثانية وهي المدرسة.

٤-المدرسة هي التي تعلم المعارف خارج اطار الاسرة وهي اهم مدرسة اجتماعية بعد الاسرة.

٥-تلعب القيم الإسلامية دوراً مهماً في حياة الطفل في المجتمع اليمني.

٦-الاسرة المسلمة هي الأكثر ترابطا وتماسكا وتعمل على غرس القيم العليا لدى الأطفال في المجتمع.

٧-دور المسجد اصبح مهماً ومحورياً لبناء جيل مؤمن قادر على أن يتسلح بالإيمان، اذا حرص الأطفال على ارتياده منذ نعومة اظافره.

٨-رياض الأطفال تعد مؤسسة اجتماعية مهمة رغم عدم انتشارها في المجتمع اليمني فانها أصبحت ضرورية في حياة المجتمع.

٩- دور وسائل الاعلام لكونها المؤسسات الاجتماعية اصبح محوريا في مجال التوعية والتثقيف والاهتمام بالطفولة.

١٠- تأثير الأقران والأصدقاء له مردود إيجابي وقد يتحول إلى مردود سلبي.

١١- تظافر جهود الاسرة والمدرسة والمسجد يمكن أن يحد من سلبيات بعض الأقران وجماعة الرفاق ذات التأثير غير الإيجابي.

١٢- النقص في مناهج رياض الأطفال إضافة إلى بعض الصعوبات التي تواجه هذه المؤسسة الاجتماعية التي بدأت بالانشار في المجتمع.

المصادر والمراجع:

١) أبو جادو، صالح محمد، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للدراسات والنشر، عمان الأردن،٢٠٠٢م.

٢) عبد الله، إسماعيل صبري، استراتيجية تنمية الطفل العربي ورقة مقدمة إلى مؤتمر الطفل العربي في تونس، ابريل، ٢٠٠٧م.

٣) عبد العزيز، فكرة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تنسة، الجزائر، ٢٠١٦م.

٤) الجوهري، محمد، الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص ٩٧.

٥) بيومي، محمد احمد، علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٦) الطيعي، محمد، تنمية قدرات التفكير عند الأطفال، دار المسيرة، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٥٥.

حمد، فاطمة يوسف، قيمة التنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٣٥٤.

٧) القليصي، فاطمة، الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرقة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص ٣٤٠.

٨) عبد الحليم، احمد، الطفل في الوطن العربي واقع واحتياجات، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠١١م، ص١١٣.

٩) موسى، محمود، دور نظام التعليم في تنشئة الطفل، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ٢٠١٠، ص١٥٩.

١٠) عبد الحميد، نجوى، التنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص٢٠٠.

الخلافة والملك في فكر الإمام الشافعيﷺ (حقيقتها–وحكمها–وأنواع القضاء)

أ.طاهر ناجي عبد الله سفيان(٤٨٧)

الملخص:

يبرز هذا البحث جانباً مهماً في شخصية الإمام الشافعيﷺ الفذة، والذي يتعلق باختياراته وقواعده التي قررها هو أو من تأثر به من أتباع مذهبه، فيما يتعلق بعلم السياسة الشرعية عموماً، وفي شأن الخلافة والإمامة خصوصاً.

تلك المقررات التي تمثل تراثاً علمياً وسياساً رائعاً للأمة الإسلامية، يصلح البناء عليه لإصلاح أوضاعها والنهوض بها من انتكاستها بين الأمم، من خلال الاجتهاد في تقرير قوالب معاصرة تناسب الزمان والمكان، حيث لا تمثل المصطلحات مشكلة تعيق تطبيقها، فالعمل على المضمون وليس المصطلح، والفهم لوجوبها، ولزوم قيام طائفة بها هو الأليق بالحال والواقع وتحقيق المصالح، وبما يوافق مراد الله في استخلافه للإنسان في الأرض، والحذر من مضاهاته في حكمه أو مضادته، وجواز الاستفادة من المساحة القابلة للنظر والاجتهاد بما يحقق الخير والصلاح للإنسان.

This research highlights a significant aspect of Imam Al-Shafee's personality namely his options and principles which are determined by him or by any other disciples of his doctrine pertaining to the legitimate politics in general or to caliphate and imamate in particular.Those principles are considered to be a great political and scientific heritage for the Islamic nation. They can be used a foundation upon which a nation can reform its situations and get improved and developed among other nations. It can be done by great efforts to establish modern frames appropriate to the contemporary time and place. Those terms can't make a barrier or difficulty for the application since the focus is on the content not the form. Those aspects should be understood and applied by a certain group of people as a necessity of the time and the situations to achieve the nation's welfare and interests according to Allah's wish which is making man the ruler(caliph) of the earth. That caliph should behave well not against Allah' destiny. However, it is permitable for man to make use of things which are not divinely prohibited so as to obtain welfare of human beings.

(٤٨٧). طالب دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة صنعاء.

المقدمة:

الحمد لله الذي أظهر دينه على سائر الأديان، وأوجب على خلقه كافةً التحاكم إلى كتابه، وبعث فيهم رسوله العدنان، صلى الله وسلم عليه وعلى آل بيته الأطهار، وأوجب عليهم طاعته والعمل بسنته ﷺ، فساسهم بأحسن سياسة، وقادهم بأحسن قيادة، ودلهم على خيري الدنيا والآخرة.

وبعد:- فإنه لا مرية أن الإسلام دين أنزله الله متكاملاً، لا اعوجاج فيه ولا نقص، وهو محفوظ إلى أن تقوم الساعة بحفظ الله تعالى لكتابه، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات: ٩ وقد جاء النبي ﷺ بهذا الدين فساس به العالمين، وأدار به حركة الحياة والأحياء، فأصلح به معاش العباد ومعادهم، وسار أتباعه من الصحابة والتابعين لهم بإحسان والأئمة والولاة من بعده على ذات المنهج، وكان منهم على رأس المائة الثانية المجدد الإمام الشافعي ﷺ، الذي تبحر في كثير من العلوم الإسلامية المختلفة، وعلى رأسها الجوانب السياسية التي ربما يخفى على كثير من الناس دوره العظيم فيها، ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أبرز بعض أرائه واختياراته السياسية المتعلقة بالخلافة والملك، حقيقتها، وحكمها، وأنواعها، فهي جزء من الفقه الإسلامي، وقد بذل في سبيل ذلك أنفس الأوقات وأغلى المهج.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة تحدثت عن الاختيارات السياسية للإمام الشافعيﷺ، أو بعض جوانبها، غير أني وجدت دراسات كثيرة متعلقة بالسياسة الشرعية -بشكل عام- أو ارتبطت بشخصيات أخرى شافعية كالماوردي والجويني، وغيرهما، ممن اعتنوا بجوانب السياسة الشرعية، ومن تلك الدراسات والكتب:

أولاً/ الفكر السياسي عند الماوردي للدكتور/صلاح الدين بسيوني رسلان:

يعرض فيها موجزاً لسيرة المفكر الفقيه الماوردي، وملخصاً لأفكاره السياسية، كنشأة الدولة، وقواعد صلاحها، وعن الإمامة، وشروط اختيار أهل الحل والعقد، وواجبات الحاكم وحقوقه، وضرورة وجود حاكم، وحقوق الشعب وواجباته، وغير ذلك.

وتتفق هذه الدراسة مع بحثي في الحديث عن الإمامة والخلافة وأسسها.

وفي حين أنها تختلف مع بحثي في: أنها لم تناقش آراء العلماء المخالفين للماوردي في المسائل التي تطرق لها.

ثانياً/ ضوابط السياسة الشرعية عند القفال الشاشي: (دراسة فقهية مقارنة) رسالة لنيل درجة الماجستير لعبد الله محمد سليم العطوي، وقد أعطتنا هذه الرسالة العلمية صورة عن السياسة الشرعية عند أحد أبرز علماء الشافعية.

تحدث فيها عن الإطار العام للسياسة الشرعية ومفهومها، وتناول لإشكالية الولاية العامة، مبرزا دواعي انعقادها، وبماذا تنتظم، وكيف تدار علاقة الحاكم بالمحكوم، وأسباب حل هذا الولاية وضوابطها.

وتتفق هذه الدراسة مع بحثي في: أنها تناقش بعض المسائل السياسية من خلال رؤية الإمام الشاشي وآراء مخالفيه.

وتختلف مع بحثي من خلال: أنها تطرقت إلى الحديث حول النوازل الفقهية وترشيدها، وكيفية التعامل معها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في كون الإمام الشافعيﷺ كانت له آراء سياسية لم تبرز، ولم يتناولها الباحثون بالدراسة فيما أعلم، فأردت أن تكون تلك الآراء مادة للدراسة من أجل إبرازها؛ حتى تكون مادة يُنتفع بها، مع التأكيد على أن من جاء بعد الإمام الشافعي من أتباع مذهبه، لاسيما الإمام الماوردي والإمام الجويني الذَي تأثَّرا تأثراً كبيراً في تناولهما لمسائل علم السياسة الشرعية بما أرساه الإمام من قواعد، وما بناه من أصول، انطلقا من خلالها في تناول تلك القضايا.

أسئلة البحث:

١ – ما الدور السياسي الذي مارسه الإمام الشافعيﷺ؟

٢ – ما الآراء السياسية التي تبناها الإمام الشافعيﷺ في مسائل الخلافة والملك؟

٣ – ما الآثار السياسية التي أثر بها الإمام الشافعي على غيره من العلماء؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من ضرورة إبراز اختيارات الأئمة الكبار أمثال الشافعي بغية الاسهام الفاعل بما سطروه من نظريات قادرة على وضع حلول لأزمات الحكم المعاصرة، بعيداً عن الشطط والغلو، وبما يلائم واقع التطبيق؛ كون التراث الإسلامي حافلاً بالحلول القيمة لمختلف الأزمات.

أهداف البحث:

١ – بيان الدور السياسي الذي مارسه الإمام الشافعيﷺ.

٢ – إيضاح آرائه ﷺ في مسائل الحكم والحاكمية.

٣ – إبراز أثره السياسيﷺ في طلابه ومن تتلمذ على مذهبه.

حدود الدراسة:

تقف هذه الدراسة عند حدود ما اختاره الإمام الشافعي في المسائل ذات العلاقة مما نص عليه في كتبه، أو نصت عيه كتب الإمامين الماوردي والجويني من أتباع مذهبه.

منهج الدراسة:

في ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها وحدودها، فإن المنهج الذي سأتبعه هو المنهج الوصفي حيث سأقوم بالدراسة المكتبية المعتمدة على المراجع والمصادر العلمية التي تناولت موضوع الدراسة.

التمهيد:

نبذة تعريفية بالإمام الشافعي ﷺ

الإمام الشافعي ليس ممن يُترجم له في أوراق وكراريس، وقد ألف الأئمة في سيرته كتباً كثيرةً وافيةً، وُجِد بعضها وفُقِد أكثرها(٤٨٨).

أولاً: اسمه ونسبه:

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، المطلبي، المكي(٤٨٩). يلتقي نسبه مع النبيﷺ في عبد مناف.

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد الإمام الشافعي ﷺ بغزة سنة خمسين ومائة، في العام الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة النعمان. على الصحيح من الأقوال(٤٩٠)، وقد بُشرت أمه به قبل ولادته(٤٩١).

ثالثاً: نشأته وحياته العلمية:

(٤٨٨) أحمد شاكر، مقدمة الرسالة للإمام الشافعي، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، (ص:٨).

(٤٨٩) يُنظر: الخطيب، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٣٩٢/٢)، والذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٥/١٠)، والذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (١٤٦/٥).

(٤٩٠) ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد (٣٩٥/٢)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م، (٧٥/١).

(٤٩١) رأتْ كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية، فتأول أصحاب الرؤى أنه يخرج منها عالم يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في سائر البلدان". الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (٣٩٦/٢).

توفي والده وعمره سنتان، فنشأ في حجر أمه يتيماً، وانتقلت به إلى مكة، خشية أن يضيع نسبه[٤٩٢]، كما ابتغت أن يقتفي ولدها أثر الصحابة الكرام في ابتغاء العلم وجمع سنة النبي ﷺ، وهناك بدأ الطلب والحفظ، وقد أتم حفظ القرآن في السابعة من عمره، وكان يُقرئ الناس وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وحفظ الموطأ قبل أن يحتلم[٤٩٣]، ثم أخذ يتنقل بين علماء مكة يأخذ ما عندهم من فنون العلم.

رابعاً: مرضه ووفاته:

في مصر ظهرت عليه البواسير، فاشتد عليه المرض وطال؛ حتى انتهى بوفاته بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة آخر ليلة من شهر رجب سنة أربع ومائتين عن خمسين عاماً، وتقبل عنه أحسن ما عمل[٤٩٤].

ثامناً: المشاركة السياسية للإمام الشافعي رضي الله عنه:

قدم إلى اليمن فاستعمل على عمل فحُمِدْ فيه، فزادوا في عمله، ولما قدم العمال إلى مكة أثنوا عليه وصار له بذلك ذكر، وقد ظهر بذلك نبوغه المبكر في حسن إدارته وسياسته فيما كُلف به، فاشتهر وذاع صيته خارج اليمن، فوسع الوالي دائرة عمله، ثم عاد إلى مكة وبقي بها زماناً، ثم رجع إلى اليمن؛ فكان لا يصانع أحداً، فوشوا به إلى العراق، وبذلك ظهر عدله في القضاء، وتمكنه منه، وقدرته الفائقة فيه مع أنه جديد على المكان لم يعرف فيه العدل من الفاسق[٤٩٥].

تاسعاً: محنته:

بدأت محنته عندما حسده أقرانه فكادوا له، وكتبوا إلى الرشيد يخوفونه من العلويين، وأن عندهم رجلاً يقال محمد بن إدريس؛ يعمل بلسانه مالا يعمل المقاتل بسيفه، فكتب الرشيد لواليه في اليمن بحملهم مقيدين بالحديد إلى العراق، ومعهم الشافعي رضي الله عنه، وقد عانى في طريقه الويلات، فلما وصل إلى العراق أُدخل على الرشيد، فحاوره وأمر بحبسه في دار العامّة، بعد شفاعة بعض الحاضرين، وبقي فيه حتى ظهرت براءته[٤٩٦].

---

(٤٩٢) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ص: ١٨).

(٤٩٣) ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد (٣٩٢/٢)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (٥٤/١٠)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧)، وابن حجر، أحمد بن علي، توالي التأسيس، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (ص ٥٥)، والبيهقي، مناقب الشافعي (٩٤/١).

(٤٩٤) ينظر: ابن أبي حاتم، آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٥٧)، والبيهقي، مناقب الشافعي (المقدمة/ ٤٥) (٢٩١/٢).

(٤٩٥) ينظر: البيهقي، مناقب الشافعي (١٠٥/١)، وأبو زهرة، الشافعي حياته وعصره (١/ ١٠٦).

(٤٩٦)البيهقي، مناقب الشافعي (١٠٥/١، ١٥٨)، وابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص: ٩٧).

المبحث الأول: في معاني الإمامة، والخلافة، والملك

أولاً: معاني الإمامة:

الإمامة في اللغة: مصدر (أمَّ)، ويتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وتقول: أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي: الإمامة. والإمام: كل من اقْتُدي به وقدم في الأمور، والنبي ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين(٤٩٧)، وقد يراد بالإمام كل مقتدىً أو مُؤتَمٍ به في حق أو باطل، والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتُم به: اقتدي به. والإمام: المثال(٤٩٨)، والخليفة إمام الرعية، وقد بقي هذا اللقب [الإمام] على ملوك اليمن إلى الآن، ويقال: فلان إمام القوم: المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين، ومن ذلك الإمام بمعنى: قائد الجند لتقدمه ورياسته"(٤٩٩)،

وهي في الاصطلاح تعرف بعدة تعريفات، مختلفة الألفاظ، متقاربة المعاني، ومن هذه التعريفات ما يلي:

قال الماوردي: "والإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به(٥٠٠)، ففيها معنى القيادة والرياسة والقيام بالمسؤولية، ومن مهام النبوة حراسة الدين، وإدارة ومعالجة شؤون الرعية من خلاله، والإمام خليفة للنبوة في ذلك، فهو ينطلق من منطلق ديني، وهذا المنطلق حاكم للإمام في سياسته وإدارته.

وقال الجويني: "الإمامة: رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا، مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الخيف والحيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين"(٥٠١).

فالإمام الماوردي يضيق مفهوم الإمامة بأنها: إنما تكون على منهاج النبوة دائرة في فلكها سائرة على منوالها في مراعاة أحكام الدين وسياسة الدنيا من خلاله، فيما نظر إليها الإمام الجويني على أنها القيادة العليا التي تدير شؤون الدولة وتدبر أحوال الرعية؛ والدين جزء من ذلك، فهو يعرفها بالرسم حيث أدخل في التعريف وظيفة الإمام ومهامه التي ينبغي أن يقوم بها.

(٤٩٧) ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (٢١/١، ٢٨).

(٤٩٨) ابن منظور، محمد بن مكرم الرويفعي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، (٢٥/١٢).

(٤٩٩) الزبيدي، محمّد بن محمّد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٢٤٥/٣١).

(٥٠٠) الماوردي، الأحكام السلطانية (١٥/١).

(٥٠١) الجويني، غياث الأمم (٢٢/١).

فيما ذهب الشافعي إلى أن الإمامة والخلافة بمعنى واحد، وهي: "القيام بأمر المسلمين، والدفاع عنهم، وتأمينهم، ودعوة غيرهم إلى الإسلام، ونصرة المظلوم، والأخذ على يد الظالم حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر."(٥٠٢)

ثانياً: معنى الخلافة:

الخلافة: في الأصل مصدر: (خلف)، قال ابن فارس: "والْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، أَحَدُهَا: أَنْ يَجِيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَالثَّانِي: خِلَافُ قُدَّامٍ، وَالثَّالِثُ التَّغَيُّرُ، فَالْأَوَّلُ الْخَلَفُ ويعني: مَا جَاءَ بَعْدُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ خَلَفُ صِدْقٍ مِنْ أَبِيهِ، وَخَلَفُ سَوْءٍ مِنْ أَبِيهِ، وَالْخِلِّيفَى: الْخِلَافَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ خِلَافَةً لِأَنَّ الثَّانِي يَجِيءُ بَعْدَ الْأَوَّلِ قَائِمًا مَقَامَه"(٥٠٣). يقال: خلف فلان فلاناً في قومه يخلفه خلافة فهو خليفة، ومنه قوله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (الأعراف:١٤٢)(٥٠٤)، وخلفه في قومه خلافة، والقياس يقتضيه؛ لأنه بمعنى الإمارة، وفي كتب اللغة ما يدل على أن الفعل "خَلَفَ" يدل على قيام إنسان مقام آخر فيما كان يقوم الأول به؛ سواء أكان الأول هو الذي استخلفه، أم جاء الثاني بعده دون أن يستخلفه الأول(٥٠٥).

وفي الاصطلاح: (الإمامة: رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا، خلافة عن النبيﷺ)(٥٠٦).

ونجد أن تعريف كثير من علماء العقيدة والفقه يدور حول هذا المعنى، إلا أن الإمام الرازي زاد قيداً في التعريف فقال: هي: رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الأشخاص، وقال: هو: احتراز عن كل الأمة إذا عزلوا الإمام لفسقه، قال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد في التعريف، وما علله به: "وكأنه أراد بكل الأمة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الأمة"(٥٠٧).

ومما تقدم يتبين أن لفظ (الخلافة) أطلق في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على أفراد الأمة، والقيام بشؤونها، وتحقيق مصالحها وفق ما أمر به الشارع، فالخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين، ثلاث كلمات بمعنىً واحد، وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا، ويرى

(٥٠٢) أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره وآراؤه (ص١٤٠).

(٥٠٣) ابن فارس، مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠).

(٥٠٤) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (المكتبة العصرية، بيروت) (الدار النموذجية، صيدا)، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (ص: ٩٥).

(٥٠٥) الزبيدي، تاج العروس (٢٦٥/٢٣).

(٥٠٦) التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (٢٣٢/٥).

(٥٠٧) التفتازاني، شرح المقاصد (٢٣٤/٥).

الإمام الشافعيﷺ "أن الخلافة لابد منها، يعمل تحت ظلها المؤمن، ويستمتع بها الكافر، ويقاتل بها العدو، وتؤمَّن بها السبل، ويؤخذ بها للضعيف، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر"(٥٠٨).

ثالثاً: معنى الملك:

الملك مصدر: ملك، جاء في مقاييس اللغة: "الْميم وَاللَّام والكاف أَصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُوة فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ. يُقَالُ: أَمْلَكَ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وَشَدَّهُ. وَمَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ"(٥٠٩).

والمِلْك: ما ملكت اليد من مال وحَوَل، وكذلك: احتواء الشَّيْء والقُدرة على الاستبداد بِهِ، يقال: مَلَّك الْقَوْم فلَاناً على أنفسهم، وأمْلَكوه: صيروه ملِكا، وَجمعه أَمْلَاك وملوك.(٥١٠)

والمُلْك: اسْم يجمع مَا يحويه المَلِك، وسُمّي الملِك مَلِكاً بذلك، فَكَأَن المِلْك دون المُلْك، وكل مُلْكٍ مِلْكٌ وَلَيْسَ كل مِلْكٍ مُلْكاً، وملّكتُ فلَانا كَذَا وَكَذَا، إِذا بسطتَ يَده فِيهِ، تَمْلِيكًا(٥١١).

والمُلك: معروف وهو يذكر ويؤنث كالسلطان؛ وملك الله تعالى وملكوته: سلطانه وعظمته(٥١٢).

وفي الْفرق بَين الْمُلك وَالسُّلْطَان، أن الملك إنما يكون في القدرة على التصرف في أشياء كثيرة، والسلطان قد يكون في شيء كثير وقد يكون في شيء قليل(٥١٣).

فالمُلك: بالضم: التصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، وهو ضربان: ملك التولي والتملك، وملك هو القوة على ذلك تولى أم لا، فمن الأول: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ (النمل: ٣٤)، ومن الثاني: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ (المائدة:٢٠)، فإن معنى الملك هنا القوة التي بها يترشح للسياسة، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر فذلك مناف للحكمة، فلا خير في كثرة الرؤساء، وقال بعضهم: المَلِك بفتح فكسر: اسم لكل من يملك السياسة، إما في نفسه وذلك بالتمكن من زمام قواه،

(٥٠٨) أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره وآراؤه (ص١٤٠).

(٥٠٩) ابن فارس، مقاييس اللغة (٥/ ٣٥١).

(٥١٠) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، (٧/ ٥٤).

(٥١١) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، (٢/ ٩٨١).

(٥١٢) ابن منظور، لسان العرب (١٠/ ٤٩٢) بتصرف.

(٥١٣) ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (ص: ١٨٨).

وصرفها عن هواها، وإما في نفسه وغيره سواء تولى ذلك أم لا[٥١٤].

والمملكة سلطان الملك في رعيته، يقال طالت مملكته وعظم ملكه وكبر[٥١٥].وخلاصة القول: المَلِك هو: صاحب السلطان القادر على التصرف في جمهور من الناس الذين يُتأتى منهم الطاعة، وكذلك غير العقلاء، سواء أكان ملكه عن استحقاق أم غير استحقاق، وفيه معنى التعظيم والتشريف.

ويتبين مما سبق أن (الإمامة، والخلافة، والملك) وإن اختلفت جذورها اللغوية فهي تؤول إلى معنى متقارب وهو تولي زمام الأمور في قيادة جمهور من الناس وإدارة شؤون الرعية، بيد أن مصطلح الخلافة والإمامة صارا مصطلحين يشيران إلى انطلاق الحاكم من خلفية دينية يكون بسلطانه مسؤولاً عن حراسة الدين وإدارة شؤون الرعية من خلاله، فصارا بذلك مصطلحين إسلاميين.

المبحث الثاني :الحكم الشرعي للخلافة، وهل هي من الأصول:

أولاً: الحكم الشرعي للخلافة:

الناظر في تاريخ الأمة الإسلامية يجد أنها ومنذ الصدر الأول أقامت حاكماً أعلى يخلف النبيﷺ في قيادة الأمة وإدارة شئونها في الداخل والخارج، "ولم يكن للناس بُدٌّ بعد رسول الله ﷺ من راعٍ يرعاهم، ووازعٍ يزعهم، وساعٍ يسعى في إحياء أمر الدين وإقامة السُّنة، وينتصف للمظلومين – لما في طباع الناس من التنافر– ويقوم بإعلاء كلمة الله تعالى، وأمر الجهاد، ورعاية أمر الرعية، وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإنكاح الأيامى، وغير ذلك، ثم على الناس كافة طاعته في طاعة الله، فاتفقت الصحابةﷺ على خلافة أبي بكر الصديق ثم استخلف أبو بكر بعده عمر، ثم كانت الخلافة بعد عمر لعثمان، ثم لعلي ﷺ"[٥١٦].ومع أن الإمام الشافعي يرى وجوبها، حيث قالﷺ: "والخلافة لابد منها"[٥١٧] وأن إدارة شؤون الرعية تتطلبها فإنه ينأى بالإنسان أن يتطلع إليها أو يرمي بنفسه في ميدانها فقال: "وأكره للرجل أن يتولى قوماً وهم له كارهون، وإن وليهم والأكثر منهم لا يكرهونه، والأقل منهم يكرهونه، لم أكره ذلك له، إلا من وجه كراهية

(٥١٤) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، (ص٣١٤).

(٥١٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٣٨٠/٥).

(٥١٦) البغوي، الحسين بن مسعود، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م، (٢٦٤/٧).

(٥١٧) أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره وآراؤه (ص١٤٠).

الولاية جملة، ...، وجملة هذا أني أكره الولاية بكل حال"[٥١٨]. وهذا من باب الورع والأمانة[٥١٩].

وذكر الإمام الماوردي: أن عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، خلافاً لمن شذ[٥٢٠][٥٢١].

وحكى الإجماع الإمام الجويني – رحمه الله[٥٢٢]. وجاء في تفسير قوله تعالى: چ ٻ ٻ پ پ چ (البقرة: ٣٠): "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم ومن قال بقوله، ودليلنا قول الله تعالى:﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (ص: ٢٦)، وقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥) أي: يجعل منهم خلفاء، إلى غير ذلك من الآي"[٥٢٣].

فنصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكرﷺ، وتسليم النظر إليه في أمورهم، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام في كل العصور[٥٢٤]. وإنما وقع الخلاف في هذا الوجوب، هل هذا الوجوب بالعقل أم بالشرع[٥٢٥].

---

(٥١٨) الشافعي، الأم (١/ ١٨٧).

(٥١٩) ومصداق ذلك قوله ﷺ لأبي ذر ﷺ لما طلب الولاية "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا". أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، (١٤٥٧/٣) رقم (١٨٢٥).

(٥٢٠) شذ الأصم عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر. فزعم أن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم، وزعم أنه يستحيل على الله أن يكون عالما بالأشياء قبل كونها، ومنع كون المعدوم شيئا. يُنظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، (٣٠/١).

(٥٢١) الماوردي، الأحكام السلطانية (ص ١٥).

(٥٢٢) قال: "وهو مسبوق بإجماع من أشرقت عليه الشمس شارقة وغاربة، واتفاق مذاهب العلماء قاطبة". الجويني، غياث الأمم (ص: ٢٣).

(٥٢٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (٢٦٤/١).

(٥٢٤) ابن خلدون، التاريخ (١/ ٢٣٩)، الفصل السادس والعشرون في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه.

(٥٢٥) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، (٢٩٤/٨).

ونجد أن القائلين بوجوب الإمامة عدوها فرضاً دينياً على جميع الأمة، وهو ما يسمى بالواجب الكفائي، فالأمة كلها مسؤولة عن أدائه، فإن قام به البعض سقط الفرض عن جميع الأمة، وإن لم يقم به أحدٌ فيُحكم على الأمة كلها متضامنة بأنها عاصية لأنها أخلت بأحد الفروض الشرعية، وهي وإن كانت واجباً كفائياً على الأمة كلها، فهي واجب عيني على من هو من أهلها؛ وأهلها فريقان: أهل الاختيار، وأهل الإمامة: أما أهل الاختيار فهم أهل الحل والعقد، وهم الذين يتولون عملية الترشيح والترجيح بين المترشحين لمنصب الإمامة، وأما أهل الإمامة فهم الذين تتوافر فيهم شروطها، وعلى هذا يسقط الإثم والوزر عن عامة الأمة، ويقع على هذين الفريقين، ويصبح نصب الإمام فرضاً عينياً عليهما.

يقول الماوردي: "فإذا ثبت وجوب الإمامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام بها من هو من أهلها سقط فرضها على الكفاية، وإن لم يقم بها أحد خرج من الناس فريقان:

أحدهما: أهل الاختيار حتى يختاروا إماماً للأمة.

والثاني: أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة، وليس على من عدا هذين الفريقين من الأمة في تأخير الإمامة حرج ولا مأثم"(٥٢٦).

وشذ قوم فخالفوا إجماع المسلمين هذا، وقالوا بأن الخلافة ليست بواجبة، وهم بعض الخوارج وبعض المعتزلة والأصم، وقالوا: لو تكافَّ الناس فيما بينهم لم يكونوا في حاجة إلى إمام، وقال الأصم: إنها غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم، وتناصفوا فيما بينهم، وبذلوا الحق من أنفسهم، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه، أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماماً يتولى ذلك(٥٢٧).

وتوسط قوم فقالوا بالجواز: وهم لا يعنون قطعاً أن الإمامة لا ضرورة لها، أو الطعن في مشروعيتها، ولكنهم يرون أنها من الأشياء المباحة، لا تأثم الأمة بتركها، ولكن للجماعة أن تنظر في موضوع الأمة، بحسب ما تمليه عليها الظروف، فإذا تكافَّ الناس عن الظلم وتعاطوا الحق بينهم ونفذوا شرع الله في جميع أمورهم وجاهدوا عدوهم فبها ونعمت، وإلا فقد يصبح نصب الإمام ضرورة، والقائلون بالجواز هم قلة قليلة وهم الخوارج، والفوطي(٥٢٨) والأصم من المعتزلة.

(٥٢٦) الماوردي، الأحكام السلطانية (ص: ١٧).

(٥٢٧) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢٦٤).

(٥٢٨) هشام بن عمرو الفوطي ت ٢١٨ هـ وهو رأس فرقة المعتزلة الهشامية، ومن بدعه أن الإمامة لا تنعقد أيام الفتنة واختلاف الناس. ومما قاله: إن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم. يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل (١/٣٠).

وجملة القول: إنه ينبغي النظر إلى الواقع العملي، وإلى حال الأمة فنجد أنها ومنذ العصر الأول، بل وقبل أن يواروا رسول الله ﷺ الثرى؛ اجتمعوا ونصبوا الإمام، وفي هذا دليل على أنه لا ينبغي أن تبقى الأمة وقتاً ما بلا إمام، يدور هذا الحكم على الوجوب كما هو رأي الجمهور، أو على الجواز كما هو رأي القلة، أما أن تبقى الأمة بلا خليفة وتستطيع أن تدير شؤونها دونه، وتقيم شعائرها وشرائعها فهو أمر غير متصور أصلاً، وغير واقع فعلاً.

ثانياً: هل الخلافة من أصول الدين:

اتّفقت كلمة أهل السنّة، أو أكثرهم، على أنّ الإمامة من فروع الدين، وأن الاختلاف في إثباتها سائغ بخلاف الأصول، قال الشافعيﷺ: " كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه"(٥٢٩)، ومن خلال هذه القاعدة التي ذكرها الإمام الشافعيﷺ؛ مع ما ورد من وقائع الخلاف بين الصحابة في تولية الخلافة بعد رسول الله ﷺ في السقيفة حين اجتمع الأنصار وأرادوا الخلافة فيهم، وما كان من اختيار عمرﷺ، والطريقة التي سلكهاﷺ؛ حين جعلها في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلوها في عثمان ﷺ(٥٣٠)، من خلال هذا يتضح أن الإمام الشافعي ﷺ يعد الخلافة في باب الفروع، وهي مما يسوغ الاختلاف فيها، قال الغزالي: "النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمات، وليس أيضاً من المسائل العقلية الفقهية، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض بل وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ؟ ولكن إذا جرى الرسم باختتام المعتقدات به أردنا أن نسلك المنهج المعتاد، فإن القلوب عن المنهج المخالف للمألوف شديدة النفار"(٥٣١). ويعني بذلك أنها ليست من أصول العقائد التي يترتب عليها الإيمان والكفر.

فالقيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات، وهي أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة، من غير أن يقصد حصولها من كل واحد، ولا خفاء في أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية، ولكن لما شاعت بين الناس في باب الإمامة اعتقادات فاسدة، واختلافات بل اختلاقات باردة سيما من

(٥٢٩) الشافعي، الرسالة (١/ ٥٦٠).

(٥٣٠) البيهقي، مناقب الشافعي (١/ ٤٣٤، ٤٣٥).

(٥٣١) الغزالي، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م، (ص: ١٢٧).

فرق الروافض والخوارج، ومالت كل فئة إلى تعصبات تكاد تفضي إلى رفض كثير من قواعد الإسلام ونقض عقائد المسلمين والقدح في الخلفاء الراشدين، مع القطع أنه ليس للبحث عن أحوالهم واستحقاقهم وأفضليتهم كثير تعلق بأفعال المكلفين: ألحق المتكلمون هذا الباب بأبواب علم الكلام(٥٣٢).

وقال الآمدي: "واعلم أن الكلام في الإمامة ليس من أصول الديانات ولا من الأمور اللابُديات؛ بحيث لا يسع المكلف الإعراض عنها والجهل بها، بل لعمري إن المعرض عنها لأرجى حالاً من الواغل فيها؛ فإنها قلما تنفك عن التعصب والأهواء، وإثارة الفتن والشحناء، والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالإزراء، وهذا مع كون الخائض فيها سالكاً سبيل التحقيق؛ فكيف إذا كان خارجاً عن سواء الطريق".(٥٣٣)

وجاء في المواقف: "والإمامة عندنا من الفروع، وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا." (٥٣٤)

ومما سبق يتضح أن الخلافة بباب الفروع أليق، والخلاف فيها سائغ؛ وقد وقع بين المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ، وربما أوردها بعض العلماء في علم الكلام تأسياً بمن سبقهم، ولما كانت الخلافة مثاراً للخلاف والنزاع والتعصب والأهواء، وإثارة الفتن والشحناء، والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالإزراء، كانت بباب الفروع أليق من الأصول، حتى لا تكون موضع تكفير وتفسيق للمخالف فيها.

هذا مما قاله أهل السُّنة، وأمّا الشّيعة، فالاعتقاد بالإمامة عندهم أصل من أُصول الدين، ويرون أن لها من الخصائص كما للنبوة، فيقولون: "إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيّده بالمعجزة التي هي كنَصّ من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده"(٥٣٥)، بل يعدونها أحد أركان الإسلام الخمسة، جاء في (الكافي): "بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يُنادى بشيءٍ كما نُوديَ بِالولاية"(٥٣٦)، وذهبوا إلى أنه لا يكمل إيمان الإنسان إلا بها، بل هي أفضل من أركان الإسلام

(٥٣٢) التفتازاني، شرح المقاصد (٢ / ٢٧١).

(٥٣٣) الآمدي، علي بن أبي علي، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (ص: ٣٦٣).

(٥٣٤) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، كتاب المواقف، دار الجيل، بيروت، ط١، (٥٧٤/٣).

(٥٣٥) آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، (ص: ٨٥).

(٥٣٦) عن أبي جعفر الصادق. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الفجر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، (١٨/٢).

الأُخرى[٥٣٧]، فهم على اختلاف فرقهم يرون وجوب الإمامة، ولكن رأيهم في الإمامة يخالف ما ذهب إليه جمهور المسلمين، إذ يرونها واجبة في أفراد مخصوصين بأعيانهم، وأهل السنة لا يقولون بذلك. وأقربهم إلى جمهور أهل السنة فرقة الزيدية[٥٣٨]؛ فبعد استشهاد الإمام الحسينﷺ ذهبت فرقة من الشيعة إلى أن الإمامة لا تكون إلا في أولاد فاطمة ﷺ ويستوى في هذا أولاد الحسنﷺ، وأولاد الحسينﷺ، ورأوا أن كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة فهو إمام واجب الطاعة، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، فلما خرج زيد بن علي في عهد هشام بن عبد الملك بايعه هؤلاء[٥٣٩].

وكان من مذهب الإمام زيد جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: "كان علي بن أبي طالبﷺ أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكرﷺ لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين عليﷺ عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن، والسبق في الإسلام، والقرب من النبي ﷺ،[قرب الصحبة، وقرب السن] وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا"[٥٤٠].

(٥٣٧) الكليني، الكافي (١٥/٢).

(٥٣٨) فقد ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، والزيدية تميزت في أول ظهورها بمسألة الإمامة وأنهم يرونها كما تراها الشيعة الإثني عشرية في علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين بن علي، ثم يختلفون عن الإثني عشرية بأن الإمامة تثبت لكل من قام ودعا الخلق إلى طاعة الله تعالى وكان من ولد الحسن أو الحسين وهو جامع لخصال العدل والعلم، فلهذا قالوا بإمامة زيد بن علي بعد الحسين ولم يعدوا أباه زين العابدين ولا أخاه محمد الباقر ولا ابن أخيه جعفر الصادق من أئمتهم لأنهم لم يخرجوا ولم يدعوا لأنفسهم. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل (١٥٤/١)، والعمراني، يحيى بن أبي الخير، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (٧٢/١).

(٥٣٩) إلهي ظهير، إحسان الباكستاني، الشيعة والتشيع، إدارة ترجمان السنة، لاهور-باكستان، ط١٠، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (ص:٢٠٦)، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب (١/ ٧٨).

(٥٤٠) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل (١/ ١٥٥).

وفرق الزيدية منهم من يتفق مع ما ذهب إليه الإمام زيد، ومنهم من خالفه، فالجارودية[٥٤١] زعموا أن النبي ﷺ نص على الإمام علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية، وهو الإمام بعده، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا على الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر رضي الله عنه باختيارهم فكفروا بذلك[٥٤٢]، فيما ذهبت باقي فرق الزيدية إلى أن الإمامة شورى بين الخلق، وتصح في المفضول مع وجود الأفضل، وأثبتوا إمامة الشيخين حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً، واختلفوا في عثمان رضي الله عنه فمنهم من طعن، ومنهم من توقف[٥٤٣].

والشيعة الإمامية يرون أن الإمامة منصب إلهي يختار له الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمر باتباعه، ويقولون: إن الله – سبحانه وتعالى – أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علماً للناس من بعده، وقد بلَّغ الرسول الكريم ﷺ كلمة ربه، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يتبع المسلمون أمر الله تعالى ولا أمر نبيه ﷺ، وتركوا ركناً من أركان الإيمان، ويرون أن النص بعد الإمام علي رضي الله عنه ثم الحسن فالحسين ثم علي بن زين العابدين يأتي بعدهم محمد الباقر[٥٤٤]، فابنه جعفر الصادق[٥٤٥]، وبعد القول بإمامة جعفر الصادق، نرى منشأ أكبر فرقتين شيعيتين الإسماعيلية والجعفرية [٥٤٦] الاثنا عشرية[٥٤٧].

(٥٤١) أصحاب أبي الجارود، قالوا بالنص على علي رضي الله عنه والصحابة كفروا بمخالفته، والخلافة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما، فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهو إمام، واختلفوا في المنتظر، أهو محمد بن عبد الله، أو محمد بن القاسم، أو يحيى بن عمر الكوفي. ينظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، (١/ ٨٥).

(٥٤٢) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل (١/ ١٥٨).

(٥٤٣) يُنظر: المصدر السابق (١/ ١٥٩).

(٥٤٤) محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، الملقب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، كان الباقر عالما سيدا كبيرا، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي توسع، والتبقر: التوسع، ومولده يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وتوفي سنة ١١٣هـ، وقيل سنة ١١٤هـ، وقيل ١١٧هـ، او ١١٨هـ ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (٤/ ١٧٤).

(٥٤٥) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر، من سادات أهل البيت ولقب بالصادق، وفضلُه أشهر من أن تذكر، وكانت ولادته سنة ٨٠هـ، وقيل: سنة ٨٣هـ. وتوفي سنة ١٤٨هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (٣٢٧/١).

(٥٤٦) فالإسماعيلية جعلوا الإمامة بعده لابنه الأكبر إسماعيل، وافترق هؤلاء فرقتين: فرقة منتظرة لخروجه مع اتفاق أصحاب التواريخ على موته في حياة أبيه، وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ حيث إن جعفراً نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد، وإلى هذا مالت الإسماعيلية الباطنة. والإسماعيلية جعلوا الإمامة بعد إسماعيل لابنه محمد المكتوم، ومنهم من وقف عليه وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في أئمة مستورين منهم، ثم في ظاهرين قائمين من بعدهم. وقالوا: لم تخل =

وخلاصة القول: إن حكم الإمامة واجب وجوباً كفائياً، وهي من فروع هذا الدين، وهذا ما عليه كلمة علماء الأمة، واختاره الإمام الشافعي ﷺ.

المبحث الثالث :أنواع القضاء العادي:

الحراك المجتمعي بين الناس، وتفاعلهم فيما بينهم، وحاجة بعضهم إلى بعض في الجوار والمعاملات فيما بينهم، أمور ينشأ عنها اختلاف، ومن ثَم يحدث شقاق ونزاع وتعدٍ على الحقوق، وهنا توجب إدارة حركة الحياة فيما بينهم فصل هذا النزاع، والإصلاح فيما بينهم، ورد الحقوق إلى أصحابها، فلابد أن ينشأ عن ذلك الحكم فيما بينهم، وهذا الحكم من أعظم الأمور التي يجب على ولي الأمر أن يهتم بها، فيقوم بها بنفسه أو يخصص لها هيئة تقوم بها، وحكمهم يدور بين ثلاث: إما أن يوافق حكم الله، أو أن يكون اجتهاداً، أو أن يكون مضاداً لحكم الله، وإليك تفصيل ذلك:

أولاً/ موافقة حكم الله:

الحكم الْمنزل الواجب الاتباع: وهو الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وحكم به بين عباده، وهو حكمه الذي لا حكم سواه، يقول الله تعالى:﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩)، وقال الله لنبيه ﷺ في أهل الكتاب: ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (المائدة:٤٢)، قال الشافعي ﷺ: فأعلم اللهُ نبيَه ﷺ: أنه فرض عليه وعلى من قبله وعلى الناس إذا حكموا أن يحكموا بالعدل، والعدل: اتباع حكمه المنزل"(٥٤٨).

الأرض قط من إمام حي قائم: إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور؛ فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن تكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين، ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه أو مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية. وأما الجعفرية: وهم أتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، قالوا إن الله لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الأطفال والمجانين وفُساق هذه الأمة شر من الزنادقة والمجوس وسارق الحبة منخلع من الإيمان وأثبت الخلود في النار بالعقل قبل ورود الشرع وإن الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ فلا يجوز أن ينتقل وما نقرأه نحن فهو حكاية عن المكتوب في اللوح المحفوظ والقراءة فعلنا وخلقنا. ينظر: الأسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ص:٧٧)، والصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، (٦٢/٩–٦٤)(١١/ ١٢٠).

(٥٤٧) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل (١/ ١٩٢)، والصفدي، الوافي بالوفيات (١١/ ١٢٠).

(٥٤٨) الشافعي، محمد بن إدريس، تفسير الإمام الشافعي، جمع ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية،

وهنا فحكم النبي ﷺ في الأقضية التي حكم فيها إنما هو حكم موافق لحكم الله، أو هو حكم الله المنزل، وكذلك حكم القضاة والأئمة من المسلمين في القضايا التي فيها نص صريح واضح لا تأويل فيه، ولا شبهة ترد عليه، فهو حكم الله، ولا أدل على ذلك من واقعة مجيء اليهود إلى النبي ﷺ يتحاكمون فحكم بينهم بحكم الله تعالى، فقد روي أَنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ». فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأْتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُاللَّهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الحِجَارَةَ"[٥٤٩].

ثانياً/ الاجتهاد محاولة لموافقة حكم الله:

والنوع الثاني من الحكم هو الحكم المؤول الذي غايته أن يكون جائز الاتباع، وهو أقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها، ولا يكفّر ولا يفسّق من خالفها؛ فإن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله وحكم رسوله ﷺ، بل قالوا: اجتهدنا برأينا فَمن شاء قَبِلَه وَمن شاء لم يقبله، ولم يلزموا به الأمة[٥٥٠]، وسندهم في ذلك أن النبي ﷺ كان إذا أمّر أميراً وبعثه على جيش دعاه ساعة أن يودعه إلى أن يحكم بينه وبين خصمه أن يعلن أنه إنما ينزل على حكمه لا على حكم الله؛ لأنه لا يدري أيصيب حكم الله أم لا، قال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)[٥٥١].

ذلك أن الأمر مرجعه إلى الاجتهاد، فقد يخطئ في حكمه، فلا يليق إذا أخطأ أن ينسبه إلى الشرع الشريف، بل الخطأ فيه راجع إلى المجتهد، ولذلك سُوّغ أن يناقش فيه أو يعارض.

السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، (٢/ ٧٤٥).

(٥٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}، (٤/٢٠٦) رقم (٣٦٣٥).

(٥٥٠) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص: ٢٦٦).

(٥٥١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، (٣/١٣٥٧) رقم (١٧٣١).

وهذا الشافعي ﷺ ينهى أصحابه عن تقليده، ويوصيهم بترك قوله إذا جاء الحديث بخلافه؛ حيث قال: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها؛ ودعوا ما قلته"(٥٥٢)، وقال أبو حنيفة ﷺ: "هذا رأيي فمن جاءني بخير منه قبلناه"(٥٥٣)، ولو كان حكم أبي حنيفه ومذهبه هو عين حكم الله لما ساغ لأبي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته(٥٥٤)، وكذلك مالكﷺ استشاره الرشيد أَن يحمل النَّاس على مَا فِي الموطأ فَمَنعه من ذلك، وقال قد تفرق أصحاب رسول اللهﷺ في البلاد، وصار عند كل قومٍ علم غير ما عند الآخرين(٥٥٥)، وهذا الإمام أحمد ﷺ ينكر على من كتب فتاويه ودونها؛ قال الإمام أحمد ﷺ "الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبيﷺ وأصحابه ثم هو من بعد مع التابعين مخيّر"(٥٥٦) وقال أيضاً: "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا"(٥٥٧)، وقال: "من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال"(٥٥٨).

ولو علمواﷺ أن أقوالهم يجب اتباعها؛ لحرموا على أصحابهم مخالفتهم، ولما ساغ لأصحابهم أن يفتوا بخلاف رأيهم في شيء، ولما كان أحدهم يقول القول ثم يفتي بخلافه، فيروى عنه في المسألة القولان والثلاثة وأكثر من ذلك، فالرأي والاجتهاد أحسن أحواله أن يسوغ اتباعه، والحكم المنزل لا يحل لمسلم أن يخالفه، ولا أن يخرج عنه.

ثالثاً/ مضادة حكم الله:

وهذا هو النوع الثالث من الحكم، وهو الحكم المبدل، بحيث يسعى الحاكم أو القاضي إلى مضاهاة حكم الله أو مضادته، وهو الحكم بغير ما أنزل الله، فلا يحل تنفيذه، ولا العمل به، ولا يسوغ اتباعه، وصاحبه بين

(٥٥٢) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (٢/ ٦٣١).

(٥٥٣) ابن القيم، الروح (ص: ٢٦٦).

(٥٥٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥٥٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٨).

(٥٥٦) السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث، مسائل الإمام أحمد، تحقيق: طارق بن عوض الله، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (ص:٣٦٨).

(٥٥٧) ابن القيم، الروح (ص: ٢٦٧)

(٥٥٨) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩١م، (٣/ ٤٦٩).

الكفر والفسوق والظلم(٥٥٩).

فالحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغرَ، وإن اجتهد في معرفة حكم الله ببذل جهده واستفراغ وسعه في معرفته وأخطأ، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور(٥٦٠).

وقد ذهب الإمام الشافعيﷺ إلى أن هذ النوع من الحكم باطل ومردود، وصاحبه آثم، فقالﷺ: "فليس لمفت ولا لحاكم أن يفتي ولا يحكم حتى يكون عالماً بهما، [الكتاب والسنة] ولا أن يخالفهما، ولا واحداً منهما بحال، فإذا خالفهما فهو عاص لله عز وجل وحكمه مردود"(٥٦١).

وكذلك جاء عن الشافعيﷺ أنه قال: "ومن تكَلَّفَ ما جهِل، وما لم تُثْبِتْه معرفته: كانت موافقته للصواب – إنْ وافقه من حيث لا يعرفه– غيرَ مَحْمُودة، والله أعلم، وكان بِخَطَئِه غيرَ مَعذورٍ"(٥٦٢).

وهنا اشترط الإمام الشافعي ﷺ في الحاكم أو القاضي أو المفتي الذي تعرض له المسألة أن يكون عالماً بالكتاب والسنة، وبحكم الله، وأن يكون عنده من الآلات ما يستطيع من خلالها أن يحكم فيما يعرض له من المسائل، فإذا أصدر حكمه في المسألة أو فتواه أو قضاءه؛ فإنما أصدره عن علم لا عن جهل، فإن الجاهل المتعرض للفتوى آثم، كما أنه اشترط ألا يخالف الكتاب والسنة في حكمهما، فإن خالفهما فحكمه مردود عليه، وهو آثم بمخالفته حكم الله عز وجل، والله عز وجل قد حذر من القول عليه بغير علم فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣)، ونهى عن اتباع الهوى في الحكم فقال:﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣)، وقال تعالى مخاطباً داود:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

(٥٥٩) ابن القيم، الروح (ص: ٢٦٦).

(٥٦٠) الطحاوي، محمد بن علاء الدين، شرح الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨هـ، (ص:٣٠٤).

(٥٦١) الشافعي، الأم (٧/ ٩٨).

(٥٦٢) الشافعي، الرسالة (١/ ٥٣).

سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص: ٢٦)، وهذا كله منهي عنه. فالحكم المبدل وهو الحكم بغير ما أنزل الله تدور حال صاحبه بين ثلاث حالات: الحالة الأولى: كفرٌ أكبر، الثانية: كفرٌ أصغر، الثالثة: مخطئٌ، وخطؤه مغفور، كما تقدم تفصيله.

الخاتمة:

لقد خلص الباحث فيما سطره إلى النتائج الآتية:

١ – قدم الإمام الشافعي ﷺ للأمة علوماً كثيرة انتفعت بها قديماً وحديثاً، ومن ذلك ما قرره واختاره في علم السياسة الشرعية، مما وجدناه منثوراً في مصنفاته المختلفة، وفقاً لظروف عصره الذي عاش فيه، مما يصلح أن يمثل قواعد قابلة للتطبيق في مختلف العصور والأزمان، مع مراعاة تنزيلها وفق المعطيات المعاصرة للتنزيل.

٢ – كانت للإمام الشافعيﷺ آراء سياسية لم تبرز في بعض مسائل السياسة الشرعية، وقد جاء بعده من أتباع مذهبه، ممن تأثَّروا به في تناولهم لمسائل علم السياسة الشرعية بما أرساه الإمام من قواعد، وما بناه من أصول، وانطلقوا من خلالها في تناول تلك القضايا، لاسيما الإمام الماوردي والإمام الجويني.

٣ – اجتمعت عوامل مختلفة – شخصية وأسرية واجتماعية وسياسية واقتصادية – أسهمت في بناء الشخصية القدوة للإمام الشافعي، استطاع بها أن يجمع بين مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي، وكان أحد أعمدة العلم البارزين، بل صار من روادها وأعلامها الكبار الذين صاروا أئمة متبوعين يرجع إليهم، ويصدر عن أقوالهم.

٤ –كان للممارسات العملية للإدارة والقضاء والمحن التي تعرض لها أثرها البالغ في نبوغه ونضجه السياسي، ما جعله ذائع الصيت، أهلاً لتولي المزيد من المهام،

٥ – لا تختلف الإمامة والخلافة في فكر الإمام الشافعي، فهما عنده بمعنى، وهو القيام بأمر المسلمين، والدفاع عنهم، وتأمينهم، ودعوة غيرهم إلى الإسلام، ونصرة المظلوم، والأخذ على يد الظالم، فيما رأينا الإمام الماوردي قد ضيق مفهوم الإمامة، وأنها لا بد أن تكون على منهاج النبوة، دائرة في فلكها، سائرة على منوالها في مراعاة أحكام الدين وسياسة الدنيا من خلاله، فيما نظر إليها الإمام الجويني على أنها القيادة العليا التي تدير شؤون الدولة وتدبر أحوال الرعية؛ والدين جزء من ذلك، وجاء تعريفه لها بالرسم حيث أدخل في التعريف وظيفة الإمام ومهامه التي ينبغي أن يقوم بها.

٦ – المَلِك هو: صاحب السلطان القادر على التصرف في جمهور الناس الذين تتأتى منهم الطاعة، وكذلك غير العقلاء، سواء أكان ملكه عن استحقاق أم لا، وفيه معنى التعظيم والتشريف، والألقاب الثلاثة: (الإمامة والخلافة والملك)، وإن كانت جذورها اللغوية مختلفة فإنها تؤول إلى معنى متقارب، وهو: تولي زمام الأمور في قيادة جمهور من الناس وإدارة شؤون من تحت سلطانهم من الرعية، بيد أن مصطلح الخلافة والإمامة صارا مصطلحين يشيران إلى انطلاق الحاكم من خلفية دينية يكون بسلطانه مسؤولاً عن حراسة الدين وإدارة شؤون الرعية، فصارا بذلك مصطلحين إسلاميين.

٧ – بالنظر إلى الواقع العملي، وإلى حال الأمة وتاريخها نجد أنه لا ينبغي أن تبقى الأمة وقتاً ما بلا إمام،

يدور هذا الحكم على الوجوب كما هو رأي الشافعي والجمهور، أو على الجواز في رأي القلة، والخلو عنه غير متصور أصلاً، وغير واقع فعلاً.

٨ – الخلافة بباب الفروع أليق، فالخلاف فيها سائغ؛ وقد وقع بين المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ، وربما أوردها بعض العلماء في علم الكلام تأسياً بمن سبقهم، ولما كانت الخلافة مثاراً للخلاف والنزاع والتعصب والأهواء، وإثارة الفتن والشحناء، والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالإزراء، كانت بباب الفروع أليق، حتى لا تكون موضع تكفير وتفسيق للمخالف فيها.

٩ – القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات، وهي أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة، من غير أن يقصد حصولها من كل واحد، ولا خفاء في أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية، ولكن لما شاعت بين الناس في باب الإمامة اعتقادات فاسدة، واختلافات بل اختلاقات باردة سيما من فرق الروافض والخوارج، ومالت كل فئة إلى تعصبات تكاد تفضي إلى رفض كثير من قواعد الإسلام، ونقض عقائد المسلمين، والقدح في الخلفاء الراشدين، مع القطع أنه ليس للبحث عن أحوالهم واستحقاقهم وأفضليتهم كثير تعلق بأفعال المكلفين: ألحق المتكلمون هذا الباب بأبواب علم الكلام.

١٠ – العيش في جماعة، وحاجة الناس لبعضهم البعض، ربما ينشأ عنها اختلاف، ويحدث شقاق ونزاع وتعدٍ على الحقوق، وذلك يوجب الفصل لهذا النزاع، وإصلاح ما بينهم، ورد الحقوق إلى أصحابها، فلا بد أن ينشأ عن ذلك الحكم فيما بينهم، وهذا الحكم من أعظم الأمور التي تجب على ولي الأمر أن يهتم بها، فيقوم بها بنفسه أو يخصص لها هيئة تقوم بها، وحكمهم يدور بين ثلاث:

أ – إما أن يوافق حكم الله المنزل وحياً صريحاً لا تأويل فيه، فذلك هو الواجب اتباعه، ولا يحل لمسلم أن يخالفه، ولا أن يخرج عنه.

ب – أو يكون اجتهاداً، وهو الحكم المؤول الذي غايته أن يكون جائز الاتباع، وهو أقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها، ولا يكفّر ولا يفسّق من خالفها؛ فإن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله وحكم رسوله ﷺ، بل قالوا: اجتهدنا برأينا فَمن شاء قَبِلَه وَمن شاء لم يقبله، ولم يلزموا به الأمة.

ج – أو مضاداً لحكم الله، وهو الحكم المبدل، فيسعى الحاكم أو القاضي فيه إلى مضاهاة حكم الله أو مضادته، وهو الحكم بغير ما أنزل الله، فلا يحل تنفيذه، ولا العمل به، ولا يسوغ اتباعه، وصاحبه دائر بين الكفر والفسوق والظلم.

المصادر والمراجع:

آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، دار الأضواء للطباعة والنش، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

الآمدي، علي بن أبي علي الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.

أحمد شاكر، مقدمة الرسالة للإمام الشافعي، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

الإسفراييني، طاهر بن محمد (المتوفى: ٤٧١هـ)، التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

إلهي ظهير، إحسان الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، الشيعة والتشيع – فرق وتاريخ، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١٠، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد (المتوفى: ٧٥٦هـ)، كتاب المواقف، دار الجيل، بيروت، ط١.

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (المتوفى: ٥١٦هـ)، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ –١٩٩٧م.

البيهقي، أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مناقب الشافعي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ–١٩٧٠م.

التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ.

ابن حجر، أحمد بن علي الكناني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، توالي التأسيس، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت:٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الخطيب أحمد بن علي البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم

للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

الذهبي، محمد بن أحمد (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

الذهبي، محمد بن أحمد (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الرازي، محمد بن أبي بكر الحنفي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

الزبيدي، محمّد بن محمّد مرتضى (المتوفى:١٢٠٥هـ)، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

أبو زهرة، محمد، الشافعي حياته وعصره، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث الأزدي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، مسائل الإمام أحمد، تحقيق: طارق بن عوض الله، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

السفاريني، أحمد بن سالم (المتوفى: ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، جمع ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن علي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

الصدفي، عبد الرحمن بن أحمد (المتوفى: ٣٤٧هـ)، التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.

الصفدي، خليل بن أيبك (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الطحاوي، محمد بن علاء الدين الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، شرح الطحاوية، تحقيق:

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

العسكري، الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر.

العمراني، يحيى بن أبي الخير (المتوفى: ٥٥٨هـ)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م.

ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد البصري، (المتوفى: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

القرطبي، محمد بن عبد الكريم (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكليني، محمد بن يعقوب (المتوفى:٣٢٩هـ)، الكافي، دار الفجر بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

الماوردي، علي بن محمد البصري (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة.

المرسي، علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت:.

المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

ابن منظور، محمد ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.

الهيثمي، مجمع الزوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.